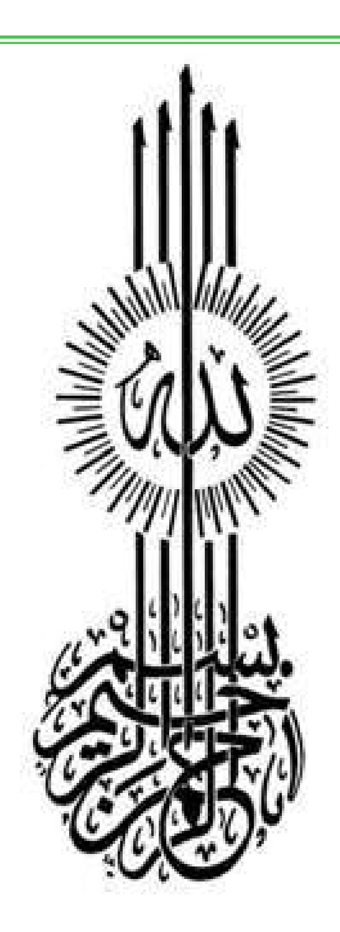


اللُّؤْلؤُ البَرِيقْ فِي سِيَرةِ بنْتِ الصِّدِّيق

(مادة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية)

جمع وإعداد
معاذ بن إحسان بن محمد بن عايش العتيبي
أبو همام السَّعدي

ذو الحجة 1432 هـ.


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ وبه نستعين.

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرفِ الخلقِ وسيدِ المرسلين، نبينا وقدوتنا محمدٍ الطاهرِ الأمين، وعلى آله وصحبهِ الطاهرين المجتَبين، ومن سارَ على دربهم ونهجهم من المسلمين إلى يومِ الدين.

وبعدُ:

إنَّ من إرادةِ الله تعالى وقضائهِ أن ييسِّر لهذا الدين رجالاً وأقوامًا، ينصرونَ دينَه بأنواعِ الجهادِ كلِّه؛ فمنهم المجاهدُ بلسانِهِ، ومنهم المجاهدُ بقلمِهِ، ومنهم المجاهدِ بنفسِهِ وماله، فكل هؤلاءِ في ثغراتٍ ولهم من النصرِ والتأييدِ أحسن العطاءات.

وإنَّ من نصرةِ الله جل وعلا أن يقيِّضَ لدينهِ رجال العزَّةِ ومُقامَ الكرامة، فيؤدون لربِّهم ودينهم أوفى الحقوق، ويسعونَ بشتى الطرائق والمسالك لإعلاءِ كلمة الله العليا، ذلكَ أنهم نذروا أنفسهم لله فقامتْ بهم، وباعوا لدينهم دنياهم فكانتْ لهم.

ولا خيرَ في عبدٍ أطاعَ الشهوات والشبهات، ومالَ مع الرياحِ بما لا تقبله النفوسُ العطِرات، فهو تائهٌ في طرقاتهِ، ضائعٌ بين رغباتِهِ، حيثما ارتأى الفضائل طمِع عنها وانغوَل، وحيثما تمنَّى المفاسد فرِحَ إليها وانفتل، فلا يرجى منهُ ولا يرتجى؛ أيُّ إحسانٍ طيِّبٍ أو هدى.

وإنَّ الفؤادَ لينطقُ قبل اللسانِ بشهادةِ العرفانِ ما تبذله "شبكةُ الألوكة" من الجهودِ الطيبة، والهمم السامية، في سبيلِ نشر العلمِ ونفعِهِ، وتهيئةِ طلابهِ لخيرهِ وأحسنهِ، فكانوا لطلبِ العقولِ سابقين، ولشحذ همم الطلبةِ مبادرين، فجزاهم ربُّ البريةِ خير الجزاء.

هذا، ولهدفهمْ بلوغَ القمة، ونبوغَ الهمةِ، أنشأتْ مسابقةً في "شتى المجالات" لإثراءِ المواهبِ والقدراتِ، وكانَ من هذه المجالات "البحوث والدراسات" فألِفتُ ما سطَّروه، وألفيتُ بحثًا معالمُه لم تكتملْ، في شخصيةٍ بارزةٍ، وفي صحابيةٍ لا أعلمُ له مثيلاً من الصحابياتِ والصحابة، هيَ أم المؤمنينَ وسيدةُ العالمين (عائشةُ بنت أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنها)، ويعلمُ الله كمْ أحببتها لحبِّ الله تعالى لها، ولحبِّ زوجها -نبي الرحمةَ- لها، ولحبِّ الصحابةِ وتبجيلهم لقدرها ومكانتها، فكتبتُ لذلك "سيرتها العطرة" وأبديتُ رغبتي للمشاركةِ في هذه المسابقة، نفعًا لنفسي في أن أتمِّم ما تشجمت، ونفعًا لأبنائها في أن يجدِّدوا حبَّهم لسيدةِ الخلق، ويزيدوا على ذلك معرفةً لها حقَّ المعرفة، فيحفظوا له قدرها، ويُعلموا العبادَ فضلها ومكانتها، ويذبوا عمَّا خدشهُ الأوباشُ



في شخصها، ثم إني رصعتُ واستهللتُ في بحثي هذا "تعريفًا موجزًا" بالصحابةِ وأمهاتِ المؤمنينَ وآلِ البيتِ ﷺ أجمعين؛ تبيانًا لفضيلةِ أم المؤمنينَ بالعمومِ، ولترابطِ بحثنا الموسوم بهؤلاءِ الطائفةِ السابقين. وسميتُهُ (اللُّؤْلؤُ البَريق فِي سِيرَة بنتِ الصِّدِّيقِ.)

منهجُ البحْثِ:

● ومنهجي في "بحثي المتواضع" هو التالي:

شملتُ فيه (تسعة فصول) كان الفصل الأول في "التعريف بالصحابةِ وذكر فضلهم والتحذير من الطعن فيهم" فكانَ هذا كإجمالٍ بلا إهمال، ثم الفصل الثاني في "ترجمة أمهات المؤمنينَ وذكرِ فضائلهنَّ العامةِ والخاصةِ" لمكانتهم عندَ رسول الله وعندَ المسلمين ولمشاركتهمْ في الرتبةِ عائشةَ أم المؤمنينَ، ثم الفصل الثالث في "آل البيت والتعريف بهم وذكر فضلهم وموقفهم تجاه الصحابة" كأبي بكر وابنته عائشة –ﷺ-؛ ذلكَ أن المغرضينَ أفسدوا علاقةَ أم المؤمنينَ بهم!، ثم الفصل الرابع في "ترجمة مفصَّلة لأم المؤمنين عائشة" استقرأتها واستقيْرتها من كتب الأصول وكتب التراجم وفيه ذكر "نشأتها وخصائصها وفضائلها ومكانتها في العلم ومنزلتها عند الصحابة واستدراكاتها عليهم وسؤالاتهم وسؤالاتها" وغير ذلك، ثم الفصل الخامس في "حادثة الإفك وما جاء فيها من الفوائد" من الآياتِ والأحاديثِ وأقاويل الأئمة وحل مسائل في القصة ومشكلات فيها، ثم الفصل السادس في "أدوار أم المؤمنين وحياتها في عهد الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي أبا تراب ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ أجمعين" بكلام مختصر مهذب، ثم الفصل السابع وفيه "حادثة الجمل وما جاء فيها من خبر" على المختار ممَّا ذكره أهل التاريخ، وفيه تحقيق مشكلات هذه الحادثة، ثم الفصل الثامن في"التعريفِ بالرافضةِ تعريفًا موجزًا وبيان نشأتهم وذكر موقفهم تجاه الصحابةِ وتجاه أم المؤمنين", ثم الفصل التاسع في "الشبهات الزائفة -وردِّها- والأخبار الباطلة -وتكذِيبها- التي جاءتْ في أم المؤمنين عائشة" ثم كلمةٌ أخيرةٌ في "خاتمة البحث"، ثم فهرسة المواضيع العامة التي جاءت في ثنايا هذا البحث.

●وجاءَ في ثنايا البحثِ "إضَاءاتٌ نيراتٌ" محفزةٌ للقارئ أن يتمّم هذا البحثَ من "قصيدةٍ ومن موقفٍ ومن عظةٍ ومن فائدة" كلها تتعلق بأم المؤمنين.

●وعزوتُ كل معلومة إلى أصلها –على ما يسره الله- لي، سواء أكانَ من القرآن الكريم أو الحديث الشريف فإن كان الحديث في البخاري ومسلم اكتفيت بذكرهما، وقد أكتفي أحيانا بأحدهما، وإن كانَ في غيرهما عزوتُ لمصدرٍ



واحدٍ مع بيانِ الحكم عليه في الأحاديث المرفوعة –غالبًا- من كلام الشيخ الألباني أو الشيخ شعيب الأرناؤوط، وهكذا كل قولٍ أوردتهُ فإنه عوته إلى أصله، مكتفيًا بأشهر الطبعات للمصادر والمراجع.

والله الموفق.

الفصلُ الأولُ
(فِي ذكرِ الصحابةِ والتعريفِ بهم وذكرِ فضلِهم والتحذير من الطعنِ بهم).

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الصحابة، وذكر طبقاتهم، وطرق معرفتهم، وتفضيلهم.

إن من الدفاعِ عن عائشةَ –رضي الله عنها- التعريف بصويحباتها وأصحابها المؤمنينَ، نعم.. لأنها من جملةِ من ﷺ وأرضاهم؛ فحُقَّ لأصحابِ النبي تخصيصُ قولٍ في التعريف بهم وذكرِ فضلهم بعموم القرآن والسنة، ذلكَ أنا إذا علمنا أن الله يمدحُ الصحابة ويرضى عنهم، فلا يشكُّ مسلم أن (أم المؤمنين الطاهرة التقية عائشة رضي الله عنها) داخلةٌ في هذا الفضلِ، وقبلَ أن أفِي بذكرِ مكانتهم أعرِّجُ على التعريفِ بهم، فأقولُ وبالله أستعين:

الصحابي في اللغة: الصحابي لغة مشتق من الصحبة، وهي المعاشرة، ولا يشترط في إطلاق اسم الصحبة لغةً: أن تكون الملازمة بين الشيئين طويلة الأمد، أو الملابسة بينهما عميقة، لأنها اسم مشتق من فعل، والأسماء المشتقة من الأفعال يصحُّ أن تطلق بمجرد صدور الفعل، ولا علاقة لها بمقدار تحقُّق ذلك الفعل في الشخص.

الصحابي في الاصطلاح: هو "كل من لقي الرسول ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، سواء أطال هذا اللقاء أم قصر"، والدليل على هذا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واللغة العربية.

فمن القرآن: قال تعالى﴿ :كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ [1] ﴾فسماهم الله تعالى أصحاب السبت؛ لأنهم فعلوا هذا المنكر في يوم السبت.

---

[1] () [النساء: 47].

ومن السنة: عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله » :ﷺلا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني « [2].

ومن العربية: قال الفيومي: والأصل في هذا الإطلاق -أي إطلاق اسم الصحبة من حيث اللغة- لمن حصل له رؤية ومجالسة.[4] [3].

(طبقاتُ الصحابةُ) إن الصحابةَ كما سبق هم المؤمنون المصدقون، وقد بلغ حب المصطفى ﷺ أعلى المراتب، ولكنْ قسمهم ابن سعد –رحمه الله– في كتابه "الطبقات الكبرى" على حسب القِدم والمشاهد إلى خمس طبقات، وهذا لا يعني تنقيصًا أو تقصيرًا في مكانتهم، وهذه الطبقاتُ الخمسُ هي:

الأولى: البدريون من المهاجرين والأنصار.

الثانية: مَن أسلم قديمًا ممن هاجر عامتهم إلى الحبشة، وشهدوا أحُدًا فما بعدها.

والثالثة: من شهد الخندق فما بعدها.

الرابعة: مسْلمَة الفتح فما بعدها.

الخامسة: الصبيان والأطفال ممن لم يغزُ سواء حفظ عنه –وهم الأكثر– أم لا.[5]

والدليلُ على وجودِ الطبقاتِ: قولُه تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ قال جلال الدين السيوطي: قال ابن العربي: في الآية دليل على أن للصحابة مراتب، وأن الفضل للسابق، وعلى تنزيل الناس منازلهم؛ وقال إلكيا: فيه دليل على أن أفضلية العمل على قدر رجوع منفعته إلى الإسلام والمسلمين، لأن الأجر على قدر النصب[6] انتهى.

---

[2] () أخرجه ابن أبي شيبة (حديث رقم 33084) وابن أبي عاصم في السنة (1480) قال ابن حجر: إسنادهُ حسن, وانظر (السلسلة الصحيحة) (.3283).

[3] () (المصباح المنير) (333/1).

[4] () انظر التفصيل في التعريف للصحابي من حيثُ اللغة والاصطلاح كتاب (نزهة النظر بشرح نخبة الفكر لابن حجر) (238/1) و (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي) (209/2) و (فتح الواحد العلي في الدفاع عن صحابة النبي لعبد الله السعد) (ص5) و (الصحابة ومكانتهم عند المسلمين) لمحمود الدليمي (4/1).

[5] () والمشهورُ تقسيم طبقاتهم إلى اثنتا عشرة طبقة ذكرها الحاكم في (معرفة علوم الحديث) (22, 24) ، ولكن أوردتُ ما قرره ابن سعد باغيًا الاختصار.

[6] () (الإكليل في استنباط التنزيل) (ص 255), وانظر (محاسن التأويل) للقاسمي (29/7) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(طرق معرفة الصحابي) للعلماء في معرفة الصحابي ﷺ طرق يعرفونه بها، ويمكن إجمال هذه الطرق بما يلي:

الأولى: الخبر المتواتر، كصحبة أبي بكر وعمر .ﷺ

الثانية: الخبر المستفيض أو المشهور؛ وهو الخبر الذي لم يصل إلى حد التواتر، كصحبةِ عكاشة بن محصن وضمام بن ثعلبة وغيرهما.

الثالثة: روايتُهُ عن النبي ﷺ سماعًا أو مشاهدةً، كأن يقول (سمعتُ رسول الله) أو (رأيتُ رسول الله).

الرابعة: إخبار بعض الصحابة عنهُ؛ أنه صحبَ رسول الله ﷺ، وهو أكثر من أن يحصر.

الخامسة: شهادة ثقات التابعين في حقه بكونه صحابيًا.

السادسة: إخباره عن نفسه بصحبته لرسول الله ﷺ، بشروطِ العدالةِ له والمعاصرة.

وفي تلكمُ الطرق يقول الإمام السيوطي رحمه الله:

وَتُعْرَفُ الصُّحْبَةُ بِالتَّوَاتُرِ *** وَشُهْرَةٍ وَقَوْلِ صَحْبٍ آخَرِ

أَوْ تَابِعِيٍّ، وَالأَصَحُّ: يُقْبَلُ *** إِذَا ادَّعَى مُعَاصِرٌ مُعَدَّلُ.[7]

(بِمَ فضِّلَ الصحابةُ على غيرهم؟) إن مراتبَ التفضيل بين العاملينِ سبعةٌ، وهيَ واقعةٌ فيما بينَ الصحابةِ وغيرهم وهذه السبعةُ هي: الماهيَّة، والكيفيةُ، والكمية، والزمان، والمكان، والإضافة، والكم. فإذا علمتَ أن (الزمانَ والإضافة) لا يشارك في ذلكَ أحدٌ الصحابةَ –ألبتة– كفاهمْ شرفًا وفضلاً.

(من أفضلُ الصحابةِ؟) اتفق أهل السنة على أن أفضلَ الصحبِ أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب، ثم جمهورُ أهل السنَّةِ –خلافًا لأهلِ الكوفةِ– على تقديمِ عثمانَ على عليٍّ –وهو الحقُّ والواجب المصِيرُ إليهِ–.

* قال الإمامُ أبو منصور البغدادى: أصحابنا مُجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم بيعة الرضوان وممن له مزية كأهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون

---

[7] () (معرفة أنواع علوم الحديث) (ص397) لابن الصلاح, و (ألفية السيوطي) (ص42) مع شرح الإثيوبي (183/2), وراجع بحثًا منشورًا موسومٌ بـ (تعريف الصحابة وطرق معرفتهم وطبقاتهم) لأحمدَ الأزهري.



الأولون، وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة؛ وفى قول الشعبي: أهل بيعة الرضوان وفى قول عطاء ومحمد بن كعب: أهل بدر .[8]

المطلب الثاني: الدليل على فضل الصحابة من القرآن الكريم وما جاءَ في التحذير من الطعنِ بهم.

(الآيةُ الأولى) قال الله سبحانه تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)﴾ [محمد: 29].

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن محمد أنه رسول الله حقًا بلا شك ولا ريب فقال) :مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ) وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه.. فقال (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ).... ثم قال تعالى مادحًا لهم (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ﷻ والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب، ورضاه تعالى عنهم، وهو أكبر من الأول كما قال تعالى (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ).

* ثمَّ قال الإمامُ –رحمه الله-: الصحابة رضوانُ الله عليهم: خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه فى سمتهم وهديهم. قال مالك: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلَغنا.

* ثم قال الإمام –رحمه الله- بعدَ ذلكَ: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله عليه فى رواية عنه: بتكفير الروافض الذين يغضون الصحابة، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، ثم قال ﷻ (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .[9]

---

[8] () (المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج) للإمام النووي (147/15).
[9] () (تفسير القرآن العظيم) (362/7).

(الآية الثانية) قال ﴿: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. [الحشر: 8-10].

فانظر إلى مديح الله ﷻ لهؤلاءِ الطوائف الثلاث، حيثُ بدأ بأعلاهم رتبة وهم (المهاجرون) الذي باعوا دنياهم لدينهم، فتركوا الأهلَ والمالَ والمتاعَ، وهاجروا مع رسولِ الله إلى المدينةِ يريدونَ بذلك ابتغاءَ فضلِ الله ورضوانه، يريدون نصرَ الله ورسوله وإعلاء كلمةِ الإسلام، ذلك أنهم صدقوا مع أنفسهم فصدقوا مع ربهم.

وأمَّا الطائفةُ الثانية وهم (الأنصار) الذين توطَّنوا المدينةَ وأخلصوا الإيمانَ، نذروا على أنفسهم حبَّ المهاجرين وإيوائهم ومعاونتهم، فلا يكتمونَ حسدًا ولا يقبضونَ أموالهم شحًا، بل شعارهم الإيثار، وعنوانهم الإنفاق في سبيلِ الله، فنالوا بذلك قول رسولِ الله فيهم (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق) .[10]

وأما الطائفةُ الثالثة وهم (التابعونَ لهم بإحسانٍ) فقد قال الإمام القرطبي –رحمه الله– فيهم :هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدًا منهم أو اعتقد فيه شرًا إنه لا حق له في الفيء، روى ذلك عن مالك وغيره، قال مالك رحمه الله: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد، أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ...) الآية.[11]

(الآية الثالثة) قال الله ﴿: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10].

---

[10] () أخرجه البخاري (3783) ومسلم (246).
[11] () (الجامعُ لأحكام القرآن) لأبي عبدِ الله القرطبي (32/18).

قال الشيخ عبد الله السعد حفظه الله: وهذه الآية أيضًا شاملة لكل الصحابة ﷺ، لمن أنفق قبل فتح مكة وقاتل، ولمن أنفق من بعد الفتح وقاتل، وكلهم وعدهم الله بالحسنى؛ والحسنى هي الجنة، كما قال الله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[12] ﴾. وفسَّر السلف الحسنى "الجنة" كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) .[13]

(الآية الرابعة) قال الله ﴿ :ﷻلَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: 18].

أثبتَ الله في هذه الآية رضاه عن الصحابةِ الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعةَ الرضوانِ يومَ الحديبية، فلما علمَ الله صدقهم وصفاءَ سريرتهم أنزلَ الله عليهم الطمأنيةَ والأمنَ، وأثابهم الفتح العظيم "فتح خيبر" سنة سبعٍ للهجرة، ونالوا مع ذلك الشهادة لهم بالجنةِ والعصمةَ من النار؛ فعن أم مبشّرٍ رضيَ الله عنها قالتْ: قال رسول الله) ﷺلا يدخل النار أحدٌ ممنْ بايعَ تحت هذه الشجرة (.[14]

(الآية الخامسة) قال الله ﴿ :ﷻوَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

يخبر سبحانه وتعالى رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعدَّ لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم؛..(فهل يمكن أن يصلهم مكروه بعد أن رضي عنهم الملك الجليل، أو يلحقهم عيب بعد أن جملهم بثنائه الجميل، أو يصل إليهم سوء بعد أن وعدهم الحسنى، وجعلهم من رضوانه في المحل الأسنى؟ حاشا وكلا، وكفى بمن يعتقد خلاف ذلك ضلالاً وجهلاً؛ أمَا يكفي رضاه تعالى عنهم أن يكون لهم من الأسواء حصنا ومن المخاوف أمنا؟ بلى والله إن فيه أعظم كفاية وأقوى وقاية!) .[15]

---

[12] () [يونس: 26].

[13] () (فتح الواحدِ العليّ في الذبّ عن صحابةِ النبي) للشيخ عبد الله السعدِ (ص3).

[14] () أخرجه مسلم (6560) , والترمذي (3795) بسندٍ صحيح واللفظُ له.

[15] () انظر مقدمة (الأساليب البديعة في فضلِ الصحابةِ وإقناع الشيعة) للشيخ العلامة يوسف بن سعيد النبهاني.



قال الإمام جلال الدين السيوطي: في هذه الآية تفضيل السابق إلى الإسلام والهجرة، وأن السابقين من الصحابة أفضل ممن تلاهم .[16]

(الآية السادسة) قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 172-173].

قال الشيخُ محمد بن العربي المغربيُّ: اشتملت هذه الآية على مدح عظيم للصحابة بقوة الإيمان والصبر على البلاء وتفويض كل الأمور باللجوء إلى الله تعالى، وعلى وعْده تعالى للمحسنين المتقين منهم بالثواب العظيم، وقد فعلوا ما وعدهم بالثواب عليه؛ ولا خلاف بين العلماء أن الذين استجابوا لله والرسول هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه وقعة أحد، أجابوا في ثاني يومها حين دعاهم إلى الخروج وراء قريش. قال لهم: (ولا يخرج معنا إلا من حضر أحدًا) .[17]

(الآية السابعة) قال سبحانه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

* قال ابن عباسٍ –رضيَ الله عنه-: هم الذين هاجروا مع النبي (من مكة إلى المدينة)، قال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم .[18]

(الآية الثامنة) قال سبحانه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143].

قال الشيخ محمد بن العربي المغربي: وفيها دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكمِ به لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعدهم، فقول الصحابة حجة

---

16 () (الإكليل في استنباط التنزيل) (144/1), وانظر (محاسن التأويل للقاسمي) (192/4), و (تفسير القرآن الحكيم) (12/11) لمحمد رشيد رضا, فإن عرضه للطوائف في الآية مفيد.

17 () (إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة) (ص47) وهو من أنفسِ الكتب التي كتبتْ في هذا الموضوع.

18 () (تفسير القرآن العظيم) (94/2), وسيأتي تخريجُ الحديث في المطلب الآتي.



وشاهد على التابعين وقول التابعين حجة على من بعدهم، وإذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم، وقد احتج بها جمهور أهل السنة، وجمهور المعتزلة على حجية إجماع الأمة .[19]

(الآية التاسعة) قال سبحانه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8].

الله أكبر! انظر كيفَ كتبَ الله على نفسِهِ في هذا اليومِ العظيم، والهولِ الشديد، بأنْ يكرمَ رسولَ الله وصحابتِهِ بالجنةِ والنور التامِ السابغ عليهم المشتمل بهم، فلا خزيٌ ولا ندامةَ، بل فرحٌ وسعادة، فإنهم مع ما هم عليه يسألونَ ربهم بأن أتْمم نورنَا وأدخلنا الجنة بمغفرتك وسعةِ رحمتك.

فالخلاصة أخي لقارئ...

تأمل هذه الآيات العظام في التنصيصِ على فضلِ النبيّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وفضلِ من صحبهِ ومن هاجرَ معه ومن ناصرَه، ومن قاتلَ وجاهدَ وبايعَ معه، فيا ترى إن لم يكونوا هؤلاءِ الصحابة، فباللهِ من يكونُ؟ إن لم يكونوا هؤلاءِ خيرُ أمة أخرجتْ من أمةِ محمدٍ فمن يكون؟ فلا نرضى الدنيَّةَ في ديننا بالتبرير لأهلِ الروافضِ الذين صعدوا السُّحبَ العِراض للطعنِ على "سيدِّ الخلقِ" بتأويلهم الفاسدِ فيما وردَ من الفضلِ الجليلِ والثواب الجزيل لصحابتِهِ الطيبينَ الطاهرين.

– اللهم احشرنا في زمرتهم يا ربَّ العالمين، وشفعنا بهم ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

المطلب الثالث: الدليل على فضل الصحابة من السنةِ النبوية وما جاءَ في التحذير من الطعنِ بهم.

قد تواترتِ الأحاديثُ عن النبي ﷺ في مدحِ الصحابةِ ووجوبِ محبتهم على المسلمين، والتوقي الشديد من التعرضِ لشخصهم أو التغمُّز في أفعالهم، ذلك أن الطعنَ بهم يستلزمُ طعنًا بسيدهم (عليه الصلاة والسلام) ، كما قالوا (يعرفُ الخليل بخليله).

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قرينه *** فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

وهذه جملةٌ من الأحاديثِ الصحاح في بيانِ ما قررناه؛ فهاكها:

---

[19] () (إتحاف ذوي النجابة) (ص32).

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَه.[20])

قال البيضاوي: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت: ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية.[21]

*عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.[22])

قال الحافظُ ابن حجر: والمراد بقرن النبي في هذا الحديث "الصحابة"، وقد ظهر أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مائة وعشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل. **وقال الحافظُ ابن حجر:** واقتضى هذا الحديث أن الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثاني نحا الجمهور.[23]

*عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ [24] مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُقَالُ نَعَمْ فَيُفْتَحُ.[25])

* ومثله حديث واثلة: (لا تزالون بخير مادام فيكم من رآني وصاحبني والله لا تزالون بخير مادام فيكم من رأى من رآني وصاحبني.[26])

هذان الحديثانِ واضحا الدلالة على فضل الصحابة العظيم الذين نالوه بإخلاصهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ، وتأملْ في الحديثِ الأولِ أن رسول الله علق الفتح لمجردِ الصحبةِ، فلم يقل

---

[20] () أخرجه البخاري (3673), ومسلم (2540).

[21] () (فتح الباري) (34/7).

[22] () أخرجه البخاري (2651), ومسلم (2535).

[23] () (فتح الباري) (6/7).

[24] () الفئام: معناه الجماعة من الناس, ولا واحد له من لفظه, وهو مهموز؛ والعامة تترك همزه.

[25] () أخرجه البخاري (2897), ومسلم (2532).

[26] () سبق تخريجه.



(فيكم من رآى رسول الله وكانَ معه)! ولا قال (فيكم من جاهد أو ناصر)! ونحو ذلك؛ كل هذا ليبيِّنِ شرف الصحبةِ المطلقةِ لنبي الله محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأما الحديث الآخر فهي مزيدُ مزيةٍ ورتبةٍ وتفضيل في كونِ أن الذي رآى النبيَّ وصحِبه ولازمه نالَ قصب السبق من غيره!

* عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ قُلْنَا لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ – قَالَ – فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ «مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ». قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ.[27] »

قوله (أَمَنَة السماء) الأَمَنَةُ: جمع أمين، وهو الحافِظُ، أي: إن الملائكة حفظة السماء.

وقوله (أتى السماء ما توعد) إشارة إلى انشقاقها وذهابها.

وقوله (وأنا أمنةٌ لأصحابي) قال بعضهم: الأمنة الوافر الأمانة؛ الذي يؤتمن على كل شيء، سُمِّي المصطفى ﷺ به لأنه ائتمنه على وحيه ودينه.[28]

وقوله (أتى أصحابي ما يوعدون) إشارة إلى وقوع الفتن، ومجيء الشر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان ﷺ بين أظهرهم كان يبيّن لهم ما يختلفون فيه، فلما فُقِد جَالت الآراء واختلفت، فكان الصحابة يُسنِدون الأمر إلى رسول الله ﷺ في قول أو فعل أو دَلالة حال، فلما فُقد الصحابة قلَّ النُّور وقَويت الظلمة .[29]

قال الإمام المناوي رحمه الله: قال العامري: عَنَى هنا أئمة أصحابه الذين لازموا دوام صحبته سفرًا وحضرًا؛ فتفقهوا في الدين وعلوم القرآن وساروا بهديه ظاهرًا وباطنًا، وهم القليل عددا من أصحابه يقتدي بهم كل من وقع في عمياء الجهل .[30]

---

[27] () أخرجه مسلم (6629).
[28] () (فيض القدير بشرح الجامع الصغير) (386/6) للعلامة عبد الرؤوف المناوي.
[29] () انظر (إكمال المعلم شرح صحيح مسلم) (285/7) للقاضي عياض, و(المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج) (83/16) للنووي, و(فيض القدير بشرح الجامع الصغير) (385/6) للمناوي, و(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) (17/304) (لملا علي القاري.
[30] () (فيض القدير بشرح الجامع الصغير) (386/6) للعلامة عبد الرؤوف المناوي.

المطلب الرابع: الدليل على فضل الصحابة من كلامهم وما جاءَ في التحذير من الطعنِ بهم.

قد تقرر لدى صحابةِ رسول الله ﷺ أنَّ قرنهم خير القرونِ على الإطلاق، وأن صحابة رسول الله هم خيرُ طائفةٍ نصرتْ رسول الله وكانت معه، فعلموا أنهم بذلك فُضِّلوا على غيرهم، وحذَّروا مع ذلك النيلَ فيهم بغمزٍ أو لمز، وممَّا جاءَ في ذلك:

* عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم) ،وقال معاوية في حديثه: (يا ابن أختي أمُرِوا أن يستغفروا لأصحاب محمد فسبوهم).[31]

*عن ابن عمر ﷺ قال: (لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره) .[32]

* عن جابر ﷺ قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: (إن أناسًا يتناولون أصحاب رسول الله حتى أبا بكر وعمر! قالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل؛ فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر) .[33]

* عن عبد الله بن مسعود ﷺقال: (إن الله ﷻ نَظَرَ في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه) .[34]

والمراد أنه تعالى خلق قلبه ﷺ خير قلب بطريق الكناية، وليس المراد أنه علم خيريته بالنظر –ولم يكن عالمًا بها بدون النظر !–؛ وفيه أن مدار الأمر على طهارة القلب .[35]

---

31 () أخرجه مسلم (3022).

32 () أخرجه ابن ماجه (158) و ابن أبي شيبة (12463/2), **وصححه البوصيري والألباني.**

33 () (جامع الأصول) (408/9-409) , ولم أجد من خرجه, بل هو من زيادات رزين كما يقول الشيخ أيمن صالح شعبان.

34 () أخرجه أحمد في مسنده (3600) تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسن إسناده, وقال الهيثمي في (الزوائد) (177/1): رجالهُ موثوقون اه.

35 () قاله بعض أهل العلم معزوًا إلى الإمام السندي, ولم أظفر بالمرجع!.

* عن ابن عمر ﷺ قال: (كان أصحاب رسول الله خير هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله عزوجل لصحبة نبيّه ونقل دينه) .[36]

* عن نسير بن ذعلوق قال: سمعت ابن عمر ﷺ يقول: (لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة) .[37]

- فاللهم ارضَ عن صحابةِ نبيكَ ﷺ، وارضَ اللهم عمن رضيَ عنهم ونافحَ عنهم، وأرغمَ الله أنفًا مجتدعَ العزِّ مدنوف النفس يتعرَّض لصحابةِ رسول الله بغمزٍ أو لمزٍ أو شتم أو طعن.

المطلب الخامس: الدليل على فضل الصحابة من تقريراتِ أهل السنة والجماعة وما جاءَ في التحذير من الطعنِ بهم.

إن من عقيدةِ أهل السنةِ والجماعةِ: الحكمُ بعدالةِ الصحابةِ جميعهم، ووجوبُ الترضي عنهم وحبهم وحب من يحبهم، وعدمُ بغضهم بل بغض من يبغضهم أو يعاديهم؛ لا يعلمُ لذلك خلافًا بين أهل السنة، ومن تِلكُمُ التقريرات:

قال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله: (إذارأيت الرَّجلَ يَنْتَقِصُ أحدًا منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ؛ فاعْلَمْ أنَّه زِنْدِيقٌ، وذلك أنَّ الرَّسولَ ﷺ عندناحقٌّ، والقرآنُ حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسُّنَنَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يُجَرِّحُوا شهودَنا لِيُبْطِلُوا الكتابَ والسُّنَّةَ، والجَرحُ بهم أَوْلَى؛ وهم زَنادِقَة.[38])

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله كما وصفهم الله في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ.[39] ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: (والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، وقول المعتزلة: "الصحابة عدول إلا من قاتل عليا" قولٌ باطلٌ مرذولٌ مردودٌ) .[40]

---

36 () (شرح السنة) للبغوي (214/1) تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.

37 () (سنن ابن ماجه) (162) طبعة الرسالة وهو حسن عند الشيخ الألباني.

38 () (تهذيب الكمال) (19/ 96) تحقيق الدكتور بشار عواد, وانظر (الكفاية في علم الرواية) (ص97).

39 () (متن العقيدة الواسطية) (12/1).

40 () (الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث) (ص 222).

قال ابن حجر رحمه الله: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة.(41)

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: (ونحب أصحاب محمد، ولا نفرط فى حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق وعصيان) .(42)

قال القرطبي رحمه الله: فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد تذهب شرذمة لا مبالاة بهم، إلى أنَّ حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم فى بداءة الأمر فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث، وهذا مردود فإن خيار الصحابة كعليٍّ وطلحة والزبير وغيرهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى (مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .(43)

المطلب السادس: (واجبُ المسلمينَ تجاه أخطاءِ الصحابةِ .(رضي الله عنهم)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الصددِ: (فإن باب الإحسان إلى الناس والعفو عنهم مقدم على باب الإساءة والانتقام... فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة، فإذا كان هذا في حق آحاد الناس فالصحابة أولى أن يسلك بهم هذا؛ فخطأ المجتهد في الإحسان إليهم بالدعاء والثناء عليهم والذب عنهم خير من خطئه في الإساءة إليهم باللعن والذم والطعن، وما شجر بينهم غايته أن يكون ذنبًا! والذنوب مغفورة بأسباب متعددة هم أحق بها ممن بعدهم. وما نجد أحدًا يقدح فيهم إلا ويعظم من هو دونهم، ولا نجد أحدًا يعظم شيئًا من زلاتهم إلا وهو يغض عما هو أكبر من ذلك من زلات غيرهم؛ وهذا من أعظم الجهل والظلم) .(44)

---

41 () (الإصابة في تمييز الصحابة) (17/1).
42 () (متن العقيدة الطحاوية) (57/1).
43 () (الجامع لأحكام القرآن) (299/16) تحقيق أحمد البردوني.
44 () (منهاج السنة النبوية) (209/4) تحقيق محمد رشاد سالم.



قال محمود الدليمي: وقد كان سلفنا الصالح على درجة كبيرة من تقديرهم حتى إنهم عدُّو من طعن في أي صحابي كانَ مرتكبًا لأكبر الفواحش والمحرماتِ، فهذا الإمام النووي يقول: (واعلم أن سب الصحابة فواحش المحرمات) .[45]

فصلٌ في (وجوب السكوت عما شجرَ بين الصحابةِ .)ﷺ

نُقلَ الإجماعُ على لزومِ السكوتِ عما شجرَ بين الصحابةِ، ولزومِ الترضي عنهم كلهم، فمن ذلكَ:

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار –حجازًا وعراقًا ومصر وشامًا ويمنًا– فكان من مذهبهم: الترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ، وعلى آله، والكف عما شجر بينهم [46]اهـ.

وأخرج عبد الرزاق: عن طاوس قال: قال رسول الله » :ﷺإذ ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا.[47] «

ومعناهُ: عدم الكلام والقدح فيهم، وليس معناه عدم ذكر ما جرى مثلاً في صفين أو الجمل، فإن هذا أولاً أخبر عنه الرسول ﷺ، ثم هو تأريخ، ولذلك ذكره ودوَّنه أهل العلم، بل وأُلفت المؤلفات الخاصة في ذلك، وأطال الكلام في ذلك ابن جرير وابن كثير وابن حجر وغيرهم من أهل العلم، ولكن لم يبنوا على هذا القدح في الصحابة والطعن فيهم .[48]

ولذلك؛ فمن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله: (فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى اجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان، الذين مدحهم الله ﷻ بقوله ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ[49] ﴾.

---

45 () (الصحابة ومكانتهم عند المسلمين) (39/1).

46 () (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي (176/1).

47 () أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) (78/2) , وابن عساكر (49/ 40) , وجميع طرق الحديث مرسلة, إلاَّ أن بمجموعها صحح الحديث الشيخ الألباني رحمه الله!.

48 () مقدمة كتاب «الإبانة لما في الصحابة من المنزلة والمكانة» (51) للشيخ حمد الحميدي, بتقديم: عبد الله السعد.

49 () [الحشر:10].

ويقول أيضًا في تعليقه على الحديث المشار إليه: (لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفضائلهم، وإنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم وما يفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الوجدة) [50].

إذًا فالإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك مخصوص يقصد منه عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لاخرى[51].

ونحن لم نؤمر بما سبق؛ وإنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، وإذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل.[52]

الفصل الثاني
(ذكرُ ترجمةِ أمهاتِ المؤمنين وبعضِ الفضائل الكريمة الخاصة لهنَّ).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بهم وذكرِ مناقبهم الخاصةِ بهن.

---

50 () (الإمامة والرد على الرافضة) (ص 347).
51 () (منهج كتابة التاريخ الإسلامي) لمحمد بن صامل (ص 227).
52 () (منهاج السنة) (6/ 254).



إنَّ أزواج النبي ﷺ من أفضل نساء العالمين يقول تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ(53)﴾. لذا سنوردُ أطرافًا في أمهاتِ المؤمنين "ترجمةً" وسنذكر أطرافًا من "مناقبهنَّ" بكلامٍ مسهلٍ غير طويل ممل؛ ولا قصير مخلّ إن شاء الله، وإني على يقين منكَ –أيها القاري الكريم– أنك بأشدِّ الاشتياقِ إلى ذكر "أم المؤمنينَ عائشة رضي الله عنها" ولكنِّي أخَّرتُ أمرها لأني سأفردُ لها فصولاً وفوائدَ وفرائد –بمشيئة الله–، وأما تبيانُ ما أردناه؛ فهاكه:

(أ) **خديجةُ بنت خويلدٍ –رضي الله عنها-** :بن أسد بن عبد العزى بن قُصي. وقُصي جد النبي ﷺ، وهي ثاني أقرب أمهات المؤمنين إليه نسبًا من جهة الأب، ولم يتزوج غيرها من ذرية قُصي إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان.

وهيَ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالاً، تزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة؛ وتوفيت قبل الهجرةِ بثلاثِ سنين. وَمِنْ مَنَاقِبِهَا:

1– أنها من السابقين الأولين إلي الإسلام: فهي أول الناس إيمانًا بما أنزل الله، فكان لها أجرها وأجر من آمن بعدها.

2– كانت خير نساء أمة محمد ﷺ. روى البخاري بإسناده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة.(54))

3– سلام الله عليها وبشارتها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. روى الشيخان بإسناديهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرِّها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب).(55)

(ب) **سودة بنت زمعة –رضي الله عنها-** :بن قيس بن عبد شمس بن عبدُ وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

---

53 () [الأحزاب: 32]

54 () أخرجه البخاري (.3432)

55 () أخرجه البخاري (1792) ومسلم (6426)، وللإمام عبد الصمد بن عساكر مصنف (فضائل أم المؤمنين خديجة).



أسلمت بمكة قديمًا وهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة الهجرة الثانية، مات زوجها هناك، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، توفيت سنة (55هـ). ذكر ابن حزم، وابن الجوزي، أنها روت خمسة أحاديث. وَمِنْ منَاقِبِهَا:

1- حرصها على البقاء في عصمة النبي ﷺ، فقد وهبت يومها في القَسْم لعائشة تقربًا إليه ﷺ وحبًا له، ولتكون من زوجات النبي ﷺ في الجنة.(56)

2- تمني عائشة أن تكون مثل هديها وطريقتها. روى مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيتُ امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة... ".(57)

(ج) **حفصة بنت عمر بن الخطاب –رضي الله عنها-** :العدوي القرشي، وهي أخت عبد الله لأبيه.

تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث للهجرة بعد زوجها خنيس بن حذافة البدري المتوفي بالمدينة، وكانت صوّامة قوّامة، وتُوفيت في شعبان سنة 45هـ .ذكر ابن حزم في "أسماء الصحابة والرواة" أنها روت ستين حديثا. وَمِنْ منَاقِبِهَا:

1- شرِّفت بالهجرة مع زوجها، روى ابن سعد بإسناده إلى أبي الحويرث، قال: (تزوج خنيس بن حذافة من حفصة بنت عمر فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة) .(58)

2- كثرة الصيام والقيام وهي زوجة المصطفى ﷺ في الجنة.

روى الطبراني بإسناده إلى قيس بن زيد "أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة.. فجاء النبي ﷺ فدخل فتجلببت فقال النبي ﷺ أتاني جبريل عليه السلام فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة".(59)

(د) **زينب بنت خزيمة –رضي الله عنها-** :بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية.

---

56 () أخرجه البخاري (2593).

57 () أخرجه مسلم (3702) , وكلمة المسلاخ تقال في المدح أو الذم, والمراد الأول والمعنى: أنها تمنت أن تكون مثل هيئتها وطريقتها.

58 () انظر "الطبقات الكبرى" (65).

59 () (المعجم الكبير) (315/13) وهو حديث حسن.



كان يقال لها أم المساكين لإطعامها إياهم والتصدق عليهم، استشهد زوجها عبد الله بن جحش بأحد فتزوجها رسول الله ﷺ. توفيت سنة (4 من الهجرة).

وأما مناقبها فهي (وإن كانت لم تُذكر لها مناقب على الخصوص فيكفيها ما جاء في حقهن على العموم، وكذلك صلاة رسول الله عليها لما ماتت، فتلك فضيلة اختصت بها؛ لأنه لم يمت في حياة رسول الله ﷺ من زوجاته إلا خديجة وهي، وصلاة رسول الله ﷺ رحمة واجبة للمؤمنين)[60].

(هـ) **أم سلمة –رضي الله عنها-** :هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية. تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد وهو ابن عمها، الذي هاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقيل إنها أول ظعينة دخلت المدينة.

وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا، وكانت آخر زوجات النبي ﷺ وفاةً؛ فقد توفيت سنة (61هـ). وذكر الذهبي أن مسندها يبلغ ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثًا. وَمِنْ مَنَاقِبِهَا:

1- زواج النبي ﷺ منها ودعاؤه لها، روى مسلم بإسناده إلى أم سلمة قالت: أرسل رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إنّ لي بنتًا وأنا غيور، فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله إن يذهب بالغيرة.[61]

2- أخبر ﷺ بأنها من أهل الجنة، روى أحمد بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها قالت: أغدف (غطى) رسول الله ﷺ على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم خميصة سوداء ثم قال:) اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي) قالت: قلت: وأنا رسول الله، قال: (وأنتِ.[62])

(و) **زينب بنت جحش –رضي الله عنها-** :بن رباب بن يعمر الأسدي حليف بني عبد شمس، من المهاجرات الأول. تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث أو خمس بعد ما كانت زوجة لزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.

---

[60] () شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين (20/1) بإعداد مركز البحوث والدراسات.

[61] () أخرجه مسلم (2165).

[62] () أخرجه أحمد (26582) وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

كانت زينب رضي الله عنها من سادات النساء دينًا وورعًا وجودًا وهي أول الأمهات لحوقًا بالنبي ﷺ حيث كانت وفاتها سنة (20 من الهجرة). ذكر ابن حزم، وابن الجوزي –رحمهما الله–، أنها روت أحد عشر حديثًا. وَمِنْ مناَقِبِهَا:

1- زوجها الله ﷻ لنبيه ﷺ من فوق سبع سموات: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً.(63) ﴾

وكانت تفتخر على الزوجات فتقول: (زوجكن أهاليكنَّ وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات).(64)

2- ثناء النبي ﷺ عليها بين أزواجه بتصدقها وإنفاقها في سبيل الله؛ روى مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله :ﷺ(أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا(قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا. قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.(65)

(ز) **جويرية بنت الحارث –رضي الله عنها-** :بن ضرار بن حبيب بن خزيمة الخزاعية المصطلقية، سبيت في غزاة بني المصطلق (المريْسيع)، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها. فقضى رسول الله ﷺ كتابتها، وتزوجها بعد ما كانت تحت مسافع بن صفوان المقتول في المعركة نفسها، وأعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من السبي فكانت بركتها على قومها عظيمة، توفيت سنة خمسين للهجرة. ذكر ابن حزم، وابن الجوزي: أنها روت سبعة أحاديث. وَمِنْ مناَقِبِهَا:

أنها كانت من المكثرات للعبادة الذاكرات الله كثيرًا: روى مسلم بإسناده إلى عبد الله بن عباس عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندنا بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟

---

[63] () الأحزاب:37].

[64] () أخرجه البخاري (.7420).

[65] () أخرجه مسلم (6470).

قالت: نعم قال النبي) :ﷺلقد قُلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قُلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.[66](

(ح) **أم حبيبة –رضي الله عنها-** :رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية عبد شمس بن عبد مناف الأموية.

أسلمت مع زوجها عُبيد الله بن جحش الأسدي وهاجر إلى الحبشة فولدت حبيبة، وتمسكت بدينها ثم هاجرت وتنصّر زوجها، وأبدلها الله زوجًا خيرًا منه رسول الله ﷺ، وهي أقرب نسائه إليه نسبًا، توفيت سنة (44هـ) ذكر الذهبي أن مسندها خمسة وستون حديثًا. وَمِنْ مناَقِبِهَا:

1- إكرامها فراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه أبوها وهو مشرك؛ وذلك لما قدم لتمديد الهدنة بين المسلمين وقريش.

2- هاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة.

(ط) **صفية بنت حُيي –رضي الله عنها-** :بن أخطب بن سعية من بني النضير من ذرية هارون بن عمران.

وفَّى النبي ﷺ كتابتها فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، توفيت سنة (52هـ). ذكر ابن حزم، وابن الجوزي، أنها روت عشرة أحاديث. وَمِنْ مناَقِبِهَا:

1- زوجة نبي وابنة نبي وعمها نبي: روى الترمذي عن أنس ﷺ قال: بلغ صفية أنّ حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي) :ﷺوإنك لابنة نبي، وإنّ عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفتخر عليك؟) ثم قال: (اتقي الله يا حفصة.[67](

2- وصفها النبي ﷺ بالصدق، لما قالت له في مرضه (أما والله يا نبي الله لوددت أنّ الذي بك بي) فتغامز بها أزواج النبي ﷺ فقال النبي) :ﷺأعبتنها فوالذي نفسي بيده إنها لصادقة.[68](

(ك) **ميمونة بنت الحارث –رضي الله عنها-** :بن حزن بن عامر بن صعصعة الهلالية.

زوّجها العباس–وكيلها– النبي ﷺ، وبنَى بها بسرف قرب مكة، وكانت آخر امرأة تزوجها سنة سبعة في عمرة القضاء؛ ذكرَ الذهبي أن جميعَ ما روت ثلاثة عشر حديثًا. وَمِنْ مناَقِبِهَا:

---

66 () أخرجه مسلم (7088).
67 () (سنن الترمذي) (3894) وصححه الشيخ الألباني.
68 () (مصنف عبد الرزاق) لعبد الرزاق الصنعاني (20922).

* شهادة النبي ﷺ لها بالإيمان؛ عن ابن عباس ﷺقال: قال رسول الله) :ﷺالأخوات مؤمنات ميمونة زوج النبي ﷺ وأختها أم الفضل بنت الحارث وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن.[69] (

المطلب الثاني: ما جاء في فضلِ أمهات المؤمنينَ بالعموم.

* نال آل بيت النبي ﷺ منزلةً عظيمةً، ودرجةً رفيعةً من التقدير والاحترام عند أهل السنة، وفق الحقوق التي شرعها الله لهم من المحبة والتولي؛ وذلك حفظًا لوصية رسول الله) ﷺأذكركم الله في أهل بيتي)، فالمسلمون عامةً وأهل السنة خاصةً يحبون آل البيت الأطهار ويحرّمون إيذاءهم أو الإساءة إليهم بشكل عام وأمهات المؤمنين بشكل خاص, ومن ذلكم الفضائل والمناقب:

-1تطهير آل البيت من الرجس -الشرك والشيطان والأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة- وأمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا.[70] ﴾

يوضح سياق الآيات أن آية التطهير تشمل نساءه ﷺ، كيف وهي قد نزلت فيهن.

-2منزلة الأمومة للمؤمنين، حيث جعلهن أمهات في التحريم والاحترام فضلاً عن صحبته ﷺ قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.[71] ﴾

-3اختيار الله ورسوله والدار الآخرة إيثارًا على الدنيا وزينتها، فكان جزاؤهن أن أعدّ الله لهن أجرًا عظيمًا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً. وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [72].

ومعلوم أنهن اخترن الله ورسوله؛ ولذا لم يفارقهن .ﷺ

---

69 () (سنن النسائي) (7/ 404), ورواه الطبراني في (الكبير) (12178) وقال: فيه يعقوب بن محمد الزهري وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ.

70 () [الأحزاب:3430].

71 () [الأحزاب:6].

72 () [الأحزاب:28-29].

-4مضاعفة الأجر لهن على الطاعات والعمل الصالح، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا.(73) ﴾

-5أنهنَّ ليس كأحدٍ إطلاقًا، ليست أمهات المؤمنين كأحد من النساء في الشرف والفضل وعلو المقام ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا.(74) ﴾

-6تشريفُ اللهِ لهنَّ، لقد شرفهن الله بتلاوة القرآن والحكمة في بيوتهن مما يدل على جلالة قدرهن ورفعتهن ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا.(75) ﴾

7- هنُ زوجاتُ رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة .(76)

الفصل الثالث
(ذكرُ آلِ البيتِ والتعريف بهم و ذكرُ فضلهم ومنزلتهم تجاه الصحابة)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بآل البيت رضي الله عنهم.

من أهل البيت؟

اختلف أهل السنة في من يطلق عليه أنه من أهل البيت على عدة أقوال، والمعتبر في ذلك قولان:

الأول: أنَّ آل النبي هم ذريته وأزواجه خاصة؛ وقد حكاه ابن عبد البر في التمهيد، واستدلوا بما جاءَ عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ -رضي الله عنه- أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - » - ﷺقُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.«

قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذا الحديث يعني حديث أبي حميد: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته. قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته قالوا: فجائز أن يقول الرجل لكل من كان من أزواج محمد ومن ذريته "صلى الله عليك" إذا واجهه، و"صلى الله عليه" إذا

---

73 () [الأحزاب:31].

74 () [الأحزاب:32].

75 () [الأحزاب:34].

76() انظر بتوسع في ذكر الفضائل كتاب (شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين) لمبرأة الآل والأصحاب.

غاب عنه، ولا يجوز ذلك في غيرهم... قالوا: والآل والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء، وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث اهـ [77]؛ وقد نصر هذا القول ابن العربي المالكي .[78]

الثاني: أنهم هم الذين حَرُمَتْ عليهم الصدقة[79]) ، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا القول في الآل أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي.[80]

قلتُ: فالذي يظهرُ أن آل البيتِ وإنْ كانوا هم من (حرمت عليهم الصدقة) إلاَّ أن أزواجَ النبيِّ ﷺ داخلون في هذا الاصطلاح، لقوله تعالى عنهن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلو جمعنا بين الآيةِ هذه والحديث الذي فسَّره –وهو ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء ثمّ قال: (اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا) – فإننا نستلخصُ منه ما ذكرنا من كونِ آل البيت يشمل من حرمت عليهم الصدقة وكذا أزواجُ النبي .[81]ﷺ

المطلب الثاني: ذكر فضل آل البيت ومنزلتهم من القران والسنة.

إنَّ فضائل آل بيت رسول الله كثيرة متوافرة، لا يحصيها كتاب، ولا يجمعها ديوان، وكفانا بما ينسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ *** فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْأَمْرِ أَنَّكُم *** مَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

فضائل أهل البيت من القرآن: قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا

---

77 ()جلاء الأفهام (173) , وانظر [فضل أهل البيت 85/6ضمن مجموع كتب ورسائل الشيخ عبد المحسن العباد]. وفيما سيأتي منه.

78 ()أحكام القرآن (623/3).

79 واختلفوا في تحديدهم؛ فقيل: آل هاسم وآل المطلب, والأقرب ما ذكرناه لموافقته لحديث الإمام مسلم.

80 ()جلاء الأفهام (173).

81() سبق تخريج الحديث, وانظر مقال الشيخ حاتم العوني (مشروعية التلقب بالشريف).



مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَآءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِن ءَايَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا.﴾

فقولُه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دالٌّ على فضل قرابةِ رسول الله ﷺ، وهم الذين تحرم عليهم الصَّدقة، ويشملهم أزواجه وذريّته، كما مرَّ بيانُه.

والآياتُ دالَّةٌ على فضائل أخرى لزوجات الرسول ﷺ، أوّلها: كونهنَّ خُيِّرْنَ بين إرادة الدنيا وزينتها، وبين إرادة الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترنَ اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، رضي الله عنهنَّ وأرضاهنَّ.

وقال تعالى ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ،[82] ﴾وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.[83] ﴾

فضائل أهل البيت من السنة :قال أبو حميد الساعدي: إنهم قالوا: يا رسول الله؛ كيف نصلي عليك؟ قال: (قولوا اللهم صل على محمد، وعلى أزواجه وذريته؛ كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم. إنك حميد مجيد.[84])

وروى الإمام الترمذي عن عائشة رضي الله عنها: دعا النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء ثمّ قال: (اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا) .[85]

* قال الشيخ العلامة عبد المحسن العباد –حفظه الله-: وهذا الحديث من الأحاديث التي تدل على منْزلة أهل بيت النبوة الرفيعة وذلك الفضل في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعده إلى أن يأتي المهدي، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في شأن المهدي

[82] () الشورى: 23].
[83] () الأحزاب: 56].
84 () أخرجه مسلم (407).
85 () أخرجه الترمذي (3205) وصححه الشيخ الألباني.



وهو من ولد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم –أي ينتسب إلى فاطمة وعلي–: (إنّه سيخرج ويملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا.[86])

* وأخرج الإمام أحمد عن أبي بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثمّ قال: صدق الله ورسوله ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ نظرت إلى هذين الصّبيّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما.[87])

*وأخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث البراء ﷺ قال: رأيت النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم والحسن بن عليّ على عاتقه يقول: (اللّهمّ إنّي أحبَّه فأحبَّه.[88])

وأخرج الإمام الترمذي من حديث حذيفة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة) .[89]

منزلة أهل البيت عند أهل السنة والجماعة :إن منزلة أهل البيت عظيمة في صدور أهل السنة، لقرابتهم من رسول الله، وتتبين بوضوح من معاملة السلف لهم وقبلَ ذلكَ الصحابةُ الكرام؛ وهذا ما سنقرره في المطلب الآتي بمشيئةِ الله.

المطلب الثالث: (موقف الصحابةِ و أهل السنةِ تجاه آل البيتِ).

إن منزلة أهل البيت عظيمة في صدور أهل السنة، لقرابتهم من رسول الله، وتتبين بوضوح من معاملة السلف لهم وقبلَ ذلكَ الصحابةُ الكرام، وما سنورده دليلٌ بينٌ على مخالفة الشيعة –الذي يزعمون موالاتهم وحبهم- لآل البيتِ في هذا المعتقد:

أبو بكر الصديق:

* قال أبو بكر: (والله لأن أَصِلَ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من أن أَصِلَ قرابتي) .[90]

---

[86] () "فضائل آل البيت والصحابة" (2/). للشيخ العباد.
[87] () (مسند أحمد بن حنبل) (23045) وصححه الشيخ الألباني, وإسناده قويٌ.
[88] () (صحيح البخاري) (3749).)
[89] () (سنن الترمذي) (3768) وصححه الشيخ الألباني.
[90] () أخرجه البخاري (3541).



* وعن عُقبة بن الحارث رضي الله عنهقال: (صلَّى أبو بكر رضي الله عنه العصرَ، ثم خرج يَمشي، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحمله على عاتقه، وقال: بأبي شبيهٌ بالنبي لا شبيهٌ بعلي ..وعليٌّ يضحك) (91).

عمر بن الخطاب:

*كان عمر إذا أَشْكَلَ عليه شيء يأخذ منه ها هنا علي؟. قم! لا أقام الله رجليك.(92)

*وفي ترجمة العبَّاس: (كان العبَّاسُ إذا مرَّ بعمر أو بعثمان، وهما راكبان، نزلاً حتى يُجاوِزهما إجلالاً لعمِّ رسول الله .(93) (ﷺ)

* عن عمّار بن أبي عمّار، أن زيد بن ثابت ركب يومًا، فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: تَنَحَّ يا ابن عم رسول الله! فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرني يدك فأخرج يده فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .(94)

عائشةُ الصديقةُ –رضي الله عنها-: سيأتي ذكرُ مبحث خاص في "حَادثة الجملِ" و "دور عائشة في عهد علي بن أبي طالب" يوضحُ تمام الوضوح العلاقة بينَ أم المؤمنينَ عائشةَ وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولكن نذكر موقفين جليلين لعائشة فيه غنية عن كثير كلام:

● عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: سُئِلَتْ عَائِشَةُ: فِي كَمْ تُصَلِّي الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا فَاسْأَلْهُ ثُمَّ ارْجِعْ إِلَيَّ، فَأَتَى عَلِيًّا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: فِي دِرْعٍ سَابِغٍ وَخِمَارٍ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: صَدَقَ.(95)

● عن شُرَيْحِ بن هَانِئٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا، فَسَلْهُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْحِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَمْسَحَ، لِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَلِلْمُسَافِرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ.(96)

عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

---

91 () أخرجه البخاري (3542). وانظر بتوسع في العلاقة بين عمر الفاروق وآل البيت كتاب "الشيعة وآل البيت" (47/1) للشيخ إحسان ألهي ظهير –رحمه الله تعالى -.

92 () (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل (675/2).

93 () انظر (سير أعلام النبلاء) (2/ 93).

94 () (تاريخ دمشق) (326/19)، وانظر بتوسع في العلاقة بين عمر الفاروق وآل البيت كتاب "الشيعة وآل البيت" (105/1) لاحسان ألهي ظهير.

95 () أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (6225)

96 () أخرجه مسلم (663).



روى ابن سعد بإسناده إلى فاطمة بنت علي بن أبي طالب أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لها: (يا ابنة علي! والله ما على ظهر الأرض أهلُ بيت أحبُّ إليَّ منكم، ولأَنتم أحبُّ إليَّ مِن أهل بيتِي) [97].

*وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقيدة أهلِ السنة فيهم حيث قال: "ويحبون أهل بيت رسول الله، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله؛ حيث قال يوم غديرِ خُم: (أذكركم الله في أهل بيتي) وقال أيضًا للعباس عمه -وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم- فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي) وقال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) ، ويتولون أزواج النبي أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي ﷺ: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ، ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبّونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل" أهـ.[98]

قال ابن كثير في تفسيره لآية الشورى بعد أن بيَّن أنَّ الصحيحَ تفسيرُها بأنَّ المرادَ بـ ﴿الْقُرْبَى﴾ بطونُ قريش، كما جاء ذلك في تفسير ابن عباس للآية في صحيح البخاري، قال رحمه الله: (ولا نُنكِرُ الوُصاةَ بأهل البيت والأمرَ بالإحسان إليهم واحترامِهم وإكرامِهم؛ فإنَّهم من ذريَّةٍ طاهرَةٍ، مِن أشرف بيتٍ وُجِد على وجه الأرض، فخرًا وحسَبًا ونَسَبًا، ولا سيما إذا كانوا متَّبعين للسُّنَّة النَّبويَّة الصحيحة الواضحة الجليَّة، كما كان سلفُهم، كالعباس وبنيه، وعليٍّ وأهل بيته وذريَّته رضي الله عنهم أجمعين) .[99]

المطلب الرابع: (آل البيتِ تجاه الصحابةِ).

[97] () (الطبقات) (333/5)
[98] () (العقيدة الواسطية) (195 -201).
[99] () (تفسير القرآن العظيم) (7/ 201).



إن العلاقةَ الحميمة والصادقة لم تكنْ بارزةً من طرفٍ واحدٍ، بل كانَ كلا الطرفين في تبادلٍ من الصدقِ والأخوةِ والتقدير، فصحابةِ رسول الله يحفظونَ لأهلِ البيتِ منزلتهم ومكانتهم، وكذا أهل البيت يحفظون لصحابةِ رسول الله منزلتهم ومكانتهم؛ وهذا بخلاف ما يزعمه المغرضونَ والمشوِّهون للتاريخ لا كثرهم الله! ، وإنما جاءَ تقرير هذا بعدَ النظرِ في جملةٍ من النصوصِ الصحيحة الصريحةِ في بيانِ ذلك، وفيما يلي جملةٌ مما ارتأيناه.

مدح علي بن أبي طالب لصحابة رسول الله.

يقول ﷺ: (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحدًا يشبههم منكم! لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم! إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب، ورجاء للثواب) (100).

ويمدحُ المهاجرين من الصحابة في جواب معاوية بن أبي سفيان ﷺ فيقول: (فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم) .(101)

ويقول له أيضًا: (وفي المهاجرين خير كثير تعرفه، جزاهم الله خير الجزاء) .(102)

كما مدح الأنصارَ من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: (هم والله ربوا الإسلام كما يربي الفلو مع غنائهم، بأيديهم السباط، وألسنتهم السلاط) .(103)

ويروي المجلسي عن الطوسي رواية موثوقة عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال لأصحابه: (أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ، لا تسبوهم؛ فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين

[100] () نهج البلاغة ص143 دار الكتاب بيروت 1387هـ بتحقيق صبحي صالح، ومثل ذلك ورد في "الإرشاد" ص126].

[101] () "نهج البلاغة" ص383].

102 () ["نهج البلاغة" ص383].

103 () ["نهج البلاغة" ص557].



لم يبتدعوا في الدين شيئًا، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم! أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء) (104).

علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان:

قال الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-: ولقد مدحه من أهل البيت غير الحسن والحسين وأبيهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما أورد الكليني عن جعفر بن الباقر –الإمام السادس المعصوم عندهم– أنه قال في مدحه، ومبشرًا إياه هو وأتباعه بالجنة قائلاً: (ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن عليًا صلوات الله عليه وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي مناد آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون) .(106) .(105)

علي بن أبي طالب وعائشة الصديقة.

* عَنْ عَاصِمِ بن كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: انْتَهَيْنَا إِلَى عَلِيٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فَذَكَرَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: خَلِيْلَةُ رَسُوْلِ اللهِ –ﷺ–!.

قال الذهبي –رحمه الله-: هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ. وَهَذَا يَقُوْلُهُ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فِي حَقِّ عَائِشَةَ! ، مَعْ مَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا رضي الله عنهما وَلاَ رَيْبَ أَنَّ عَائِشَةَ نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً عَلَى مَسِيْرِهَا إِلَى البَصْرَةِ، وَحُضُورِهَا يَوْمَ الجَمَلِ، وَمَا ظَنَّتْ أَنَّ الأَمْرَ يَبْلُغُ مَا بَلَغَ .(107)

مدح علي بن الحسين زين العابدين **لصحابة رسول الله.**

قال علي) :رضي الله عنهفاذكرهم منك بمغفرة ورضوان الله وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى

---

[104] () "حياة القلوب للمجلسي" ج2 ص621]. وانظر بتوسعٍ (العلاقة الحميمة بين الصحابة وآل البيت) (1/2-4) لسليمان الخراشي.

[105] () "الكافي في الفروع" ج8 ص209].

[106] () انظر في هذا كله (الشيعة وآل البيت) (105/1) لإحسان ألهي ظهير.

[107] () (سير أعلام النبلاء) (3/ 155).

ضيقه، ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهموهم فيما أدوا إليهم) .(108)

علي بن الحسن و أبو بكرٍ الصديق و عمر و عثمان.

قال الشيخ إحسان إلهي ظهير: (وأما الإمام الرابع للقوم –الشيعة– علي بن الحسن بن علي، فقد رويَ عنه أنه جاء إليه نفر من العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾ ، اخرجوا عني، فعل الله بكم) .(109)

محمد بن الحسين بن علي وأبو بكر الصديق:

قال الشيخ إحسان إلهي ظهير: وأما ابن زين العابدين محمد بن على بن الحسين الملقب بالباقر – الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة– فسئل عن حلية السيف كما رواه علي بن عيسى الأربلي ....

)عن أبي عبد الله الجعفي عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن حلية السيف؟ فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق؟ فوثب وثبة، واستقبل القبلة، فقال: نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة!) .(110)

* والجدير بالذكر أن موسى الكاظم سمى إحدى بناته باسم بنت الصديق الصديقة (عائشة) كما ذكر المفيد تحت عنوان "ذكر عدد أولاد موسى بن جعفر وطرف من أخبارهم" قال:

---

108 () صحيفة كاملة لزين العابدين ص13 ط الهند 1248هـ. وانظر (العلاقة الحميمة بين الصحابة وآل البيت) (6/1) للخراشي.

[109 () "كشف الغمة" للأربلي ج2 ص78 ط تبريز إيران].

110 () ["كشف الغمة" ج2 ص147].

(وكان لأبي الحسن موسى عليه السلام سبعة وثلاثون ولدًا ذكرًا وأنثى منهم علي بن موسى الرضا عليهما السلام ... وفاطمة ... وعائشة وأم سلمة) .(111)

كما سمى جده علي بن الحسين إحدى بناته: عائشة.(112)

وأيضًا – الإمام العاشر المعصوم عندهم حسب زعمهم – علي بن محمد الهادي أبو الحسن؛ سمى إحدى بناته بعائشة، يقول المفيد: (وتوفي أبو الحسن عليهما السلام في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن في داره بسرّ من رأى، وخلف من الولد أبا محمد الحسن ابنه .... وابنته عائشة) (113).

فاطمة بنت محمد رسول الله وعائشة زوجةِ رسول الله.

إنَّ علاقة عَائِشَة بفاطمة رضي الله عنهما هي علاقة ود وحب ووئام واحترام وتقدير، ولم يَثْبت في الأحاديث الصحيحة أن واحدة منهما قد حملت شيئًا من البغض أو الكراهية تجاه الأخرى، بل أجمع أصحاب السير ورواة الأحاديث على أن الصلة بين عَائِشَة وفاطمة رضي الله عنهما كانت على أحسن ألفة، وأكمل مودة، كأسمى ما يكون من العلاقات بين الأحباء، وقد ورد في أخبار التاريخ ما يؤكد ارتباط نسيج المحبة بينهما.

وهناك آثار كثيرة تُبيّن العلاقة الحسنة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما، ومن ذلك:

ما رواه عمرو بن دينار قال: قالت عَائِشَة رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرَ أَبِيهَا»، وفي رواية: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَصَدَقَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرَ أَبِيهَا».(114)

وأيضاً ما روت عَائِشَة بنت طلحة، عن أُمّ المؤمنين عَائِشَة رضي الله عنها، أنها قالت: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاًّ وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم».(115)

---

111 () ["الإرشاد" ص302، 303، "الفصول المهمة" 242، "كشف الغمة" ج2 ص237].

[112 () "كشف الغمة" ج2 ص90].

113 () ["كشف الغمة" ص334، و"الفصول المهمة" ص283].

114() أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (2721)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (201/9): "رجاله رجال الصحيح", وانظر (إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة) (ص103).

115 ()أخرجه أبو داود في سننه (5217), وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص (355).



ووصفتها أيضًا بصدق اللهجة، فعن عبد الله بن الزبير، عن عَائِشَة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قالت: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْهَا، إِلا أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَلَدَهَا».[116]

قلتُ: وقد حكى شراح الحديث في تفضيل عائشة وتفضيل فاطمةِ! فحكى الكثيرون أن فاطمة أفضل لأنها بضعةٌ منه؛ بل نقلَ الإجماع على ذلك، قال السبكي: الذي ندين الله به إن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة ولم يخف عنا الخلاف لكن إذا "جاء نهر الله بطل نهر معقل" اهـ .[117]

والصوابُ من ذلك أنَّ كلاً من هؤلاء الصحابيات قد امتازتْ بفضائل واختصتْ بمزايا لم تشاركه أخرى، وقد أبسطَ القولَ في هذا الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في سفره البديع (بدائع الفوائد) (ص683/3). وعلى كلٍّ فإن العلاقةَ الطيبة بين عائشة وفاطمة موجودةٌ لا يشوبها شائبٌ، إلاَّ أن المتعصب لمذهب قلما تجده يستسلم عندما يسمع طرفًا مما أوردناه.

وأخيرًا: قال الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-: وأما الشيعة الذين يتزعمون حب أهل البيت وولاءهم، وينسبون مذهبهم إليهم، ويدّعون اتباعهم واقتدائهم، فإنهم عكس ذلك تمامًا، يخالفون الصديق والفاروق وذا النورين ويبغضونهم أشد البغض، ويعاندونهم، ويسبونهم، ويشتمونهم، بل ويفسقونهم ويكفرونهم، ويعدون هذه الأسباب والشتيمة واللعان من أقرب القربات إلى الله، ومن أعظم الثواب والأجر لديه، فلا يخلو كتاب من كتبهم ولا رسالة من رسائلهم إلا وهى مليئة من الشتائم والمطاعن في أخلص المخلصين لرسول الله فداه أبواي وروحي، وأحسن الناس طرًا، وأتقاهم لله، وأحبهم إليه، حملة شريعته، ومبلغي ناموسه ورسالته، ونوّاب نبيه المختار وتلامذته الأبرار، وهداة أمته الأخيار، عليهم رضوان الله الستار الغفار ﷻ وعمّ نواله.[118]

---

116 ()أخرجه الحاكم في (المستدرك) رقم (4756), وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

117 () (التيسير بشرح الجامع الصغير) للمناوي (323/2), وانظر (بدائع الفوائد) (1101/3-1106) فإنه من أنفس من كتبَ في هذا الموضوع.

118 () "الشيعة وآل البيت" (160/1) وننصح القارئ لمعرفة التفاصيل في مسألةِ " آل البيت والصحابة " أن يقرأ هذا الكتاب ويقرأكتاب الشيخ سليمان الخراشي الذي هو متفرع منه "العلاقة الحميمة بين الصحابة وآل البيت", وانظر (ثناء شيخ الإسلام على آل بيت النبوة) للشيخ عبد الباسط الغريّب.



الفَصْلُ الرَّابِعُ

(سِيرَةُ أمِّ المُؤْمنينَ عائشة الشخصية المفصَّلة).

وفيهِ أحد عشرَ مطلبًا:

المطلبُ الأول: في بيانِ اسمها ونسبها وكنيتها ولقبها وولادتها ونشأتها.

أولاً: اسمها ونسبها.

هي: عائشة بنت عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، بن كعب بن لؤي بن غالبِ بن فهر بن مالك؛ القرشية التيمية، المكية.[119]

وكانَ نبي الله ﷺ يناديها أحيانًا بـ (عائش) وهذا يسمى (بالترخيم)[120] وهو من حسنِ الملاطفة.

ولم يختلفْ أهلُ السيرِ في نسبِ عائشةَ رضي الله عنها لمكانةِ أبي بكرٍ المعروفة، ولعلمه الكبير الواسع في علم الأنسابِ، ونسبُ أم المؤمنينَ يلتقي مع النبي ﷺ بـ"مرةَ بن كعبٍ"، فنعمَ النسبُ الذي يتصل بنسبِ رسول الله القائل (إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.[121])

ثانيًا: كنيتها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُوْلَ اللهِ كُلّ صَوَاحِبِيْ لَهُنَّ كُنًى؛ قَالَ: فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ –يَعْنِيْ ابْن أُخْتهَا– قَالَ مُسَدَّدٌ: عَبْدَ اللهِ بن الزُّبَيْر. قَالَ: فَكَانَتْ تُكَنَّى بِأُمِّ عَبْدِ اللهِ.[122]

قال الإمامُ ابن حجر –رحمه الله-: لم تلد للنبي صلى الله عليه و سلم شيئًا على الصواب، وسألته أن تكتني فقال اكتني بابن أختك فاكتنت أم عبد الله، وخرج بن حبان في صحيحه: من حديث عائشة أنَّه كناها بذلك لما أُحضر

---

[119] () (سير أعلام النبلاء) (2/ 135).

[120] () الترخيم في اللغة: ترقيق الصوت؛ وفي الاصطلاح: حذف أواخر الكلم في المنادى. قال ابن مالك:

ترخيمًا احذف آخر المنادى *** كيا سعا فيمن دعا سعادًا

[121] () أخرجه البخاري (حديث رقم: 6077).

[122] () أخرجه أبو داود (4970). باب في المرأة تكنى.



إليه بن الزبير ليحنكه فقال هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت فلم أزل أكنى بها.(123)

قال الإمام النووي –رحمه الله-: وأما ما رويناه في كتاب ابن السني عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أسقطت من النبي ﷺ سقطا فسماه عبد الله، وكناني بأم عبد الله) فهو حديث ضعيف.(124)

ثالثًا: لقبها.

كانَ عليه الصلاة والسلام يلقب أم المؤمنين بعدةِ ألقابٍ، فقد كانَ يناديها (يا حميراء) وحميراء: تصغير الحمراء يريدُ البيضاء، لأن العربَ تطلق على الأبيض الأحمر، لغلبة السمؤة على لونِ العربِ، وكان يخاطبها يا (موفقة) ويا (بنتَ أبي بكر) و (يا بنتَ الصديق) كما وردَ ذلك في الأحاديثِ.(125)

قال بدر الدين الزركشي –رحمه الله-: جَعَلَ صَاحِبُ "الْبَسِيْطِ" -مِنَ النَّحْوِيِّيْنَ- مِثْلُ قَوْلِهِ: "يَا حُمَيْرَاء" تَصْغِيْر تَقْرِيْبِ مَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ بَعِيْدٌ كَقَوْلِهِمْ: بُعَيدَ الْعَصْرِ وَقُبَيْلَ الْفَجْرِ. قَالَ: لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْبَيْضَاءُ فَكَأَنَّهَا غَيْرُ كَامِلَةِ الْبِيَاضِ(126) وقَدْ قِيْلَ: إِنَّ كُلَّ حَدِيْثٍ فِيْهِ: يَا حُمَيْرَاءُ، لَمْ يَصِحَّ .(127)

قال الشيخ سعيد الأفغاني: وأما ما ذُكر في "مسندِ الفردوسِ" أنَّ النبي ﷺ ناداها بـ يا عويشُ، فإن الإمام ابن الصلاح استغربهُ في طبقاتهِ كما ذكره الزركشي، وإنما صحَّ حديث هذا في مسندِ الإمام أحمد من غير ذكر "عويش".(128)

رابعًا: ولادتها.

ولدت أم المؤمنينَ عائشة بعد البعثةِ بأربعِ سنواتٍ، وقيلَ بخمسٍ، وهيَ أصغر من فاطمةَ بنت المصطفى ﷺ بثمانِ سنينَ، وذاكَ تقريبًا سنة (615م). وقالت: (لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ، طرفي النهار: بكرة وعشية) .(129)

---

123 () (فتح الباري) (107/7).

124) () الأذكار) للنووي (295/1).

125 () (موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة –حياتها وفقهها- لسعودِ الدخيل) (ص20).

126) () الْإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ للزركشي) (38/1).

127 () وهو قول الإمام ابن القيم؛ إلاَّ أن الإمام ابن حجر صحح حديث مناداة رسول الله عائشة بالحميراء حين كان يلعب الحبشة في المدينة, وانظر (آداب الزفاف) للشيخ الألباني رحمه الله (200/1).

128 () انظر (الْإِجَابَةُ.(1/38))

129 () أخرجه البخاري (476), وسبق تخريجه.



خامسًا: نشأتها.

* نشأتْ أم المؤمنينَ عائشة تحت أسرةٍ كريمةٍ مسلمةٍ ذات نسبٍ، فأسلمَ أبوها وأمها وإخوانها وأخواتها. فكانَ نشأُ العائلةِ ذات قطافٍ يانعة، ونشأتْ مع زوج كريمٍ تعلمتْ منه العلمَ والأخلاق والآداب، لذا سنتكلمُ عن هذين البيتينِ من (الناحية المالية والناحية الاجتماعية والناحية العقدية):

أ- البيتُ الذي نشأتْ فيهِ:

إن تأثيرَ البيتِ لقويٌّ وكبيرٌ في نشأةِ أم المؤمنينَ؛ فكانت هذه على أحوال:

1- الناحية المالية: كانت أسرةُ أبي بكرٍ ذات يسارٍ، وكانت تنعم في عيشٍ رغيدٍ، فكانَ أبو بكرٍ الصديق من كبارِ تجّارِ مكة، وكانَ رجال قومه يألفونه ويتعاملون معه، ويجالسونه لعلمه وتجارته الكبيرة -كما يذكره ابن إسحاق- في السيرة.

وكمْ نفق أبو بكر الصديق في الإسلامِ، لنشر دعوةِ الإسلامِ، فقد وردَ أنه أعدَّ للهجرةِ راحلتين، وكان عامر بن فهيرة يرعى منحة من غنم، وأنه حملَ معه خمسة الآلافِ درهم.

2- الناحية الاجتماعية: كانتْ لأسرةِ أبي بكرٍ الصديق مكانة عظيمة كبيرة قبلَ الإسلام وبعده، وقد وصفها ابن الدُّغُنَّة حينَ أخرجوا أبا بكرٍ بقولِه (إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ، وَلاَ يُخْرَجُ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ.[130])

وهذا ما جعلَ (عليه الصلاة والسلام) لا يتردد في زواجِ عائشةَ، وهو ما أكسب أم المؤمنينَ مكانةً عظيمةً لدى رسولِ الله لمكانةِ أبيها أبي بكر عندَ رسول الله، فكانَ يناديها (يا بنتَ أبي بكر).

3- الناحيةُ العقدية: كانَ أبو بكر الصديق من السابقين الأولين دخولاً في الإسلامِ، وكانَ لهذا أثرًا كبيرًا في إسلامِ الأسرةِ كلها، فأسلمَ أبوه أبو قحافةَ، وأسلمت زوجته أم رومان، وأسلم بنتاه وأسماء وعائشة، لذا لم يخالط فكرَ عائشة شيئًا من الشركِ والأباطيلِ ممَّا أكسبها ذهنًا صافيًا جعلها عالمةً في عصرها وما بعده من العصور.[131]

ب- بيتُ الزوجِ ﷺ:

1- الناحية المالية: هنالك فارق كبير بين معيشة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- الرغدة في بيت أبيها، ومعيشة الكفاف في بيت زوجها ﷺ فلم يكن

---

130 () أخرجه البخاري (حديث رقم .2297).

131 () انظر (موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة -حياتها وفقهها- لسعودِ الدخيل) (ص31) بتصرف.

لدى الرسول ﷺ من العيش إلا الكفاف، وقد ذكرت أم المؤمنين عائشه رضي الله عنها ذلك حين قالت: (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينه من طعام البُر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض) .[132]

2- الناحية الاجتماعية: كان البيت الذي عاشت فيه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- يشاركها فيه نساء النبي ﷺ؛ وكان لكل مرأة منهن حجرة خاصة بها، وكانت عائشة -رضي الله عنها- حينما انتقلت إلى هذا البيت صغيرة السن، لم تترك اللعب التي كانت تلعب بها قبل زواجـــها، وقد أدرك ذلك الرسول ﷺ ففسح لها المجال لتشبع هذه الرغبة مع صويحباتها ليلاعبنها؛ وقد ترك ذلك أثره على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، فقد أدركت أن في هذه الفترة يجب أن يفسح المجال للبنت أن تلعب فيها، فقد قالت: (فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو) .[133]

3- الناحية العقدية: لا شك في أن من يعش في بيت النبوة يتلقى العلم من فم الرسول ﷺ دون واسطة وسيظفر بعلم غزير، لا يتاح لغيره ممن يعيش خارج بيت النبوة، فمنذ تلك اللحظات التي انتقلت فيها عائشة إلى بيت النبوة وهي آخذة من هذا المعين الصافي تتعلم، وتُعلِّم، وتَروي لنا الشيء الكثير الذي يخفى علينا، فهي التي روت لنا قصة زواجها، ودخول الرسول ﷺ عليها، حتى روت كيفية غسلها مع الرسول ﷺ بعد الجماع، قال قصيبة بن ذؤيب: (كانت عائشة أعلم الناس، يسألها الأكابر مكن أصحاب الرسول [134] (ﷺ. وقال الزهري: (لو جمع علم عائشة لي وعلم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل) [135]. وقد تخرَّج على يديها كثير من العلماء نساء ورجال كأبناء أخيها محمد بن عبد الله والقاسم وعمرة بنت عبد الرحمن .[136] رضي الله عنهم

المطلب الثاني: التعريف بأسرةِ أم المؤمنين عائشة.

(أبوها) هو أبو بكرٍ الصديق: عبدالله بن أبي قحافةَ عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك.
* أعلمُ الصحابةِ في دين اللهِ وفي رسولِ الله، وأول من أسلمَ من الرجال الأحرار، وأول من آزرَ النبيَّ وصدَّقه في نبوته، خليفةُ رسول الله. ولم يختلفْ

---

132 () أخرجه البخاري (5416) ومسلم (7633).
133 () أخرجه البخاري (5190) ومسلم (2101).
134() رواه الهيثمي في مجمع الزوائد [242/9].
135() (الاستيعاب لابن عبد البر) (109/2).
136() (المرجع السابق) بتصرف.



أهلُ السيرِ في نسبِ أبي بكر الصديقِ المعروفة، ولعلمه الكبير الواسع في علم الأنسابِ، والقبائل، فكانَ مرجعًا يهتدى إليه، شيخًا يتحاكم إليه.

* وفضائل أبي بكرٍ لا تعدّ ولا تحصى، لا يستطيع القلم هاهنا تسطير ذلكَ كله! ، ولكن نُكفي القارئ بمراجعةِ هذه الكتب.(137)

(أمها) هي أم رومان –بفتحِ الرءِ وضمها- بنت عامر بن عويمر، بن عبد شمس، بن عتاب ابن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك الكنانية (6 هـ؛ 628 م) الصحابية الجليلة (138)؛ وهيَ زوجة أبي بكر الصديق وأمُّ عائشة وأسماء .رضي الله عنهم.

* أسلمتْ أم رومانَ قديمًا، وبايعتْ وهاجرتْ ويدل على ذلك قول عائشة: (لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ، طرفي النهار: بكرة وعشية.)

* روتْ حديثًا واحدًا أخرجه البخاري من حديثِ الإفكِ وَلفظه: عَنْ مَسْرُوْق قَالَ: سَأَلَت أُمّ رُوْمَانَ وَهِيَ أُمُّ عَائِشَة عَمَّا قِيْلَ فِيْهَا مَا قِيْلَ. قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَة جَالِسَتَانِ إِذْ وَلَجَتْ عَلَيْنَا امْرَأَة مِنْ الْأَنْصَارَ الخ... (139), وجزم إبراهيم الحربي سماعَ مسروق من أمّ رومانَ.

* وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ فنزل في قبرها واستغفر لها، وقال: (اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك!.(140))

أما تحديدُ سنة الوفاةِ أنها سنةَ (ستٍ من الهجرة) فضعيفٌ لا يصحُّ، لأنها كانت موجودة عندما خيَّر النبي ﷺ عائشة، لأن النبي قال لعائشة: حتى تستأمري أبويكِ. وكان التخيير سنة (تسعٍ من الهجرة).

(أخَوانها وأخَواتها) إنَّ والدة عائشة وعبد الرحمن (أم رومان) ووالدة محمد (أسماء بنت عميس) ووالدة عبد الله وأسماء (قتيلة بنت عبد العزى) ووالدة أم كلثوم (حبيبة بنت خارجة) أربع نسوةٍ تزوج بهنَّ أبا بكر –رضي الله عنه-.

137() انظر: (أبو بكرٍ الصديق شخصيته وعصره) للدكتور محمد علي الصلابي، و (أبو بكر الصديق) لمحمد بن عبد الرحمن بن قاسم, و (الروض الأنيف في فضل الصديق) للإمام جلالِ الدينِ السيوطي.

138() انظر (السير) (2/ 135).

139() أخرجه البخاري (3388) ، وانظر (الإجَابَة .(1/38))

140() السير) (2/ 135)



عبد الرحمن بن أبي بكرٍ (المتوفى سنة 53هـ): عبد الرحمن بن عبد الله أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة القرشي التيمي: صحابي، ابن صحابي.

كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فجعله رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم، حضر اليمامة وشهد غزو إفريقية. وحضر وقعة الجمل مع شقيقته عائشة، ودخل مصر. وكان شاعرا، له في الجاهلية غزل بليلى بنت الجودي الغسانية (وكان أبوها أمير دمشق قبل الإسلام، وقدم عبد الرحمن الشام في تجارة، فرآها، فأحبها وهام بها).

ثم تزوجها بعد فتح الشام؛ ولما أراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد كان عبد الرحمن حاضرا، فقال: (أهرقلية كلما مات قيصر كان قيصر مكانه؟ لا نفعل والله أبدا!) فبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم، فردها وخرج إلى مكة، فمات فيها قبل أن تتم البيعة ليزيد؛ وله في كتب الحديث ثمانية أحاديث .(141)

محمد بن أبي بكرٍ (المتوفى سنة 38 هـ): محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن عثمان بن عامر التيمي القرشي:

أمير مصر، وابن الخليفة الأول أبي بكر الصديق؛ كان يدعى (عابد قريش) ولد بين المدينة ومكة، في حجة الوداع, ونشأ بالمدينة في حجر علي بن أبي طالب (وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه) وشهد مع علي وقعتي الجمل وصفين.

وولاه علي إمارة مصر، بعد موت (الاشتر) فدخلها سنة 37 هـ ولما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين فات عليا أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. وانصرف علي يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر، فدخلها حربًا، بعد معارك شديدة، واختفى ابن أبي بكر، فعرف (معاوية بن خديج) مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: لم يحرق. ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد (زمام) خارج مدينة الفسطاط. قال ابن سعيد: وقد زرت قبره في الفسطاط. ومدة ولايته خمسة أشهر .(142)

---

[141] () (الأعلام) للزركلي (3/ 312).
[142] () الولاة والقضاة (26– 31) , و (الأعلام) للزركلي (6/ 220).

عبد الله بن أبي بكرٍ (المتوفى سنة 11هـ): عبد الله بن أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي القرشي: صحابي من العقلاء الصبيان الشجعان.

أسلم قديما، وكان يحمل الطعام وأخبار قريش إلى النبي ﷺ وأبي بكر إذ هما في الغار. وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وأصيب يوم الطائف بسهم، فلم يؤذه في حينه، وانتقض عليه بعد ذلك فتوفي بعلَّتِه. له شعر، اشتهرت منه أبيات في زوجته " عاتكة " أوردها ابن حجر في الإصابة.(143)

أسماء بنت أبي بكر (المتوفى سنة 73هـ): أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قريش: صحابية، من النساء الفضليات؛ آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة، وهي أخت عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير.

تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله. ثم طلقها الزبير فعاشت بمكة مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل. فعميت بعد مقتله وتوفيت بمكة.

شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها، وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله مشهور. عاشت مائة سنة وهي محتفظة بعقلها. وسميت (ذات النطاقين) لأنها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما حين هاجر إلى المدينة، فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام. لها 56 حديثا .(144)

إِضَاءَةٌ

قال محمد بن عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي في كتابه (أبو بكر الصديق) (54/1):

ليس للصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده وأدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأدركه أيضًا بنو أولاده إلا بيت أبي بكر من جهة الرجال والنساء اهـ.

---

143 () (الإصابة) ترجمة (4559) و (تهذيب الاسماء للنووي) (1/ 262).

144 () طبقات ابن سعد) (8/ 182) و (حلية الأولياء) لأبي نعيم (2/ 55.)



المطلب الثالث (موالي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها).[145]

قد حظيتْ أم المؤمنين عائشة بأن كانَ لها موالي يخدمونها ويعينونها على أمرها؛ وكانت هي كذلك تعينهم على ما يحتاجونه كما هو معلوم في "عتاقةِ بريرة"؛ وهذا ما يدل على حسنِ معاملتها مع خدمِها ومواليها؛ فمن هؤلاءِ الموالي ممن نسبوا إلى عائشة رضي الله عنها:

(1) بريرة: وهي زوج مغيث مولى أبي أحمد بن جحش قاله أبو منده وأبو نعيم، وهي التي كانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها؛ وقيل أنها: كانت مولاة أناس من الأنصار فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقتها بتسع أواق؛ وكانت فيها ثلاث سنن: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ سُنَنٍ؛ عَتَقَتْ فَخُيِّرَتْ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ) وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبُرْمَةٌ عَلَى النَّارِ فَقُرِّبَ إِلَيْهِ خُبْزٌ وَأُدْمٌ مِنْ أُدْمِ الْبَيْتِ فَقَالَ (أَلَمْ أَرَ الْبُرْمَةَ) فَقِيلَ لَحْمٌ تُصُدِّقَ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ وَأَنْتَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ قَالَ (هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ وَلَنَا هَدِيَّةٌ.[146])

(2) سائبة :[147]رَوَى عَنْهَا نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ عَمُّ سَائِبَةَ إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ قَتْلِ الجِنَانِ...الحديث بآخره [148]؛ ولم أعثر لها على **ترجمة**.

(3) مَرْجَانَةُ: وَهِيَ أُمُّ عَلْقَمَةَ بْنِ أَبِيْ عَلْقَمَةَ أَحَدِ شُيُوْخِ مَالِكٍ، وعلق لها البخاري في الحيض، وهي مقبولة.[149]

---

[145]() معنى المولى قد جاء في الشرع على أحد وعشرين معنًى؛ منها –وهو المراد هنا-: العبدُ والعبدة, والمعتق والمعتقة, ومن معاني المولى كذلك: الرب, والمالك، والناصر، والمحب, والتابع، والمنعِم والمنعَم عليه، وغير ذلك من المعاني؛ انظر (تاج العروس من جواهر القاموس) (243/40) للزبيدي, و(المصباح المنير) (672/2) للفيومي.

[146]() (الإصابة في تمييز الصحابة) (251/4) لابن حجر، (أسد الغابة) (39/6) لابن الأثير، (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) (1795/4) لابن عبد البر, (سير أعلام النبلاء) (2/ 302) للذهبي؛ وانظر قصة عتاقتها بالتفصيل: صحيح البخاري (حديث رقم 2563)؛ وقصة بغضها لزوجها مغيثًا (صحيح البخاري) (5283).

[147]() وأخطأ بعض أهل الحديث فقلب اسمها إلى "سيابة" وهو غلط. (الإكمال لإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى) (14/5) لابن ماكولا.

[148] ()(الموطأ) (3580)؛

[149]() (تقريب التهذيب) (رقم الترجمة 8680), وانظر (الإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ (44-42/1).



(4) علقمة بن أبي علقمة: واسم أبيه "بلال المدني" وأمه "مرجانة" وهو يروي عنها عن عائشة, وهو ثقة .[150]

(5) أَبُوْ يُوْنُسَ: من ثقات التابعين ولا يعرف اسمه, وروى عن عائشة أحاديث كثيرة, وهو ثقة من رجال صحيح مسلم .[151]

(6) ذكوان أبو عمرو: كانَ خدم عائشة ودفنَها، أخرج له البخاري في كتاب النكاح، قال الهيثم بن عدي: توفي أيام الحرة قال وأحسبه قال قتل بها قال أبو زرعة هو مدني ثقة.[152]

(7) أبو حفصة: روى عن عائشة في صلاةِ الكسوف, وهو مقبول, وروى عنه يحيى بن أبي كثير, قال الدار قطني: مجهول يُكتبُ حديثه, ولم يذكر أبو حاتمٍ فيه جرحًا, وروى له النسائي .[153]

(8) موات أو فرات: روى له الطبراني في (الأوسط) ولم نقف له على ترجمة.

(9) أبو لبابة العقيلي: مروان الوراق المدني، قيل هو مولى عبد الرحمن بن زياد، قال يحيى بن معين: بصري ثقة، وكذا قال الحافظ ابن حجر, وقد روى له الترمذي والنسائي .[154]

(10)أبو مُدِلَّةَ: هو عبيد الله بن عبد الله حكاه ابن حبان وذكره في الثقات, وقيل: هو أخ لأبي الحباب سعيد بن يسار حكاه البخاري، وقيل: هو مجهول لا يعرف اسمه حكاه ابن المديني، وهو مقبول عند الحافظ ابن حجر.[155]

المطلب الرابع: زواجُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

[150] () (تقريب التهذيب) (رقم الترجمة .) 4679

[151] () (تقريب التهذيب) (رقم الترجمة 8458), (رجال صحيح مسلم) (371/2) لابن منجويه.

[152] () (تقريب التهذيب) (رقم الترجمة 1847)، (رجال صحيح البخاري) (1/ 244) للكلاباذي.

[153] () (تقريب التهذيب) (رقم الترجمة) ،(8058تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) (438/2) لابن حجر.

[154] () (تهذيب الكمال) (34/ 234) للحافظ المزي، (الجرح والتعديل) (8/ 272) لابن أبي حاتم الرازي.

[155] () (تهذيب الكمال) (34/ 269)، (تقريب التهذيب) (رقم الترجمة .8349)



* لما ماتت خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها- بعد ثلاثِ سنين تزوجها النبيُّ ﷺ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّاهَا قَالَتْ وَتَزَوَّجَنِي بَعْدَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ.[156]

* وخطبَ النبي عليه الصلاة والسلامُ قبل ذلك أم المؤمنينَ سودة بنت زمعة –رضيَ الله عنها-؛ لما رواهُ مسلم عن عَائِشَةَ قالتْ عن سودةَ: وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِيْ .[157]

* وعقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بكر قبل الهجرةِ، تزوجها وهي بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع في شوال سنة اثنتين، عن عروةَ بن الزُّبيْرِ قَالَ: نَكَحَ عَائِشَةَ وَهْيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهْيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ .[158]

* وكانَ بناءه عليها فِي شَوَّالٍ من مُنْصَرَفَهُ ﷺ مِنْ بَدْرٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَقْدَمِهِ.

* وكانَ النبي ﷺرآها في المنامِ ببشرى من اللَّهِ أنها هيَ زوجتهُ في الدنيا، وأخبرها بذلك، فـعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ) :ﷺرَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقَالَ لِي هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَقُلْتُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ ،[159] (بل هيَ زوجةُ النبي في الآخرة، فعَنِ الْحَكَمِ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارًا وَالْحَسَنَ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَهُمْ خَطَبَ عَمَّارٌ فَقَالَ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَلاَكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ، أَوْ إِيَّاهَا .[160]

* وأما قصـةُ خطبةِ أم المؤمنينَ عائشة فحدثتنا عائشة حديثينِ جليلينِ؛ روى البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بن خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ

---

156 () أخرجه البخاري (3817) , ومسلم (2435).
157 () أخرجه مسلم (3703).
158 () أخرجه البخاري (3817) , ومسلم (1422) , وانظر (السير) (2/ 135).
159 () أخرجه البخاري (5078) ومسلم (6436).
160 () أخرجه البخاري (.3772)



وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلاَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ .(161)

*وأما القصة الأخرى المباركةُ: فقد رويَ عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قالت خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بن أُمَيَّةَ بن الأَوْقصِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ ﷺ -وَذَلِكَ بِمَكَّةَ-: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَلا تَتَزَوَّجُ؟ قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا قَالَ: فَمَنِ الْبِكْرُ؟ قَالَتْ: بِنْتُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ: وَمَنِ الثَّيِّبُ؟ قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بن قَيْسٍ آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَالَ: فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ قَالَتْ: فَجَاءَتْ فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فَوَجَدَتْ أُمَّ رُومَانَ أُمَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَيْ أُمَّ رُومَانَ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَدِدْتُ، انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ ﷺ فَإِنَّهُ آتٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: أَنْتَ أَخِي فِي الإِسْلامِ، وَأَنَا أَخُوكَ وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي، فَأَتَتْ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَجَاءَهُ فَأَنْكَحَهُ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ .(162)

* وقدْ وصفتْ لنا أم المؤمنينَ –رضي الله عنها- وَلِيمَةَ العُرْسِ حيثُ قالتْ: فخرجوا وبَنَى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا ما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دار إلى نسائه.(163)

المطلبُ الخامس: صفاتُ أم المؤمنين عائشة الخلقية والخلقية.

أولاً: صفاتُها الخَـلْقِـيَّة.

* كانت امرأة جميلة ،بيضاء اللون تميل إلى الشـقرة، ومن ثم يقال لها: الحميراء. ويروى أن عيينة بن معن الفزاري دخل على

---

161 () أخرجه البخاري (3894) ومسلم (3482).

162 () أخرجه أحمد (25810) وحسَّنَ إسناده الشيخ شعيب الآرناؤوط.

163 () أخرجه أحمد (25810) من طريق آخر؛ وحسَّن إسنادهُ الشيخ شعيب الأرناؤوط.



الرسول وعائشة عنده، وكان ذلك قبل أن يضرب عليها الحجاب فقال (من هذه الحميراء يا رسول الله؟) قال هذه عائشة بنت أبي بكر، قال أفلا أنزل لك عن أجمل النساء؟ فقال له لا. فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله؟ قال هذا الأحمق المطاع في قومه) .[164]

* وكانت عائشة نَحِيلَةَ الجِسْمِ، كما يتضح ذلك من (حديث الإفك) عندما حمل القوم هودجها، ولم يشعروا بغيابها عن عودة المسلمين من غزوة بني المصطلق، ومن سبقها للرسول، لخفتها.

* وكانت عائشة أيضًا مُعْتَدِلَةَ القِوَامِ، أو أقرب إلى الطول، ونستنتج من (حديث الإفك) أنها لم تكن في صحة جيدة، وأنها كثيرًا ما كان ينتابها المرض، كما يتبين ذلك من قولها (كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك فأنكرت ذلك منه) .[165]

* ولطالما وجهت السيدة عائشة النصح للنساء، للعناية بأنفسهن، ووجوههن، ليكن أحسن قبولاً، عند أزواجهن، فقالت: (يا معشر النساء إياكن وقشر الوجه فسألتها امرأة عن الخضاب فقالت لا بأس بالخضاب ولكن أكرهه لأن حبيبي ﷺ يكره ريحه) .[166]

*ويروى أنه دخلت عليها بكرة بنت عقبة -وهي جالسة في معصفرة- فسألتها عن الحناء فقالت (شجرة طيبة وماء طهور) [167]. وسألتها عن الخفاف فقالت (إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقلتيك فتضعيهما أحسن مما هما فافعلي) .[169] .[168]

ثانيًا: صفاتُها الخُلُقيَّة.

---

164 () (سير أعلام النبلاء) (2/ 140).

165 () انظر (فقه السيرة للغزالي) (292/1) تحقيق الشيخ الألباني –رحمه الله-.

166 () أخرجه الإمام أحمد (25801) وضعف إسناده الشيخان الألباني وشعيب.

167 () (مسند إسحاق بن راهويه) (3/ص782 ح1411) , وانظر (سير أعلام النبلاء) (2/ 188).

168 () (سير أعلام النبلاء) (2/ 188).

169 () انظر في ذلك (عائشة أم المؤمنين لزاهية قدورة) (ص 210).



* قد امتازتْ عائشة (رضي الله عنها) بصفاتٍ جليلةٍ كبيرةٍ، وامتازت مع ذلكَ بصفتينِ عظيمتين:

(الأولى) الصدقُ والذكاءُ: كانت صفتا الصدق والذكاء من أبرز مميزاتها، وهي تشبه أباها في ذلك، والدليل على ذلك محا فظتها على رواية الحديث الشريف باللفظ لا بالمعنى، وتتبعها رواة الحديث للتأكد من دقة الألفاظ وصحة الرواية، وكفى دليلاً على صدقها ثبوت عدم تورطها في قضية وضع الأحاديث، خاصة السياسية منها والمتعلقة بالفتن التي حدثت في ذلك الوقت.

وقد أوتيت مقدرة كبيرة على الفهم الفقهي والاستنباط الشرعي، فنراها انفردت بعدة آراء فقهية خاصة بها، تنم عن ذكائها ودقة فهمها.

(الثانية) الزهدُ والورعُ: عاشت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في بيت رسول الله ﷺ معيشة الكفاف، دل على ذلك ما روته السيدة عائشة –رضي الله عنها– قالت (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُرِ ثلاث ليال تباعًا حتى قبض). [170]

وقد رضيت بأن تعيش مع رسول الله ﷺ ضيق العيش، وعندما نزلت الآية الكريمة التي في سورة الاحزاب (29-28) خيَّرها الرسول فقالت (بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة).

وكانت تمتثلُ بقولِ لبيدِ بن أبي ربيعةَ:

ذهبَ الذينَ يعاشُ في أكنافهم *** بقيت في خلفٍ كجلدِ الأجرب.

ثم تقولُ: رحمَ الله لبيدًا كيف لو أدركَ زماننا هذا! ، وقال عروة: رحمها الله كيف لو أدركتْ زماننا هذا! ، وقال ابنه هشام: رحم الله أبي كيفَ لو أدركَ زماننا هذا! ؟. [171]

* وكانت –رضي الله عنها- بهية الطلعة، وضاءة الجبين، زاهية الشباب، متوقدة الذكاء، حاضرة الذهن، عذبة الحديث، على جانب عظيم من الحكمة والفكاهة. [172]

---

170 () سبق تخرجه.

171 () (المجالسة وجواهر العلم) (8/ 143) والأثر صحيح.

172 () (مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير) لسعود الفنيسان (ص13).



* وكانتْ ذات كرمٍ وإيثارٍ على النفسِ وجودٍ وسخاءٍ، بإكرام الضيف، وإطعام الفقراءِ والمساكين واليتامى.
* وكانت تبجل الصحابة وتوقرهم ولا تنـزّل من قدرهم، وهذا أمرٌ معهودٌ منها لا يختلفُ فيه اثنان, ولا يتناطحُ فيه كبشانِ، بل إنها كانتْ تحيلُ كثير من السؤالاتِ إليهم حفظًا لقدرهم في الإفتاءِ ومكانتهم، ومن ذلك:

● عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: سُئِلَتْ عَائِشَةُ: فِي كَمْ تُصَلِّي الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا فَاسْأَلْهُ ثُمَّ ارْجِعْ إِلَيَّ ، فَأَتَى عَلِيًّا فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ: فِي دِرْعٍ سَابِغٍ وَخِمَارٍ ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا ، فَقَالَتْ: صَدَقَ .[173]

● عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ، عَنِ الْحَرِيرِ فَقَالَتِ ائْتِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَلْهُ قَالَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ سَلِ ابْنَ عُمَرَ قَالَ فَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو حَفْصٍ ، يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ فَقُلْتُ صَدَقَ وَمَا كَذَبَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم .[174]

● عن شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا، فَسَلْهُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي ، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَسْحِ ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَمْسَحَ ، لِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَلِلْمُسَافِرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ .[175]

* وكانت عائشة تقية ورعة، تؤدي فروض الدِّين على الوجهِ الأكمل، تصلي، وتصوم الدهر، وتقوم بفروض الحج، والعمرة، وإنما عبادة تسمو بالنفس، وتتعالى بالروح، فتترفع عن شهوات الدنيا، لتشارك الفقراء والمساكين، ما حرموا من خيرات، ثم تعطيهم مما أفاء الله عليها، فقد وزعت مالاً كثيرًا بعث به إليها ابن الزبير.[176]

* وكانتْ أم المؤمنينَ مع تقاها الكبير محاسبةً نفسها، ومحاسبةً لتلامذتها، فعن عطاء قال: (كان فتىً يتخالف إلى عائشة رضي الله عنها يتفقه منها ويأخذ العلم عن يديها! فجاءها يومًا فقالت

---

173 ((مصنف ابن أبي شيبة)) (6225).

174 ()أخرجه البخاري (5835).

175 () أخرجه مسلم (663).

176 () (عائشة أم المؤمنين لزاهية قدورة) (ص 209).



له: يابني هل عملت بما علم بعدا؟ فقال: لا والله يا أمّة. فقالت (فبمَ تستكثر من حجج الله علي وعليك) .[177]

* عَنْ أُمِّ ذَرَّةَ قَالَتْ: بعَث ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَائِشَةَ بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ، يَكُوْنُ مائَةَ أَلْفٍ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ، فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ فِي النَّاسِ. فَلَمَّا أَمْسَتْ، قَالَتْ: هَاتِي يَا جَارِيَةُ فُطُوْرِي. فَقَالَتْ أُمُّ ذَرَّةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ، أَمَا اسْتَطَعْتِ أَنْ تَشْتَرِي لَنَا لَحماً بِدِرْهَمٍ؟ قَالَتْ: لاَ تُعَنِّفِيْنِي، لَوْ أَذْكَرْتِيْنِي لَفَعَلْتُ.[178]

وروى عروة عن كرمها، و إشفاقها على الفقراء والمساكين، فقال: (رأيتها تتصدق بسبعين ألفًا، وأنها لترفع جانب درعها)[179]. وكانت من (أكرم أهل زمانها ولها في السخاء أخبار).

* واتصفت عائشة بالدعة والرقة والحدب على الضعفاء والأرقاء، فكانت لهم خير نصير، ترأف بهم، وقد أعتقت مائة رقبة, روى البخاري عن عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ.[180] »

قال الحافظُ ابن حجرٍ رحمه الله: وفيه شدة حرص عائشة على الصدقة إمتثالا لوصيته صلى الله عليه و سلم لها حيث قال »لا يرجع من عندك سائل ولو بشقّ تمْرة« رواه البزار من حديث أبي هريرة اهـ.[181]

قال ابن بطال: وفي حديث عائشة أن النفقة على البنات، والسعى عليهن من أفضل أعمال البر، وأن ذلك ينجى من النار اهـ.[182]

* واتصفت عائشة بالذوق الجميل فكانت ترغب بلبس الطريف فلبست الفرو أهداه إليها محمد بن الأشعث، وأحب الألوان إليها الأحمرين (المذهب والمعصفر)؛ وكانت تلبس

177() أخرجه الخطيب البغدادي في (اقتضاء العلم العمل) (60/1).
178() (صفة الصفوة) (30/2) لابن الجوزي.
179() (الطبقات الكبرى) (66/8) لابن سعد.
180() أخرجه البخاري (1418) ومسلم (6862).
181() (الفتح) (284/8).
182() (شرح صحيح البخاري) (5/ 463).

أيضًا درعًا مضرجًا، أو معصفرًا، أو أحيانًا كساء خز، وكانت تلبس خمارًا إما أسود، أو جيشانيًا، وترغب أن يكون هذا الخمار كثيفًا، وذلك وضعًا لأحكام الله موضع التنفيذ، إذ إن الإسلام أمر نساء النبي بالحجاب، وأن يضربن بينهن وبين الرجال أستارًا إلا ذي رحم.

* كما أنها حرصت الحرص كله على تأدية فريضة الحج، وكان الرسول –كما روى أهل السنن- يرغب في أن تكون كذلك وسألته يومًا عن الجهاد، فقال لها: (جهادكن الحج) وسألته مرة أخرى، هل على النساء من جهاد؟ فقال لها: (نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة) كما أنها طلبت منه يومًا أن تجاهد معه، فقال لها ﷺ (لك أحسن الجهاد، وأجمله الحج مبرور)، فقالت عائشة فلا أدع الحج أبدًا بعد أن سمعت هذا من رسول الله) .[183]

* وكانَ من أبرزِ ما اتصفتْ به أم المؤمنينَ الغَيْرةُ الشديدة في حبّ رسول الله، من الضرائر اللاتي كنَّ عندَ رسول الله، ومن ذلكَ الأحاديثِ:

* عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً. قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ «مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ». فَقُلْتُ وَمَا لِى لاَ يَغَارُ مِثْلِى عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَمَعِىَ شَيْطَانٌ قَالَ «نَعَمْ». قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ «نَعَمْ». قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّى أَعَانَنِى عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ».[184] «

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه و سلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي صلى الله عليه و سلم يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول (إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد.[185])

قال الإمام الذهبي –رحمه الله-: وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ أَنْ تَغَارَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مِنِ امْرَأَةٍ عَجُوْزٍ، تُوُفِّيَتْ قَبْلَ تَزَوُّجِ النَّبِيِّ ﷺ بِعَائِشَةَ بِمُدَيْدَةٍ، ثُمَّ يَحْمِيْهَا اللهُ مِنَ الغَيْرَةِ مِنْ عِدَّةِ

---

[183]() أخرجه أحمد (24541) وصحّحه الشيخ شعيب الأرناؤوط.
[184]() أخرجه مسلم (7288)
[185]() أخرجه البخاري (3607).

نِسْوَةٍ يُشَارِكْنَهَا فِي النَّبِيّ ﷺ فَهَذَا مِنْ أَلْطَافِ اللهِ بِهَا وَبِالنَّبِيِّ ﷺ لِئَلاَّ يَتَكَدَّرَ عَيْشُهُمَا، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا خَفَّفَ أَمْرَ الغَيْرَةِ عَلَيْهَا حُبُّ النَّبِيّ لَهَا، وَمَيْلُهُ إِلَيْهَا، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .[186]

قال الشيخ أبو العلا المباركفوري: وفيه ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن اهـ.[187]

إِضَاءَةٌ

قال العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله: "هذه هي شخصية أم المؤمنين رضي الله عنها التي اتصفت بهذه الصفات العالية وقدمت أمام أكثر من مائة مليون امرأة أسوة حسنة لحياة مثالية كاملة، ورسمت لكل من أتى بعدها أمثل الطرق وأنفعها، وذلك بمآثرها الخالدة، وعبادتها وخضوعها أمام الباري تعالى، والمُثُل الحيّة والأساليب العملية للأخلاق الشرعية شرحًا تفصيليًا، فلها المنّ والفضل من جميع النواحي الدينية والعلمية والاجتماعية على هذا العدد الهائل من صنف النساء.

وعلى هذا لا يوجد أحد في تاريخ النساء المسلمات من يستأهل أن يذكر بإزائها في المرتبة والشرف والمكانة العالية، سوى الأزواج المطهّرات وبنات النبي ﷺ الطاهرات رضوان الله عليهن أجمعين أ.هـ .[188]

قلتُ :وإذا أردتَ أخي القارئ معرفةَ المزيد من صفاتِ أم المؤمنين عائشة الجليلة فراجع كتاب العلامة سليمان الندوي –رحمه الله- "سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها" فإن ما ذكره لمثالٌ وحسن وقدوة مباركة لنساء العالم اليوم.

---

[186] () (سير أعلام النبلاء) (145/3).
[187] () تحفة الأحوذي (6/ 134).
[188] () (سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين) للعلامة الندوي رحمه الله (ص356).



المطلب السادس: منزلةُ وإمامةُ أم المؤمنين عائشة العلمية.

* قدْ تبوأت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مكانة علمية رفيعة جعلتها عالمة من علماء عصرها، والمرجع العلمي الأصيل الذين يرجعون إليه فيما يغمض عليهم أو يستشكل أمامهم من مسائل في القرآن والحديث والفقه، فيجدون الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم.

وكانتْ أمنا في العلم بحرًا *** تحل لسائليها المشكلاتِ
وعلَّمها النبي أجل علمٍ *** فكانتْ من أجل العالماتِ

يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: (ما أشكل علينا نحن أصحاب رسول الله ﷺ حديثا قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علمًا).[189]

* وقد حازت إلى جانب علمها بأمور الدين علمًا بأيام العرب وحوادثها، وبالأنساب عامة، وبنسب قريش خاصة، والطب، وحفظت الكثير من الشعر، يقول عروة: (لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدًا قد كان اعلم بآية أنزلت ولا بفريضة، ولا بسنه ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا نسب، ولا بكذا، ولا بكذا ولا بقضاء ولا طب، منها)[190]. وعنها يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما رأيت أحدًا أعلم بفريضة، ولا أعلم بفقه، ولا بشعر من عائشة).[191]

* وعدَّها الإمام ابن حزمٍ الظاهري الأندلسي[192] في المرتبةِ الرابعةِ من بينِ الصحابةِ المكثرينَ للروايةِ.

* فكانتْ عالمةً فذَّةً بالشعرِ وأضربهِ ،فعن الشعبي: أن عائشة قالت: رويت للبيد نحوا من ألف بيت، وكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة.[193]

* وكانتْ عالمةً بالطبِّ، فقد سألها ذات مرة عروة بن الزبير قائلاً: ولكن إنما أعجب أن وجدتك عالمة بالطب فمن أين؟

---

189 () أخرجه الترمذي (3883) وصححه الشيخ الألباني.
190 () (سير أعلام النبلاء) (2/ 183).
191 () أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير) (20/17).
192 () (جوامع السيرةِ) (ص276).
193 () (سير أعلام النبلاء) (197/2).



قال فأخذت بيدي وقالت: (يا عُريَة إن رسول الله ﷺ كثر من أسقامه، فكان أطباء العرب والعجم ينعتون له فتعلمت ذلك) (194).

*أخرجَ أحمد في المسندِ: أنَّ عروة كانَ يقول لعائشة: يا أمتاه لا أعجب من فهمك أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ وبنت أبي بكر؛ ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس؛ أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس أو من أعلم الناس! ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو؟ ومن أين هو؟ قال فضربت على منكبه وقالت: (أي عرية! ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات وكنت أعالجها له فمن ثم) .(195)

وعن الشعبي قال: قيل لعائشة: يا أم المؤمنين، هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ﷺ، وكذلك الحلال والحرام ; وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره ; فما بال الطب؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ، فلا يزال الرجل يشكو علة، فيسأله عن دوائها. فيخبره بذلك. فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته .(196)

* صارت أم المؤمنينَ أول امرأة يتتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار، ويرجع إليها أكابر الصحابة، حتى قال الحاكم: (عنها وحدها نقل ربع الشريعة).

* فكانتْ عالمةً بالفرائضِ ،عَنْ مَسْرُوْقٍ قَالَ: قُلْنَا لَهُ: هَلْ كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الفَرَائِضَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ الأَكَابِرَ يَسْأَلُوْنَهَا عَنِ الفَرَائِضِ .(197)

(إِمَامَةُ أم المؤمنين عائشة فِي التَّفْسِيرِ)

عاشت أم المؤمنين -رضي الله عنها- تسع سنوات في مهبط الوحي، وتعد من كبار مفسري عصرها، وساعدها على ذلك سماعها للقرآن الكريم منذ نعومة أظفارها، قالت: (لقد نزل بمكة على محمد وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده).

194 () أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (155/1) والخبر صحيح.
195 () أخرجه أحمد في مسنده حديث (24425) وصحَّحه الشيخ شعيب الأرناؤوط.
196 () (السير) (2/ 197).
197 () (السير) (2/ 182).


وقد وصفت حال النبي ﷺ حين نزول الوحي، فقالت: (لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتصفد عرقًا) [198]. وهذا ما جعل عائشة –رضي الله عنها– على معرفة تامة بالقرآن الكريم، وأسباب نزوله، وموضوعاته وقضاياه، مما جعلها تقيم تفسيرها للقرآن الكريم على منهج تفسيري له أصوله الخاصة التي يعتمد عليها، ويبرز فكرها وثقافتها، وهو كالآتي:

تَفْسِيرُهَا القُرْآنَ بِالقُرْآنِ: تحرص أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– على أن تظهر انسجام الآيات القرآنية فيما بينها، واتفاقها.

ومن ذلك أنها ترى وجوب مهر المثل لليتيمة إذا تزوجها من هي تحت ولايته، واستدلت على هذا الحكم بالآيات الكريمة التالية مجتمعة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ [199] ﴾. وقوله ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ. [200] ﴾

تَفْسِيرُهَا القُرْآنِ بِالسُّنَّةِ: ومن ذلك إنكارها -رضي الله عنها- على ابن عباس سؤاله لها: هل رأى النبي ﷺ ربه؟ ففي الصحيحين من حديث مسروق قال: قلت لعائشة: (يا أمتاه هل رأى محمد ربه؟ فقالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله –عز وجل-: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ و ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾ الآيات من سورتا النجم والتكوير، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير

---

198 () أخرجه البخاري؛ الحديث الثاني من "بدء الوحي".

199 ()[النساء: 3].

200 ()من الآية (127) في سورة النساء.

هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًا عِظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض.[201])

تَفْسِيرُهَا القُرآنَ بَأسْبَابِ النُّزولِ: عاصرت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- نزول الوحي، فوقفت على أسباب النزول، وجعلتها أصلاً من أصول تفسيرها للقرآن الكريم.

قالت أم المؤمنين -عندما سئلت عن الطواف بين الصفا والمروة- قالت: (وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما) .[202]

التَّفْسِيرُ اللُّغَوِيّ: وقد جاءت قوتها في اللغة العربية متحدة بقدرتها الفائقة على النفوذ إلى حقيقة التشريع الإسلامي وجوهره، ومن ثم جاء فهمها للمعنى المراد من النص القرآني دقيقًا، وجاء اختيارها للتفسير السليم للفظة القرآنية بمهارة وخبرة.

ومن الأمثلة على ذلك: تفسيرها للقروء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ[203]﴾ فقد فسرت القروء هنا بالأطهار، وليس بالحيض؛ وممكن الذكاء هنا أن لفظة القروء من الأضداد، إذ قد يراد بها الطهر، كما قد يراد بها الحيض، وذلك لأن الأصل في المشترك في هذين المعنيين هو الوقت المعلوم المعتاد، سواء أكان هذا الوقت المجيء أم للإدبار.

التَّفْسِيرُ الاجْتِهَادِي: كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها – تجتهد في تفسيرها معتمدة على عقلها وما حباها الله من ذكاء وفطنة إلى جانب روحها الجريئة.

ويتبين هذا جليًا: في مسألة تحريم الخمر فقالت: إن الله ﷻ لم يحرم الخمر لاسمها، وإنما حرمها لعاقبتها، وقد قالت لمن كان يسألها عما هو يسكر وما هو محرم: (لا أحل

201() أخرجه مسلم (457).

202() أخرجه البخاري (.1643)

203() [البقرة: 228].



مسكرًا وإن كان خبزا، وإن كان ماءً، قالتها ثلاثًا [204]. وبذلك ضيقت المسالك المفضية إلى الحرام.

(إمَامَةُ أم المؤمنين عائشةَ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ)

عاشت أم المؤمنين في بيت النبوة لذا تعد من كبار المحدثين وأغزرهم رواية عن رسول الله ﷺ فانفردت برواية أحاديث كثيرة عنهﷺ حتى إنها صارت أكثر النساء رواية للسنة المطهرة. وبلغ عدد الأحاديث التي روتها (2470) حديث، واتفق البخاري ومسلم منها على (174) وانفرد البخاري بـ (54)، وانفرد مسلم بـ (69).. .[205]

* واعلمْ أنها روتْ عن أبيها أبي بكرٍ الصديق، وعن عمر بن الخطاب، وفاطمة بنت النبي، وسعد بن أبي وقاص، وحمزة بن عمرو الاسلمي وأخذتِ العلم عن أبيها وعن عمر أكثَرَ من غيرهم.

* وروى وحدَّث عنها جماعة كثر من أئمةِ الحديث والدين، فمنَ المكثرينَ من الروايةِ تسعةٌ: عروة بن الزبيرِ بن العوامِ (ت 92هـ).

والقاسم بن محمد بن أبي بكرٍ الصديق (ت 106هـ) وعمرة بنت عبد الرحمن بن سعد (ت 98هـ). وعبد الله بن أبـي مليكةَ (ت 17هـ) وذكوان مولى عائشة (ت بعدَ المائة). وأبو سلمةَ بن عبدِ الرحمنِ (ت 94 هـ). والأسـود بن يزيـدِ النخعـي (ت 75 هـ).

وغيرهم من المشاهير: ابن عمر، ابن عباس، عبد الله بن الزبير ابن أختها وأخوه عروة، السائب بن يزيد، سعيد بن المسيب، سليمان بن يسار، عبد الله بن شقيق، ابن شهاب الزهري، مسروق، أبو أمامة بن سهل، أبو بردة بن أبي موسى، عائشة بنت طلحة، معاذة العدوية.[206]

* وكانت -رضي الله عنها- في استدراكاتها أو ما يسمى بتوثيقها لمتن الحديث الشريف تستمد إلى أصول ومصادر تستقى منها أدلتها على توثيق رواياتها، وهي:

القرآن الكريم: وهو كتاب الله العزيز الذي أنزله لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ومن ذلك أنها: ترى "متعة النساء حرام" وأن الأحاديث التي وردت في إباحتها قد نسخت، فلا يؤخذ بها، فقد سُئلت

---

204 () (سنن النسائي) (5680) وضعف إسناده الشيخ الألباني.

205 () (سير أعلام النبلاء) (3/ 119).

206 () راجع من روى عنها بتفصيل كتاب (تهذيب التهذيب) (12/ 384).



عائشة عن متعة النساء فقالت: بيني وبينكم كتاب الله، وقرأت هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ[207] ﴾. (فمن ابتغى وراء ما زوجه الله أو ما ملكه فقد عدا) .[208]

السنة النبوية الشريفة: وهو كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

ومن ذلك إنكارها: على أبي هريرة ﷺ قوله: (من غسل ميتًا اغتسل ومن حمله توضأ) فقالت رضي الله عنها (أو نجس موتى المسلمين؟ وما على رجل لو حمل عودًا؟) .[209]

(إِمَامَةُ أمِّ المؤمِنِين عائشةَ فِي عِلْمِ الفِقْهِ)

كانت عائشة -رضي الله عنها- عالمة بالفقه مجتهدة في كثير من مسائله قال عطاء (كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة) .[210]فتبينَ لنا مما سبق أنها أقامت أحكامها الفقهية على أصول ومصادر اعتمدتها في اجتهادها، وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة، والقياس، والاستحسان، والاستصحاب، والعرف. وسنلقي الضوء على كل مصدر من هذه المصادر:

القرآن الكريم: وترى أن المعتدة للوفاة لا يجب عليها أن تعتد في بيت زوجها، وإنما يجوز لها الانتقال إلى بيت غيره، وقد استدلت على رأيها هذا بقوله ﴿ :ﷻوَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾فهذه الآية في رأيها قد حددت الزمان فقط دون المكان، وعليه يجوز للمعتدة أن تعتد في غير بيت زوجها.

السنة المطهرة: لجأت السيدة عائشة -رضي الله عنها- إلى السنة لتستمدَّ منها الدليل على رأيها، والتي جاءت مكملة للقرآن الكريم. ومن ذلك أنها ترى أن "نكاح المتعة حرام" وأن

---

[207] () [المؤمنون: 5،6].
[208] () (المستدرك على الصحيحين) للحاكم (2/ 393).
[209] () رواه أبو منصور البغدادي, وانظر (الإجابة للزركشي) (121/1).
[210] () (المستدرك على الصحيحين) (4/ص15 ح6748).



الأحاديث التي وردت في إباحتها قد نسخت, -وقد سبق تقريره-.

القياس: هو حمل مجهول الحكم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما. ومن ذلك: أنها ترى "عدم جواز أكل لحم الغراب" لأنه من الفواسق، فقد روى ابن ماجه أنها قالت: إني لأعجب ممن يأكل الغراب، وقد أذن رسول الله ﷺ في قتله وسماه فاسقًا، والله ما هو من الطيبات.[211]

الاستحسان: وهو ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الألفاظ لوجه هو أقوى منه. ومن ذلك: أنها ترى "منع خروج المرأة إلى المسجد لأداة صلاة الجماعة" لما يحدثه خروجها من إثارة للفتن فقد قالت: (لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل).[212]

الاستصحاب: هو التمسك بدليل عقلي أو شرعي لم يظهر عنه ناقل مطلقًا. ومن ذلك: أنها ترى "جواز أكل الجبن" فقد أخرج البيهقي: (سألت امرأة عن أكل الجبن؟ فقالت عائشة: إن لم تأكليه فأعطينيه آكل) فالسيدة عائشة قد بَنَت حكمها هذا على قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.[213] ﴾

العُرف: وهو عادة جمهور قوم في قول أو عمل. ومن ذلك أنها: ترى أن "سن الإياس عند المرأة إذا بلغت خمسين سنة ما لم تكن قرشية" فقد قالت (كل امرأة تجاوز الخمسين فتحيض إلا أن تكون قرشية).[214]

فصلٌ (سؤالاتُ الصحابةِ والتابعين لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها)

---

211 () (سنن ابن ماجه) (3248) وصححه الشيخ الألباني –رحمه الله-.

212 () أخرجه مسلم (1027).

213 () رواه البيهقي في (السنن الكبرى) (20180).

214 () (مواهب الجليل في مختصر الخليل) (366/1).

* وإلى جانبِ غفيرِ علم أم المؤمنين عائشة فلم يكنْ أحد يشاركها في العلمِ بفقهِ وحالِ النبيّ ﷺ مما لا يطلع عليهِ غيرها وزوجاته ﷺ، فبعد الاستقراء والتتبع ظفرتُ بأنَّ أكثرَ أسئلة صحابة رسول الله والتابعين لها عن حالِ النبي ﷺتجاه بعضِ الأحكام، وإليكَ طائفة من ذلك لتكونَ على بصيرةٍ ويقين.

● عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَنِيِّ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَتْ كُنْتُ أَغْسِلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ وَأَثَرُ الْغَسْلِ فِي ثَوْبِهِ بُقَعُ الْمَاءِ .[215]

● عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْقُدُ وَهْوَ جُنُبٌ قَالَتْ نَعَمْ وَيَتَوَضَّأُ[216].

● عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ .[217]

● عَنْ زُرَارَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ عَائِشَةُ فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ.. قَالَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا فَقَالَ صَدَقَتْ لَوْ كُنْتُ أَقْرَبُهَا أَوْ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لَأَتَيْتُهَا حَتَّى تُشَافِهَنِي بِهِ .[218]

● عنْ أَشْعَثَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ مَسْرُوقًا قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَتِ الدَّائِمُ قُلْتُ مَتَى كَانَ يَقُومُ قَالَتْ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ .[219]

● عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِاللَّيْلِ فَقَالَتْ سَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ سِوَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ .[220]

---

215 ()أخرجه البخاري (230).

216 ()أخرجه البخاري (286).

217 ()أخرجه البخاري (676).

218() أخرجه مسلم (1233) بتصرف، وفي الحديث سؤال التابعي الجليل سعد بن هشام عدة سؤالات كلها تتعلق بالنبي فسألها عن (خلقه) و (قيامه) و (وتره).

219() أخرجه البخاري (1132).

220 ()أخرجه البخاري (1139).



● عَنْ إِبْرَاهِيمَ قُلْتُ لِلأَسْوَدِ هَلْ سَأَلْتَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا يُكْرَهُ أَنْ يُنْتَبَذَ فِيهِ؟ فَقَالَ نَعَمْ قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُنْتَبَذَ فِيهِ؟ قَالَتْ نَهَانَا فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْبَيْتِ أَنْ نَنْتَبِذَ فِي الدُّبَّاءِ ، وَالْمُزَفَّتِ قُلْتُ: أَمَا ذَكَرْتِ الجَرَّ وَالْحَنْتَمَ قَالَ: إِنَّمَا أُحَدِّثُكَ مَا سَمِعْتُ أَفَأُحَدِّثُ مَا لَمْ أَسْمَعْ .[221]

● عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ قُلْتُ بِأَيِّ شَيءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ بِالسِّوَاكِ .[222]

● عَنْ كُرَيْبٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَزْهَرَ –رضي الله عنهم– أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رضى الله عنها فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلاَةِ الْعَصْرِ؟ وَقُلْ لَهَا: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْهُمَا. فَقَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ –رضى الله عنها– فَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي. فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ؛ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ –رضي الله عنها– سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِى نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ قُولِي لَهُ تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا. فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِى عَنْهُ. فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ «يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ.[223] »

● عَنْ مُعَاذَةَ قَالَتْ سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلاَ تَقْضِي الصَّلاَةَ؟ فَقَالَتْ أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ قُلْتُ لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ.[224]

---

221 ()أخرجه البخاري (5595), وهذا الأثر إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أمانتها في نقلِ العلم رضي الله عنها.

222 ()أخرجه مسلم (613).

223 () أخرجه البخاري (1233) ومسلم (1970).

224 () أخرجه مسلم (789).



*وأمثالُ ذلك كثيرة في كتب الحديث المسندة، وهذا كلُّه يدلُّ على ثلاثةِ أمور جليلة:

الأول: تعظيمُ مكانةِ أم المؤمنين عائشة في العلمِ؛ والتكلف لسؤالها من الرجالِ والنساءِ مع توفر كبار الصحابةِ الذين كانتِ الفتوى رأسًا لهم ومرجعًا.

الثاني: اهتمامهم بمعرفةِ حالِ النبيّ ﷺ وعاداته وأفعاله، وكل ذلك يعرفُ مِن أقربِ الناس إليه ﷺ هديًا وحكمةً وطلبًا، فرضيَ الله عنها وأرضاها.

الثالث: كثرةُ أسئلة أم المؤمنين رسول الله ﷺ, وهذا الذي أنتجَ ذاكرةً قويةً، وفهمًا وقَّادًا, وثقةً عاليةً، وقد استقريت بعضُ أسئلتِها –رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ, فوجدتها تنحصر في نوعين –بل تزيد-, وهذا يلزمنا أن نتكلم عنه بفصلٍ خاص.

فصلٌ (سؤالاتُ أمّ المُؤمِنين عائشة لرسول اللهِ ﷺ)

كانت أم المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها, تلميذة مستفيدة من زوجها الكريم ﷺ وكانتْ تسأل عما يستشكل عليها من الأمورِ, بل جاءَ أنه كانت تسأل كل شيء لا تعرفه حتى تعرفهَ, فسألتِ النبي في الفقهِ وفي التفسير وفي الأحوالِ الشخصيةِ فاستفادتْ وتربت وتعلمت, فمن هذه الأسئلة التي جاءتْ في السنةِ، وسأعنونها باختصار:

أولاً: أسئلتها الفقهية, فمن ذلك:

● عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لاَ ؛ لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ.[225]»

● عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ «هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ .[226]»

● عْن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ؟ فَأَخْبَرَنِي «أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ.[227]»

---

225 ()أخرجه البخاري (1520).

226 ()أخرجه البخاري (751).

227 (()أخرجه البخاري (6619)



● قالَ ذَكْوَانُ مَوْلَى عَائِشَةَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَارِيَةِ يُنْكِحُهَا أَهْلُهَا أَتُسْتَأْمَرُ أَمْ لاَ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– «نَعَمْ تُسْتَأْمَرُ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لَهُ فَإِنَّهَا تَسْتَحْيِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– «فَذَلِكَ إِذْنُهَا إِذَا هِيَ سَكَتَتْ.[228]»

ثانيًا: استفساراتها القرآنية, فمن ذلك:

● عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ «عَلَى الصِّرَاطِ .[229]»

● عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله ﷺعن قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ قال: «فإذا رأيتهم فاعرفيهم» وقال يزيد: فإذا رأيتموهم فاعرفوهم قالها مرتين أو ثلاثا.[230]

● عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال: «لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات.[231]»

إِضَاءَةٌ

قال شمس الدين الذهبي رحمه الله: ولا أعلم في ... ﷺ، بل ولا في النساء مطلقا، أمرأة أعلم منها اهـ.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: أكثر الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئا كثيرا حتى قيل: إن ربع الاحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها اهـ.[232]

المطلب السابع: استدراكاتُ أم المؤمنين العلمية على الصحابة.

---

228 ()أخرجه البخاري () ومسلم ().

229 () أخرجه مسلم (.7234)

230 ()(صحيح الترمذي) (2993)

231 ()(صحيح الترمذي) (2993).

232 () (سير أعلام النبلاء) (2/ 140), (فتح الباري) (107/7).

إنَّ علمَ أم المؤمنينَ عائشة -رضيَ الله عنها- لا يقتصرُ على "التفسيرِ أو الحديث" أو علمٍ ما بعينِه، بَلْ هيَ بحقٍّ موسوعةٌ في جميعِ العلوم بأنواعِه ومسائِلِه، لذا حقَّ لهذه العالمة الجليلةُ -عن بقيةِ غيرها من الصحابة- أن يؤلِّف الإمامُ بدرُ الدين مُحَمَّد بن بَهَادر بن عَبْد اللهِ الزركشي المنهاجي الْمِصْرِيّ الشَّافِعِيّ (745-794هـ) كتابًا فريدًا سمَّاهُ "الْإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَة".[233]

قال عنهُ بدر الدين الزركشي: فَهَذَا كِتَابٌ أَجْمَعُ فِيْهِ مَا تَفَرَّدَتْ بِهِ الصِّدِّيْقَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَوْ خَالَفَتْ فِيْهِ سِوَاهَا بِرَأْيٍ مِنْهَا أَوْ كَانَ عِنْدَهَا فِيْهِ سُنَّةً بَيِّنَةً، أَوْ زِيَادَةُ عِلْمٍ مُتْقَنَةٌ، أَوْأَنْكَرَتْ فِيْهِ عَلَى عُلَمَاءِ زَمَانِهَا، أَوْ رَجَعَ فِيْهِ إِلَيْهَا أَجِلَّةٌ مِّنْ أَعْيَانِ أَوَانِهَا، أَوْحَرَّرَتْهُ مِنْ فَتْوَى، أَوِ اجْتَهَدَتْ فِيْهِ مِنْ رَأْيٍ رَأَتْهُ أَقْوَى؛ مُورِدًا مَا وَقَعَ إِلَيَّ مِنْ اخْتِيَارَاتِهَا، ذَاكِرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ فِيْ ذَلِكَ مَا وَصَلَ إِلَيَّ مِنْ رُوَاتِهَا .[234]

ولعل سائلاً يسأل؛ ما سببُ كثرةِ استدراكِ عائشةَ –رضيَ الله عنها– على غيرها؟

أجابَ عن ذلك بدر الدين إذ يقولُ: وَمَا هَذَا إِلَّا بِبَرَكَةِ هَذَا الْبَيْتِ الْعَظِيْمِ الْفَخْرِ، "مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ" وما هوَ إلاَّ دليلٌ على جلالةِ علمها، وغزيرِ فضلها، وكبير ضبطها، وعظيم اهتمامها بمصونةِ الأحاديثِ عن الأخطاءِ والأوهامِ والنسيانِ.

• ولا أدل من مصداقيةِ قولنا ما جاء في الأثر: عن ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ (كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ)[235] . ثمَّ إني أقول ليس كل ما استدركته عائشةِ على الصحابة صحيحًا، بل منها ما كان خطأً عندَ عائشةَ رضي الله عنها، ولولا أنَّ الموطنَ يتناسب مع التطويل في التفريعِ لأطلنا، لكن كتبنا قدر ما كتبه الله لنا.

فَصْلٌ (الأُصُولُ الَّتي تنبني عليها استدراكات عائشة)

إن الذي يمعن النظر كما يقول العلامة الشيخ سليمان الندوي –رحمه الله– (المتوفى سنة 1373هـ) في استدراكات أم المؤمنينَ على الصحابة يتبين أنها تنبني على الأسس التالية:

أ- لا يحتج بالسنة إذا خالفتِ الكتاب:

---

233 () [وقد عرضَ بدر الدينِ كتابه هذا –كما أوضح ذلك في المقدمة- على برهان الدين ابن جماعة الشافعي, والكتابُ بتحقيقِ الشيخ سعيد الأفغاني. وتخريجِ وتعليقِ الدكتور: عصمت الله].

234 () (المقدمة ص32).

235 () أخرجه البخاري (103).



قد أتيت أم المؤمنين علما دقيقًا في فهم كتاب الله عزوجل مما أورثها تعظيمه وتقديمه على غيره، فكانت لا تسمع حديثًا من رسول الله إلا واستفسرت ما عمَّا أشكلت؛ ولا تسمع قولا من أحد صحابة رسول الله إلاَّ وردَّته وأبطلت؛ ومن ذلك مسائل:

* مسألة تعذيب الميت ببكاء أهله عليه: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ –وَاللَّفْظُ لَهُ– عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ وَذُكِرَ لَهَا عَبْدُ اللهِ بن عُمَرَ يَقُوْلُ: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا إِنَّهُ لَيْس يَكْذِبُ ولَكِنَّهُ نَسِيَ أَوْ أَخطَأَ إِنَّمَا مَرَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَلَى يَهُوْدِيَّةٍ يُبْكَى عَلَيْهَا فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَبْكُوْنَ عَلَيْهَا وإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِيْ قَبْرِهَا [236].

قال الزركشي: واعلم أَنَّ تَعْذِيْبَ الْمَيّتِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ جَمَاعَةٌ مِّنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: عُمَرُ وَابْنُ عُمَرَ وَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِمَا عَائِشَةُ وَحَدِيْثُهَا مُوَافِق لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَهُوَ قَوْله سُبْحَانَهُ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلُّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وَمُوَافِقٌ لِلْأَحَادِيْثِ الْأُخَر فِيْ بُكَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَوْتَى وَإِقْرَارُهُ عَلَى الْبُكَاءِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ﷺ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ فمحال أن يفعل مَا يَكُوْنُ سببا لعذابهم أَوْ يقر عَلَيْهِ. اهـ.[237]

فاستدلت عائشة رضي الله عنها بقول الله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى[238]﴾ وهذا رأي ابن المبارك والشافعي وأبي حنيفة .

* مسألة سماع الموتى: عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ فَقَالَ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَقِيلَ لَهُ تَدْعُو أَمْوَاتًا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ. فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ: [وعند مسلم: وهَلَ؛ يعني أخطأ] إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ حَتَّى قَرَأَتِ الآيَةَ .[239]

فعائشة –رضي الله عنها– عرضتْ حديثه على القرآن، فوجدت قوله يخالف صريحَ القرآنِ، وقولها غير صحيح، كما قال الشيخ الدكتور حاتم العوني الشريف: لا يصحُّ نَقدُ عَائِشَةَ –

---

236 () أخرجه البخاري (1289).

237 () (الإجابة) (103/1).

238 () [الأنعام: 164].

239 () أخرجه البخاري (3980) ومسلم (7403).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، ومع هذا فإنَّ العُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا كَثِيرًا في تأويلِ الأحَادِيثِ، فمنهم من جَمَعَ بَيْنَ الأَحَادِيثِ، وحملَ بعضُهُم الحديثَ عَلَى أَوْجُهٍ: الوجه الأوَّلُ: المقصودُ "أَنَّهُ يَحْزَنُ لبُكَائِهِمْ" كمَا أنَّ الإنسانَ يتألم إذا بلغه أنّ أَهْلَهُ يَبكُونَ، والحزنُ والألم عذاب، وهو جمعُ شيخِ الإسلامِ ابنُ تيميةَ –رحمه الله-.

الوجه الثَّانِي: من حثِّهم على البكاءِ عليهِ، كما جاءَ في البيتِ الذي نُسبَ إلى لبيدِ بن ربيعةِ يخاطبُ بنتيْهِ:

إلَى الحَولِ ثمَّ اسْم السَّلامُ عَليكُمَا *** ومَن يبكِ حَولاً كَاملاً فقدِ اعتذر.[240]

* مسألة الشؤم في ثلاثة المرأة والدابة والفرس: عن أبي حسان الأعرج ان رجلين دخلا على عائشة فقالا ان أبا هريرة يحدث ان نبي الله صلى الله عليه و سلم كان يقول: إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار قال فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض فقالت والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ولكن نبي الله صلى الله عليه و سلم كان يقول كان أهل الجاهلية يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت عائشة ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ إلى آخر الآية.[241]

قال الزركشي: و أَمَّا ابْن الْجَوْزِيّ فِي المشْكَل فأَنْكَرَعَلَى عَائِشَة هَذَا الرد وقَالَ: الْخَبَرَرَوَاهُ جَمَاعَة ثقات فَلَا يعتمد عَلَى ردها، وَالصَحِيْح أن الْمَعْنَى إن خيف من شَيْء أن يَكُوْنُ سببا لَمَّا يخاف شره وَ يتشاءم بِهِ فهَذِهِ الْأشياء لَا عَلَى السبيل الَّتِيْ تظنها الْجَاهِلية من العدوى وَ الطيرة وَ إِنَّمَا الْقَدْر يجعل للأَسْبَاب تَأْثِيْرا .[242]

* مسألة ولد الزنا شر الثلاثة: عن عروة قال: "بلغ عائشة رضي الله عنها أن أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ولد الزنا شر الثلاثة. فقالت: يرحم الله أبا هريرة أساء سمعا، فأساء إجابة لم يكن الحديث على هذا إنما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله ﷺ، فقال: من يعذرني من فلان؟ قيل يا رسول الله إنه مع ما به ولد زنا، فقال رسول الله) :ﷺهو شر الثلاثة), والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.[243] ﴾

---

240 () (المدخل إلى علم العلل) (ص17) بتفريغ وتهذيب كاتب هذه السطور.

241 () (مسند أحمد بن حنبل) (26130) وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط.

242 () (الإجابة) (117/1).

243 () أخرجه الحاكم في المستدرك (2/234) وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة) (672).



ب- الوصول إلى فحوى الكلام ولبِّه:

كانت عائشة رضي الله عنها ممن أوتي فهمًا ثاقبًا وذكاءً متوقدًا وفطنةً نادرةً، استخدمته في فهم السنة النبوية وإدراكها, ومن ذلك مسائل:

* مسألة بعث الميت في ثيابه: عن أَبِيْ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَعِيْد الخدري أَنَّهُ لَمَّا حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثُمَّ قَالَ: سَمِعت رَسُوْل اللهِ ﷺ يَقُوْل (إِنَّ الْمَيِّت يبعث فِي ثيابه الَّتِيْ يموت فِيْهَا.[244])

وجاءَ: وإِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُا أنكرت عَلَيْهِ ذَلِكَ وقَالَتْ: يرحم الله أَبَا سَعِيْد إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيّ ﷺ عمله الَّذِيْ مَاتَ عَلَيْهِ قَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ) :ﷺيحشر النَّاس حفاة عراة غرلاً). ذكره الزركشي نقلاً عن بعضِ الأصحاب .[245]

* مسألة: الصلاة بعد الصبح والعصر: رويَ عن عمرَ وبعضِ أصحاب النبي أن النبي ﷺ قال: لا صلاةَ بعد الصبح والعصر. فلما سمعت ذلكَ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَهِمَ عُمَرُ إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَحَرَّى طُلُوعُ الشَّمْسِ وَغُرُوبُهَا .[246]

فما ذهبت إليه عائشة أقربُ إلى الصوابِ، وأنسب إلى الدرايةِ، لأنها فهمتْ العلةَ والغرضَ منه.

ج- المعرفة الشخصية:

لقد هيأ الله لأم المؤمنين الأسباب التي جعلت منها أحد الأعلام حاملي علوم النبوةِ، ومعلوم أن الزوجةَ أدرى الناس بأقوالِ الزوجِ –الحبيب المصطفى- وبأفعالهِ، مما هيأ لها ما لم يُهيَّأ لغيرها، فصارت على علمٍ بالأحوال الخاصة فضلاً عن العامةِ، ومن ذلك مسائل:

* مسألة نقضِ الشعر عند الغسل: عَنْ عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ قَالَ بَلَغَ عَائِشَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بن عَمْرٍو يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ فَقَالَتْ يَا عَجَبًا لِابْنِ عَمْرٍو هَذَا يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ أَفَلاَ يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَحْلِقْنَ رُءُوسَهُنَّ لَقَدْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَلاَ أَزِيدُ عَلَى أَنْ أُفْرِغَ عَلَى رَأْسِي ثَلاَثَ إِفْرَاغَاتٍ .[247]

---

[244] () (سنن أبي داود) (3116) , وصححه الشيخ الألباني, انظر صحيح الجامع (1971).

[245] () انظر (الإجابة) (133).

[246] () أخرجه مسلم (833).

[247] () أخرجه مسلم (773).



* مسألة الوتر عند الصبح: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ زِيَادٍ أَنَّ أَبَا نَهِيكٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ فَلاَ وِتْرَ لَهُ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: كَذَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ فَيُوتِرُ .(248)

* مسألة حل الحاج عند نحر الهدي: عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ زِيَادَ بن أَبِي سُفْيَانَ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: مَنْ أَهْدَى هَدْيًا حَرُمَ عَلَيْهِ مَا يَحْرُمُ عَلَى الْحَاجِّ حَتَّى يُنْحَرَ هَدْيُهُ قَالَتْ عَمْرَةُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَا فَتَلْتُ قَلاَئِدَ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِيَدَيَّ ثُمَّ قَلَّدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْهِ ثُمَّ بَعَثَ بِهَا مَعَ أَبِي فَلَمْ يَحْرُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْءٌ أَحَلَّهُ اللَّهُ حَتَّى نُحِرَ الْهَدْيُ.(249)

د- الذاكرة القوية والحافظة النادرة:

إن من منح الله الغالية رزقه لأم المؤمنين ذاكرة وحافظة قوية جدًا، من حفظها الوقائع، وإدراكها المعاني، وعلمها الغزير من جميع الفنون، ومن ذلك الذي عنيناه:

* مسألة الصلاة على الجنائز في المسجد: عَنْ عَبَّادِ بن عَبْدِ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَمَرَتْ أَنْ يُمَرَّ بِجَنَازَةِ سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْمَسْجِدِ فَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ مَا أَسْرَعَ مَا نَسِيَ النَّاسُ! مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سُهَيْلِ ابْنِ الْبَيْضَاءِ إِلاَّ فِي الْمَسْجِدِ .(250)

* مسألة عمرة النبي في رجب: عن عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ مُسْتَنِدَيْنِ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا بِالسِّوَاكِ تَسْتَنُّ –قَالَ– فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ نَعَمْ. فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ أَيْ أُمَّتَاهُ! أَلاَ تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ! قَالَتْ وَمَا يَقُولُ؟ قُلْتُ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ. فَقَالَتْ يَغْفِرُ اللَّهُ لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَعَمْرِي مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ وَمَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلاَّ وَإِنَّهُ لَمَعَهُ. قَالَ وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ فَمَا قَالَ لاَ وَلاَ نَعَمْ!. سَكَتَ .(251)

---

248 () رواه البيهقي في (السنن الكبرى) (4696) وعبد الرزاق في (المصنف) (4603), وهاهنا فائدة مهمة في هذا الحديث: أن معنى "كذب" عند أهلِ الحجاز "أخطأ" فليعلم ذلك.

249 () أخرجه البخاري (1700).

250 () أخرجه مسلم (2296).

251 () أخرجه مسلم (3095).



* مسألة الشهر يكون تسعة وعشرين يومًا: عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: الشهر تسع وعشرون؛ فذكروا ذلك لعائشة؛ فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن! إنما قال الشهر يكون تسعا وعشرين .[252]

- فهذه باختصارٍ منزلةُ ومكانةُ -أم المؤمنين عائشة العالمة الفاضلة- في العلمِ بدلالةِ علمها الثاقب، أما بدلالة غيرها فهاكَ منـزلتها ومكانتها عند الصحابةِ والتابعين في المطلبِ الآتي بمشيئة الله.

---

[252] () أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (5182) وحسن إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط.

المطلب الثامن: مكانةُ أم المؤمنين عائشة عندَ الصحابةِ والتابعين.

كان الصحابة والتابعين يُكِنُّوْن لعائشة -رَضِي اللَّه عَنْهَا- كُل الْحُب وَالْوِد والاحترام وَالْتَّقْدِيْر، فَهِي زَوْج الْنَّبِي ﷺ، وَأَحَب نِسَائِه إِلَيْه، وَهِي أُم الْمُؤْمِنِيْن، وَهِي بِنْت أَبِي بَكْر الْصِّدِّيق -رَضِي اللَّه عَنْه- وَكَانُوْا يَرْجِعُوْن إِلَيْهَا فِيْمَا أُشْكِل عَلَيْهِم وَيَسْتَنْيَرُون بِرَأْيِهَا وَبِفِقْهِهَا فِيْمَا يَرُد إِلَيْهِم.

*عن أم سلمة أنها سمعتِ الصرخة على عائشة، فأرسلت جاريتها: أنِ انظري ما صنعت، فجاءت فقالت: قد قضت، فقالت:" يرحمها الله، والذي نفسي بيده؛ قد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أباها".[253]

* فانظرْ لهذا الأثرِ الجليل من الصحابيةِ الجليلةِ أم سلمةَ رضي الله عنها الذي ينبئي عن صدق قولها, فهيَ مع ما كانتْ في حزبها ضدَّ عائشةَ إلاَّ أنه قالتْ صدقاً وقولاً ينبئُ فن فضلها وعظيمِ قدرها, فبيَّنتْ مقدار حبِّ النبي ﷺ لأم المؤمنين, ولا تقولُ نساءُ النبيِّ إلاَّ حقًّا.

* عن أَبِي بُرْدَة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: [مَا أُشْكلَ عَلَيْنَا أَصْحَاب رَسُوْل اللَّه ﷺ حَدِيْثٌ قَط فَسَأَلْنَا عَائِشَة -رَضِي اللَّه عَنْهَا- إِلَا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْه عِلْمًا]. [254]

* عن هشام بن عروة أن أباه -عروة بن الزبير بن العوام- ذكر عائشة -رَضِي اللَّه عَنْهَا- فقال: [كَانَت أَعْلَم الْنَّاس بِالْحَدِيْث، وَأَعْلَم الْنَّاس بِالْقُرْآَن، وَأَعْلَم الْنَّاس بِالْشِّعْر]. [255]

* عن مَسْرُوْق بن الْأَجْدَع قال: [لَقَد رَأَيْت الْأَكَابِر مِن أَصْحَاب رَسُوْل اللَّه ﷺ يَسْأَلُوْن عَائِشَة -رَضِي اللَّه عَنْهَا- عَن الْفَرَائِض]. [256]

* عن مصعب بن سعد قال: فرض عمر لامهات المؤمنين عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله. [257] ﷺ

* عن الشعبي: أن عائشة-رَضِي اللَّه عَنْهَا- قالت: رويت للَبيد نحوًا من ألفِ بيت، وكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة.[258]

---

[253] () أخرجه أحمد في مسنده (24672), قال الألباني (الإسناد لا بأس به في الشواهد) وقال شعيب الأرنائووط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

[254] () أخرجه الترمذي [3883] وقال: حديث حسن صحيح غريب.

[255] () أخرجه الحاكم في المستدرك [12/4] ، وإسناده صحيح.

[256] () رواه الهيثمي في مجمع الزوائد [242/9] وحسنه.

[257] () (سير أعلام النبلاء) (197/2).

[258] () المرجع السابق.

* عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى الأشعري ﷺ قال لعائشة رحمها الله تعالى: قد شق عليَّ اختلاف أصحاب محمد ﷺ في أمرٍ إني لأفظعه أن أذكره لك فقالت: ما هو؟ قال: الرجل يأتي المرأة ثم يكسل فلا ينزل؟ فقالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. فقال أبو موسى: لا أسأل عن هذا أحدا بعدك! .[259]

* عن الزهري قال حدثني القاسم بن محمد أن معاوية بن أبي سفيان ﷺ حين قدم المدينة يريد الحج، دخل على عائشة رحمها الله فكلمها خاليين –لم يشهد كلامهما– إلا ذكوان أبو عمرو ومولى عائشة –رحمها الله– فكلمها معاوية، فلما قضى كلامه تشهدت عائشة رحمها الله ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه ﷺ من الهدى ودين الحق، والذي سن الخلفاء بعده وحضت معاوية على اتباع أمرهم، فقالت في ذلك فلم تترك، فلما قضت مقالتها؛ قال لها معاوية: أنت والله العالمة بالله وبأمر رسوله الناصحة المشفقة البليغة الموعظة حضضت على الخير وأمرت به، ولم تأمرينا إلا بالذي هو خير لنا، وأنت أهل أن تطاعي، فتكلمت هي ومعاوية كلاما كثيرا فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان، ثم قال: والله ما سمعت خطيبا قط ليس رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة رضي الله عنها.[260]

* عن موسى بن طلحة قال: ما رأيت أحدا أفصح من عائشة .[261]
* عن عمرو بن غالب: أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال: اغرب مقبوحا منبوحا؛ أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه و سلم .[262]

* عن مسروق قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة: أن رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين بعد العصر فلم أكذبها .[263]

* عَنْ عَاصِمِ بن كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: انْتَهَيْنَا إِلَى عَلِيٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فَذَكَرَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: خَلِيْلَةُ رَسُوْلِ اللهِ .ﷺ

---

259 () رواه مالك في (الموطأ) (104).
260 () رواه الآجري في (الشريعة) (5/ 113).
261 () أخرجهُ الترمذي (3884) وصححه الألباني.
262 () أخرجهُ الترمذي (3884) وقال: حديث حسن.
263 () أخرجه الإمام أحمد (26086) وصحَّحه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

* قال الامام الذهبي —رحمه الله-: هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ. وَهَذَا يَقُوْلُهُ أَمِيْرُ المؤْمِنِيْنَ فِي حَقّ عَائِشَةَ، مَعْ مَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا فرضي الله عنهما وأرضاهما- وَلاَ رَيْبَ أَنَّ عَائِشَةَ نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً عَلَى مَسِيْرِهَا إِلَى البَصْرَةِ، وَحُضُورِهَا يَوْمَ الجَمَلِ، وَمَا ظَنَّتْ أَنَّ الأَمْرَ يَبْلُغُ مَا بَلَغَ .[264]

*عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عُمَيْرٍ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لاَ يَحْزَنُ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ كَانَتْ أُمَّهُ .[265]

* عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّونَ لاَ يَجِبُ الْغُسْلُ إِلاَّ مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ. قَالَ قَالَ أَبُو مُوسَى فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ. فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِى فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّاهْ – أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ – إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَىْءٍ وَإِنِّى أَسْتَحْيِيكِ. فَقَالَتْ لاَ تَسْتَحْيِى أَنْ تَسْأَلَنِى عَمَّا كُنْتَ سَائِلاً عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِى وَلَدَتْكَ فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ. قُلْتُ فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –» –ﷺإِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ.[266] »

* عن الْحَارِثِ بن هِشَامٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرَتْنِي: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا، ثُمَّ يَغْتَسِلُ، ثُمَّ يَغْدُو إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، ثُمَّ يَصُومُ ذَلِكَ الْيَوْمَ " فَأَخْبَرْتُهُ مَرْوَانَ فَقَالَ: ائْتِ أَبَا هُرَيْرَةَ فَأَخْبِرْهُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لِي صَدِيقٌ فَأَعْفِنِي، قَالَ: عَزَّمْتُ عَلَيْكَ لَتَأْتِيَنَّهُ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنِي إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَائِشَةُ أَعْلَمُ مِنِّي قَالَ شُعْبَةُ: وَفِي الصَّحِيفَةِ: عَائِشَةُ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللهِ .[267] ﷺ

فهذه مكانةُ أم المؤمنين عندَ أفضلِ خلقِ الله جل جلاله، وأحسنُ صحبِ رسول الله ﷺ، فأيُّ حاجةٍ أن نفيضَ القولَ في تقرير مكانتها عندَ أهل السلفِ الصالح منذ القرن الثالث حتى وقتنا الحاضر؟! ما هو إلاَّ غرفة اغترفها القوم اللاحق من السابق، وما هو إلاَّ إيمانٌ وتصديقٌ وجزمٌ بما تيقنوه وبلَّغوه، فرضي الله من رضيَ عنها وأبغضَ الله من أحلَّ العداوة عليها.

المطلب التاسع: خصائصُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

264 () (سير أعلام النبلاء) (3/ 155).

265 () (سير أعلام النبلاء) (3/ 163).

266 () أخرجهُ مسلم (812)

267 () (مسند الشاميين) (1503 .)



* قدْ وردَ في السنة عشراتُ الأحاديثِ الصحاحِ في بيانِ عظيمِ فضلها في الدنيا والآخرة، ولا أعظمَ فضلاً من ذلكَ أنها زوجةُ سيدِ الخلقِ النبي الكريم محمد ﷺ. قال الذهبي: ذهب بعض العلماء إلى أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر، وإن كان للصديقة خديجة شأو لا يلحق، وأنا واقف في أيتهما أفضل اهـ.[268]

* وسنذكرُ في بحثنا هذا المبارك –بإذنِ الله- مزيدًا من الأحاديث التي نصت في فضلها وكبير خيرها وجميل حالها مع النبي الكريم، ومع الخلق أجمعينَ، ولكن نوجزُ ما سنذكره هنا حتى يستقرَّ فضلها بالتخصيص أولاً، فامتازت أم المؤمنين عائشة بمزايا جليلةٍ فنقول:

قد خصتْ أم المؤمنينَ بكرائمَ من ربِّ العزةِ لم تكن لغيرها من نسوةِ رسولِ اللَّهِ، فمن ذلكَ:

(1) تزوجها رسول الله -ﷺ– بكرًا، ولم يتزوج بكرًا غيرها: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا! فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا -تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا-[269].

قال المهلب: فيه فضل الأبكار على غيرهن، وروى عن النبي ﷺ أنه حض على نكاح الأبكار، وقال: (إنهن أطيب أفواهًا، وأنتق أرحامًا، وأطيب أخلاقًا ،(وقيل فى تفسير: أنتق أرحامًا: أقبل للولد.[270]

(2) أحب أزواج النبي-ﷺ– إليه، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عمرو بن العاص أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ عَمْرَو بن الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ عَائِشَةُ قُلْتُ مِنَ الرِّجَالِ قَالَ أَبُوهَا قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ عُمَرُ فَعَدَّ رِجَالاً فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ.[271]

قال الإمامُ الذَّهَبيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَهَذَا خَبَرٌ ثَابِتٌ عَلَى رَغْمِ أُنُوْفِ الرَّوَافِضِ، وَمَا كَانَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– لِيُحِبَّ إِلاَّ طَيِّبًا.. وقال: وَحُبُّهُ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْرًا مُسْتَفِيْضًا.[272]

---

268 () (سير أعلام النبلاء) (140/2).

269 () أخرجه البخاري (5077).

270 () شرح صحيح البخاري لابن بطال (7/ 171).

271 () أخرجه البخاري (.4358).

272 () (سير أعلام النبلاء) (121/3).



يا أُمَّنا، كفاكِ فخرًا سَامِقًا***حبُّ النبيِّ الواضح الكبيرِ

* وعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِي رَسُولَ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّمِيهِ قَالَتْ فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا (لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ) قَالَتْ فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَرْسَلْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ (يَا بُنَيَّةُ أَلاَ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ) قَالَتْ بَلَى فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرَتْهُنَّ فَقُلْنَ ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا قَالَتْ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ (إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ.[273])

*قال الإمام الذهبي –رحمه الله-: في قولِهِ) ﷺلاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ :(وَهَذَا الجَوَابُ مِنْهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى سَائِرِ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِيْنَ بِأَمْرٍ إِلَهِيٍّ وَرَاءَ حُبِّهِ لَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ الأَمْرَ مِنْ أَسْبَابِ حُبِّهِ لَهَا .[274]

*ونبَّه القاضي عياض –رحمه الله–: أنهن يسألنه العدل فيها، على طريق الرغبة فى الحظ لأنفسهن، والحرص على الاستكثار منه، لا على طريق التحويز له والتظلم منه .[275]

---

273 () أخرجه البخاري (.2579).
274 () (سير أعلام النبلاء) (204/3).
275 () (إكمال المعلم) (227/7), وانظر في حبه صلى الله عليه وسلم ما نزل عليه من الآي في (حالها مع النبي) السابق.



قال الشيخ عبدِ الرحمن الطموخي: ألاَ ما أعظمَ هذا النبيَّ الخاتم ﷺ وتَلطُّفَه بأهله! فهذا درسٌ للنساء يتعلمْنَ منه، وينظرن إلى هذا الوفاء، فإذا كان هذا الفِعل يُعكِّر على الزوْج فلا تفعله، فإنَّ عائشة -رضي الله عنها- ما قامتْ ودافعتْ، إنما قالت: "فنظرتُ إلى وجه النبيِّ ﷺ هل يَكْرَه أن أنتَصِر؟" فهذا دَرْس تُعلِّمه السيِّدة عائشة للنساء، أنَّها تُراعي زوجَها، فإذا كان زوجُها يَتضجَّر من صِفة معيَّنة، فلا يجوز أن تفعلَها أبدًا، وهذا هو مقتضَى الوفاء والعِشْرة بالمعروف، فانظر إلى حِلْمه ﷺ وصبْره على تحمُّل نِسائه، وهكذا الرِّجال يتعلَّمون من سيِّد البشر ﷺ مراعاةَ نفسيَّة النِّساء، وكلُّ نُشوزٍ -أو جُلُّ النشوز- في البيوت سببُه الرجل؛ لأنَّه لا يقوم بحقِّ القِوامة، ولو قام بحقّ القِوامة لقَلَّ أن تنشُزَ المرأة، فلاَ تنشُز المرأة إلاَّ بعدما يُهدِر الرجلُ قِوامته، أو بعضها، أو يتسامح فيها اهـ.

وأمَّا قوله ﷺ في حديث أم زرع: (كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ): تطييبا لنفسها، ومبالغة في حسن عشرتها، ومعناه: أنا لك ...أو كنت لك في قضاء الله وسابق علمه كأبي زرع في إحسانه ومحبته لها .[276]

(3) استبطاء النبي ﷺ المرض يومها، عن هشام عن عروةَ: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول (أين أنا غدا أين أنا غدا) حرصا على بيت عائشة. قالت عائشة فلما كان يومي سكنْ .[277]

(4) أنها من أعلم الصحابةِ والصحابيات ،قال الزهري: لو جمع علم عائشة لي وعلم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل .[278]

(5) دعاء النبيِّ ﷺ لها بالغفران، عن عائشة أنها قالت: لما رأيت من النبي ﷺ طيب النفس قلت: يا رسول الله ادع الله لي، فقال: (اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ما أسرت وما أعلنت)، فضحكت عائشة حتى سقط

---

[276] () (إكمال المعلم) (7/ 238), وأما حديث أبي زرع الطويل فلم يذكره ﷺ إلاَّ لتبيانِ مكانتها عنده ﷺ.

[277]() أخرجه البخاري (1389) ومسلم (6445).

[278]() (الاستيعاب لابن عبد البر) (109/2).

رأسها في حجرها من الضحك قال لها رسول الله) :ﷺأيسرك دعائي؟) فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك فقال) :ﷺوالله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة ((279).

فتأمَّلوا تواضعَ النبي ﷺ وملاطفته لأمِّ المؤمنين وحبيبةُ المسلمين ومخاطبته لها, وحبُّ الدعاء لها في جميعِ أمورها "سرها وعلنها ما تقدم من ذنبها وما تأخر" سروراً وفرحاً بدعاءِه ﷺ وكانَ يكثرُ رسول الله من الدعاءِ لها, فقد روى الديلمي: عن عائشة بلفظ: «اللهم اغفر لعائشة مغفرة ظاهرة وباطنة واسعة محللة لا تغادر دنساً ولا تكتسب بها إثماً.(280)»

(6) أن الوحي كان ينـزل في لحافها، قال » :ﷺيا أم سلمةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا.(281) «

قال الإمام الذهبي –رحمه الله-: وَهَذَا الجَوَابُ مِنْهُﷺ دَالٌّ عَلَى أَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى سَائِرِ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِيْنَ بِأَمْرٍ إِلَهِيٍّ وَرَاءَ حُبِّهِ لَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ الأَمْرَ مِنْ أَسْبَابِ حُبِّهِ لَهَا اهـ.(282)

قال ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لعائشة وقد استدل به على فضل عائشة على خديجة وليس ذلك بلازم....(283)

* ومما يسأل عنه؛ ما الحكمة في اختصاص عائشة بذلك؟

قال ابن حجر رحمه الله: قيل لمكان أبيها وأنه لم يكن يفارق النبي ﷺ في أغلب أحواله فسرى سره لابنته، مع ما كان لها من مزيد حبه ﷺ؛ وقيل أنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي ﷺ والعلم عند الله تعالى اهـ.(284)

(7) تحري الناس إهداء رسول الله في يومها، عن عروةَ قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون ذلك مرضاة النبي .(285)ﷺ

279() أخرجه ابن حبان في (صحيحه) (7111), والحديث حسن؛ انظر (السلسلة الصحيحة (7067).

280() (الفردوس بمأثور الخطاب) (498/1، رقم 2032) .

281() أخرجه البخاري (3775), وانظر في ذلك أصلُ القصةِ والمحاورة.

282() (سير أعلام النبلاء) (204/3).

283() (فتح الباري) (108/7).

284() (فتح الباري) (109/7).

285() أخرجه البخاري (2580) ومسلم (6442).



قال الحافظ ابن حجر فيما نقله عن ابن بطال عن ابن المهلب: (وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة وأنه لا حرج على المرء في إيثار بعض نسائه بالتحف وإنما اللازم العدل في المبيت والنفقة ونحو ذلك من الأمور اللازمة).[286]

لكن أجاب ابن المنير عنه بأن النبي ﷺلم يفعل ذلك وإنما فعله الصحابة ﷺ وأما كونه لم يمنعهم فلأنه ليس من كمال الأخلاق أن يتعرض الرجل للناس بمثل ذلك، كما أن الذي يظهر أن النبي ﷺ يشركهن في ذلك اهـ.[287]

(8) إراءة جبريل –عليه الصلاة والسلام- لرسول الله صورتها قبل زواجها، وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ لعائشةَ: (رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ مرتين يَجِيءُ بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ) فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَقُلْتُ (إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ) اهـ .[288]

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: هذه الرؤيا أريها النبي قبل زمن النبوة في وقتٍ تجوز عليه رؤيا سائر البشر فلما أوحى الله عليه حصن رؤياه من الأضغاث وحرسه فى النوم كما حرسه فى اليقظة وجعل رؤياه وحيًا؛ ويحتمل وجهًا آخر: أن تكون هذه الرؤيا منه عليه السلام بعد النبوة وبعد علمه بأن رؤياه وحى فعبر عليه السلام عما علمه بلفظ يوهم الشك ظاهره ومعناه اليقين، وهذا موجود فى لغة العرب..كما في قولِ جرير

ألستمْ خير من ركبَ المطايا *** وأندى العالمينَ بطونَ راحِ اهـ.[289]

(9) أنها أول من خيّرت من نساءِ النبي ﷺ؛عَن عائِشةَ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: (إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ). وتلا قوله ﴿يا أيُّها النبيُّ قلْ لأزواجكَ...﴾ فقالتْ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ! فاستنَّ بها زوجات النبيّ .[290] ﷺ

---

[286] () فتح الباري (5/ 207).

[287] () (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) (256/10) لأبي العلا المباركفوري.

[288] () أخرجه البخاري (3895) ومسلم (6436).

[289] () شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 535).

[290] () أخرجه البخاري (4785) ومسلم (3769).



قال أبو زرعة العراقي رحمه الله: اختلف الصحابة رضي الله عنهم في أنَّ التخيير في الآية هل كان بين إقامتهن في عصمته وفراقهن؟ أو بين أن يبسط لهن في الدنيا أو لا يبسط لهن فيها؟

فذهب إلى الأول عائشة وجابر، وذهب إلى الثاني علي بن أبي طالب وابن عباس حكى ذلك والدي رحمه الله في شرح الترمذي، وقال: الأول أصح، وعائشة صاحبة القصد، وهي أعرف بذلك مع موافقة ظاهر القرآن لقوله تعالى ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾، وهو الطلاق اهـ.[291]

وقال رحمه الله: فيه منقبة ظاهرة لعائشة ثم لسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة ، وفيه المبادرة إلى الخير وإيثار أمور الآخرة على الدنيا اهـ.[292]

قالَ أبو الفرجِ الجوزي –رحمه الله-: فلما اخترنَهُ أنبأهن الله عز وجل ثلاثة أشياء: (أحدها) التفضيل على سائر النساء بقوله ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (والثاني) أن جعلهن أمهات المؤمنين (والثالث) أن حظر عليه طلاقهن والاستبدال بهن لقوله ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ.[293] ﴾

(10) توفي النبي في بيتها، وبين سحرها ونحرها، وجمع الله بين ريقه وريقها، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي وَفِي نَوْبَتِي وَبَيْنَ سَحْرِي[294] وَنَحْرِي[295] وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي **وريقِهِ عندَ موتهِ** [296], وكَانَتْ تَقُولُ مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي[297] وَذَاقِنَتِي.[298] ,[299]

---

[291] () (طرح التثريب بشرح التقريب) (279/7) لأبي الفضل –الأب- وأبي زرعة –الابن- العراقيين.
[292] () (طرح التثريب بشرح التقريب) (280/7).
[293] () (كشف المشكل عن الصحيحين) (50/1).
[294] () السَّحر: هو الصدر، وهو في الأصل الرئة.
[295] () النحر: المراد به موضع النحر، وهو في الرقبة، وقصدت بذلك أنه مات ورأسه على أعلى صدرها.
[296] () أخرجه البخاري (3100).
[297] () الحاقنة: ما سفل من الذقن، أو الحاقنة نقرة الترقوة.
[298] ()) الذاقنة: ما علا من الذقن، وقيل: الذاقنة طرف الحلقوم.
[299] () أخرجه البخاري (4084)..



قال الملا علي القاري رحمه الله: وفيه إيماء إلى رضاه عنها حتى عند انقطاع حياته اهـ.[300]

أقمتِ للمصطفى بالحبِّ أروقةً *** وكنتِ للدعوة الغرّاءِ شطآنا
وفي أسى موتِهِ قد كنتِ أقربهم *** ريقًا ومثوًى وأحضانًا ووجدانًا
واختار دارك مشكاةً لمرقدِهِ *** إلى مدى حشرٍ أولانا وأُخرانا

(11) أنها كانت تغضب فيترضاها، ولم يثبت هذا لغيرها: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ » ﷺإِنِّى لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَىَّ غَضْبَى». قَالَتْ فَقُلْتُ وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ «أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ». قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ.[301]

قال الحَافظ ابن حجر –رحمه الله-: يُؤخَذ من الحديث استقراءُ الرَّجُل المرأةَ مِن فِعلها وقولها فيما يَتعلَّقُ بالمَيْل إليه وعدمه ا. هـ.[302]

قال الشيخُ الطِّيبي –رحمه الله-: هذا الحصْر لطيف جدًّا - يعني: قولها: ما أهجُر إلا اسمَك- لأنَّها أخبرتْ أنها إذا كانت في حال الغضَبِ الذي يَسلُب العاقلَ اختيارَه، لا تتغيَّر عن المحبَّة المستقرَّة. وفي اختيارِ عائشةَ -رضي الله عنها- ذِكْر إبراهيم ﷺ دون غيره من الأنبياء دَلالةٌ على مزيدِ فِطنتها؛ لأنَّ النبي ﷺ أَوْلَى الناس به كما نصَّ عليه القرآن؛ فلمَّا لم يكن لها بُدٌّ مِن هَجْر الاسم الشريف، أبدلتْه بمَن هو منه بسبيل؛ حتى لا تخرج عن دائرةِ التَّعلُّق في الجُمْلة" ا.هـ.[303]

إِضَاءة

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خديجة وعائشة: أمي المؤمنين ﵄ أيهما أفضل؟

---

[300] ()(مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.(17/ 238))

[301] () أخرجه البخاري (5228) ومسلم (6438).

[302] () (الفتح) (326/9).

[303] () (الفتح) (326/9).

فأجابَ -رحمه الله تعالى-: سبْق خديجة، وتأثيرها في أوَّل الإسلام، ونصرها، وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة، ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثيرُ عائشة في آخر الإسلام، وحملِ الدين، وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة –رضي الله عنها-، ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها" .[304]

المطلب العاشر: فضائلُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

* قد فضِلّت عائشة ـرضي الله عنهاـ بمزايا كريمة استوجبتْ الرفعةَ في قدرها ومكانتها، فمن ذلك:

(1) فضلها على جميعِ النساء، عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.[305] »

وعن أبي موسى الأشعري ﷺقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.[306])

قال ابن حجر –رحمه الله-: وفضل عائشة.. الخ لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وقد أشار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء النبي.[307] ﷺ

(2) زوجةُ النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، عن الحكم سمعت أبا وائل قال: لما بعث علي عمارا والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[308] .

(3) إقراء جبريل عليهِ الصلاة والسلام لها، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال: رسول الله ﷺ يوما (يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام) فقلتُ وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى –تريد رسول الله- .[309]

---

304 () (مجموع الفتاوى) (393/4).

305 () أخرجه البخاري (3411) ومسلم (6452).

306 () أخرجه البخاري (3558) ومسلم (6425).

307 () (فتح الباري) (107/7).

308 () أخرجه البخاري (3772).

309 () أخرجه البخاري (3217) ومسلم (6454).



قال الشَّيْخُ أبُو العَبَّاسِ القُرْطِبِيُّ –رَحِمَه اللَّهُ–: وهذه فضيلة عظيمة لعائشة، غير أن ما ذكر من تسليم الله ﷻ على خديجة أعظم؛ لأنَّ ذلك سلام من الله، وهذا سلام من جبريل .[310]

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله-: إن قال قائل فهلاً واجهها جبريل بالسلام فكان أعجب كما واجه مريم؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه لما قدر وجود عيسى لأمر آت بعث جبريل إلى مريم يعلمها بكونه قبل كونه لتعلم أنه مكون بالقدرة فتسكن في زمن الحمل ثم بعث إليها عند الولادة لكونها في حيرة ووحدة فقال لها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ فكان خطاب الملك لها في الحالتين تسكينا لانزعاجها ومبدأ لمعجز ولدها بخلاف عائشة وأنها لم تكن تقع في مثل هذه الحالات.

والثاني: أن مريم كانت خالية عن زوج فواجهها بالخطاب وعائشة احترمت لمكان الرسول كما احترم الرسول قصر عمر الذي رآه في المنام أن يدخله خوفا من غيرة عمر؛ وهذا أبلغ في فضل عائشة لأنها إذا احترمها جبريل الذي لا شهوة له حفظا لقلب زوجها كانت عن الفحشاء التي قيلت عنها أبعد.[311]

(4) نزول طهارتها وكرامتها في عشر آياتٍ، فقد برأها اللَّه من الإفكِ الكاذبِ في سورة النور، وجاءَ في الصحيحين قصة الإفكِ مسردةً بكاملها لبيان عظيمِ مكانتها ونزاهتها ورفعة درجتها عندَ ربها، ولم يكن ذلك لغيرها.

لا يُذكرُ الطُّهرُ إلا قيلَ عائشةٌ *** رمزٌ لهُ وهوَ نورٌ في مُحيّاها
نُجِلُّها نُطرِبُ الدنيا بِرَوعتها *** إذا انبرى بكلامِ السوءِ أشقاها
نُرتِّلُ الوحيَ صفوًا عن طهارتِها *** ولا نُبالي بصوتٍ خاسئٍ تاها
صدِّيقةٌ وابنةُ الصدِّيقِ ليس لها *** من مُشبِهٍ في الصّبايا في مزاياها

قال الإمام محمد بن الحسين الآجري –رحمه الله– في (الشريعة): إن الله عز وجل لم يزد عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك إلا شرفا ونبلا وعزًا، وزاد من رماها من المنافقين ذلًا وخزيًا، ووعظ من تكلم فيها من غير المنافقين من المؤمنين بأشد ما يكون من الموعظة، وحذرهم أن يعودوا لمثل ما ظنوا مما لا يحل الظن فيه اهـ.

(5)أنها أم المؤمنين بشهادةِ الله ﷻ، قال تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ قال بعض أهل العلم: فمن لم يرض بها أما له، لم يكن من المؤمنينَ. وهذه أمومةُ احترام وحرمة، لا أمومةُ خلوةٍ ومحرمية. قال الإمام ابن كثير الدمشقي –رحمه الله:

---

310 () (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم) لأبي العباس القرطبي (20/ 73).
311 () (كشف المشكل من الصحيحين) (1/ 1222).



وقوله ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمى بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي في المختصر، وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم .[312]وقال ابن عباسٍ ﷺ للخوارج حينَ ناظرهم: إن قلتُم إنها ليسَتْ أمكمْ فقد كفرتم! .[313]

(6) أنها من أهلِ الجنةِ، عَنِ الْقَاسِمِ بن مُحَمَّدٍ أَنَّ عَائِشَةَ اشْتَكَتْ فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدَمِينَ عَلَى فَرَطِ صِدْقٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ –عليه الصلاة والسلام– وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ .[314]

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ: قال بن التين: فيه أنه قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيفٍ .[315]

(7) تعظيم قدرها عندَ نساء النبي ،عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ بِيَوْمِهَا وَيَوْمِ سَوْدَةَ. [316] ولما سئلتْ زينب بنت جحش عنها قال: أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلاَّ خَيْرًا، ولما استبطأ النبي في مرض الموتِ أذنَ نساء النبيّ ﷺ أن يمرَّض في بيتِ عائشة .[317]

قال أبو الوفا عقيل رحمه الله: (انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت؛ واختار لموضعه من الصلاة الأب، فما هذه الغفلة المستحوذه على قلوب الرافضة، عن هذا الفضل والمنزلة التى لا تكاد تخفى عن البهيم فضلا عن الناطق) .[318]

(8) نزل بسببها آية التيمم ،عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ – انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

312() (تفسير القرآن العظيم) (6/ 381).

313 ()مصنف عبد الرزاق (10/ص157) (ح18678).

314() أخرجه البخاري (حديث رقم: .(3560).

315() (الفتح) (7/ 108).

316() أخرجه البخاري (.(5212).

317 () أخرجه البخاري (198) ومسلم (418).

318 () (الإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ.(1/54))

عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالُوا أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ فَقَالَ حَبَسْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلاَّ مَكَانُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا. فَقَالَ أُسَيْدُ بن الْحُضَيْرِ مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَأَصَبْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ (319).

(9) أن النبي ﷺ كان يتألم بألمها، فإذا عانت صداعًا وقالت: وارأساه قال لها: (بل أنا يا عائشة وارأساه)(320)). وكان إذا افتقدها تسمعه يناديها بـ واعروساه.

(10) كان النبي ﷺ يتّبع رضاها، كلَعِبهَا باللّعب ووقوفِهِ في وجهِهَا لتَنظُرَ إلى الحبشة يلعبون: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ وَكَانَتْ تَأْتِينِى صَوَاحِبِي فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ .(321)

قال الخطابي في هذا الحديث: إن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد وإنما أرخص لعائشة رضي الله عنها فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ .(322)

(11) أنه لم ينزل بها أمر إلا جعل الله لها منها مخرجا و للمسلمين فيه بركة، قال أسيدُ بن حضير في قصةِ التيمم: (جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ تَكْرَهِينَهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكِ لَكِ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا.(323))

* فهذا غيض من فيض من فضائل تلك الطاهرة العفيفة الشريفة، أمنا أم المؤمنين عائشة الصديقة ابنة الصديق، حبيبة رسول الله على الله عليه وآله وسلم، أمي عائشة رضي الله عنك أبشري فإن البحر طاهر لا ينجسه شيء.

المطلب الحادي عشر: حالُ أم المؤمنين مع زوجها النبيِّ الأمين ﷺ.

---

319 () أخرجه البخاري (334) ومسلم (842).
320 () أخرجه البخاري (3666).
321 () أخرجه مسلم (6440).
322 () (عمدة القاري بشرح البخاري) للعيني (32/ 325).
323 () أخرجه البخاري (336) ومسلم (367).

إنَّ المسلمَ المتبع إذا أرادَ أن يعرفَ حقيقةَ مكانةِ أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- عند رسول الله ﷺ فلينظر إلى تصرفاتِهِ وأحوالِهِ ومواقفهِ معها ليعلمَ الناظرُ البصير منزلتها الخاصة عندَ حبيبها المصطفى –صلوات الله وسلامه عليه-.

* فقدْ كانَ –عليه السلام- يمازحها ويلاطفها ويبجلها ويحبها؛ قال الذهبي: وأحبها النبيُّ ﷺ حبا شديدا كان يتظاهر به .[324]

وفيها نزلَ قوله تعالى﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا.[325] ﴾

فقد أخرج ابن أبي شيبة ، وعَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: نزلت هذه الآية ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في عائشة؛ يعني أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كان يحبها أكثر من غيرها [326]؛ .[327]

وروى الإمام أبو دود عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: (اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) يعني: القلب.[328]

* وكانتْ أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– احتلت في قلب رسول الله ﷺ مكانًا خاصًا لم يشاركها فيه غيرها من زوجاته، مما جعلهن يصبن بالغيرة الشديدة من ذلك ويطالبن الرسول ﷺ بالعدل بينهن في ذلك، بل إنهن أرسلن في ذلك ابنته فاطمة –رضي الله عنها-، لكن كل ذلك لم يؤثر على قلب الرسول ﷺ، بل إنه قال لفاطمة (يا بنية ألا تحبين ما أحب؟).[329]

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ عمرو بن العاص أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ

---

[324]() (سير أعلام النبلاء) (2/ 142) , وستجدُ أطرفًا من هذا في البحث.
[325]() [النساء: 129].
[326]() (الدر المنثور) (5/ 70)، (تفسير الطبري) (7/ 569).
[327]() (معنى الآية) قال ابن كثيرٍ –رحمه الله-: أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن حصل القسْم الصوري: ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس، وعُبَيْدة السَّلْمَاني، ومجاهد، والحسن البصري، والضحاك بن مزاحم. (تفسير القرآن العظيم) (2/ 430).
[328]() أخرجه أبو دود في سننه (2134) وجمهور المحدثين على إرساله.
[329]() أخرجه البخاري (2393) ومسلم (6443), وانظر (موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة) لسعودِ الدخيل (ص31)

إِلَيْكَ؟ قَالَ (عَائِشَةُ) قُلْتُ مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ (أَبُوهَا) قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ (عُمَرُ) فَعَدَّ رِجَالاً فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ.[330]

قال الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ-: وَهَذَا خَبَرٌ ثَابِتٌ عَلَى رَغْمِ أُنُوْفِ الرَّوَافِضِ، وَمَا كَانَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– لِيُحِبَّ إِلاَّ طَيِّباً...وقال: وَحُبُّهُ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْراً مُسْتَفِيْضاً[331].

* وكان مدحُ الناس بها يثير الرضا في نفس الرسول، فقد تبسم مغتبطًا عندما ذكر أمامه عمر بن الخطاب من قاله لابنته حفصة (لا يغرنك حب رسول الله لعائشة وحسنها أن تراجعينه بما تراجعه به عائشة؛ فلما ذكر حسنها تبسم رسول الله).[332]

* واكتسبت عائشة من الرسول كثيرًا من عاداته وأخلاقه، وحرصت على أن تتبع سننه وتطبق إرادته، حتى أصبحت تلك المزايا فيها طبيعة، ومن ثم فقد أصبحت عائشة بعد ذلك من أكبر المراجع والأصول، لسنة الرسول وأعماله؛ فمن الطبيعي أن تصبح كذلك وهي التي قد نشأت في هذه التربة الصالحة، وتهذبت على يدي المعلم الأكبر.[333]

* وكانتْ تعتني بالنبي ﷺ أشدَّ العنايةِ ،عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْغِي إِلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ مُجَاوِرٌ فِي الْمَسْجِدِ فَأُرَجِّلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ).[334]

وعن عَائِشَةَ أنها قالتْ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ آخُذُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَلَيَّنْتُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُه .[335]

فهذا الحديث أصلٌ في أمورٍ جليلةٍ:

---

[330] أخرجه البخاري (4358) ومسلم (4396).
[331] (سير أعلام النبلاء) (2/ 142).
[332] (الطبقات الكبرى لابن سعد) (8/ 189).
[333] (عائشة أم المؤمنين لزاهية قدورة) (ص 207).
[334] أخرجه البخاري (2028).
[335] أخرجه البخاري (4449).



أولاها: حسنُ معاشرة عائشة للنبيِّ ﷺ، وتلطفها معه، ويشتدُّ أهميتهُ عندها هندَ تغير الحال من مرضٍ أو شكوى، وبسببِ ما كانتْ عائشة تراعيهِ له مما جعلها لا يرضى أن يمرَّض إلاَّ في بيتها.

ثانيها: ذكاءُ أم المؤمنين عائشة، إذ إنها فهمتْ بذكائها لما قالت له عن السواك (آخذه لك؟) فأشار برأسه (أن نعم)، ففهمتْ بمجردِ الإشارة، وهكذا ينبغي أن تكون الزوجات في حسن المعاشرة مع الأزواج تعرف ما يُريد زوجها ، وتعرف ما يُحب وما يكره ، وتتطلَّب ما تتوق إليه نفسه .

* وكانتْ تسمرُ مع النبيﷺ ليلاً فيتحدَّثانِ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ ◌َكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ.(336)

* وكانتْ تفضي جوَّ المرحِ عندَ رسولِ اللهﷺ : عن يحي بن عبد الرحمن بن حاطب: أن عائشة قالت: أتيت النبي صلى الله عليه و سلم بخزيرة قد طبختها له فقلت لسودة –والنبي ﷺ بيني و بينها–: كلي! فأبت؛ فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك فأبت؛ فوضعت يدي في الخزيرة فطليت وجهها فضحك النبي صلى الله عليه و سلم فوضع بيده لها و قال لها: الطخي وجهها فضحك النبي ﷺ لها فمر عمر فقال يا عبد الله! يا عبد الله! فظن أنه سيدخل فقال: قوما فاغسلا وجوهكما.(337)

فعَنْ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ وَارَأْسَاهْ [338]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ) :ﷺذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَي فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ[339](. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاثُكْلِيَاهْ[340]! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي[341]؛ وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ[342]! فَقَالَ النَّبِيُّ) :ﷺبَلْ

()336 أخرجه البخاري (.5211).

()337 أخرجه النسائي في (السنن الكبرى) (8/ 162) وصححه الشيخ الألباني.

()338 قولها "وارأساه" هو تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع.

()339 في جوابِ النبي: إشارة إلى ما يستلزم المرض من الموت أي (لو مت وأنا حي) وقد وقع مصرحا به في رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ولفظه (ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك.(

340 ()قولها "واثكلياه" أصل الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد وليست حقيقته هنا مراد، بل هو كلام كان يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها.

341 ()كأنها أخذت ذلك من قوله لها (لو مت قبلي) .

342 ()ووقع في رواية عبيد الله موضحًا مقولتها (لكأني بك والله لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست –أي جامعتَ– ببعض نسائك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم).



أَنَا وَارَأْسَاهْ[343]! لَقَدْ هَمَمْتُ، أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ، أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ.[344])

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه مداعبة الرجل أهله والإفضاء إليهم بما يستره عن غيرهم اهـ.[345]

وعنِ النُّعْمان بن بشير، قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبيَّ ﷺ فسَمِع عائشةَ -رضي الله عنها- وهي رافعةٌ صوتَها على رسولِ الله ﷺ فأذِن له، فدخل فقال: يا ابنةَ أمِّ رُومان - وتناولها - أتَرْفعين صوتَكِ على رسول الله ﷺ؟! قال: فحالَ النبيُّ ﷺ بينه وبينها، قال: فلَمَّا خرَج أبو بكر جعَل النبيُّ ﷺ يقول لها يتَرَضَّاها: (ألاَ تَرَين أني أنقذتك من الرجل)، قال: ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه، فوجَدَه يضاحكها، قال: فأذن له فدخَل، فقال له أبو بكر: يا رسولَ الله، أشْرِكاني في سِلْمِكما كما أشْركتُماني في حَرْبِكما .[346]

قال شمس الحق آبادي: قَوْله (أَنْقَذْتُك مِنْ الرَّجُل) وَلَمْ يَقُلْ "عَنْ أَبِيك"؛ وَإِبْعَاده صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْر عَنْ عَائِشَة تَطْيِيبًا وَمُمَازَحَة كُلّ ذَلِكَ دَاخِل فِي الْمُزَاح، وَلِذَا أَوْرَدَهُ الْمُؤَلِّف فِي بَاب الْمُزَاح .[347]

* وكانتْ قويَّة مدافعةً مذبَّةً عن رسولِ اللهﷺ , عن عَائِشَةَ أَنَ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فَلَعَنْتُهُمْ فَقَالَ (مَا لَكِ؟) قُلْتُ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ (فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ). وفي روايةٍ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .[348]

قال ابن بطال: نهى رسول الله عائشة من الإغلاظ فى ردها، وقال (مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في جميع الأمور) لعموم قوله: (إن الله يحب الرفق فى الأمر كله) وإن كان الانتصار

---

343 ()أي: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك، واشتغلي بي، فإنك لا تموتين في هذه الأيام بل تعيشين بعدي.

344 () أخرجه البخاري (5666).

345 ( ) (الفتح) (10/ 125). وانظر شرح الحديث فيه بتوسع وتفصيل فإنه لطيف ومفيد.

346 () أخرجه أبو داود (4999) باب ما جاءَ في المزاح؛ والحديث حسن, انظر (السلسلة الصحيحة (2901), قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

347 () (عون المعبود شرح سنن أبي دواد) (13/ 234) لأبي الطيب العظيم آبادي؟

348 () أخرجه البخاري (6024).



بمثل ما قوبل به المرء جائز؛ لقوله تعالى ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فالصبر أعظم أجرًا وأعلى درجة لقوله تعالى ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ والصبر أخلاق النبيين والصالحين ، فيجب امتثال طريقتهم والتآسى بهم وقرع النفس عن المغالبة رجاء ثواب الله على ذلك اهـ .[349]

إِضَاءَةٌ

قال الشيخ عبد الرحمن الطموخي حفظه الله: فانظرْ إلى النبيِّ ﷺ القُدوة؛ كيف أنَّه يُحادِث عائشة -رضي الله عنها- وهي ترْفَع صوتها عليه، ومع ذلك لم يُغضِبْه ذلك ولم يتبرَّم، فالعاقل مَن يستطيع أن يُوازنَ بيْن أموره، ومَن كَرِه خُلقًا رَضِي آخَر، وخطأ اليوم يُصلح في غدٍ، ثُمَّ انظر إلى الصِّدِّيق لم يعجبْه أن ترفع ابنتُه صوتها على رسولِ الله ﷺ فهَمَّ أن يضربَها، فحال النبيُّ ﷺ بينه وبين عائشة -رضي الله عنها- ثمَّ جعَل يترضَّاها فرَضِيت، هل يضرُّ رسولَ الله ﷺ أن ترضَى أو تغضَب عائشة؟! كلاَّ والله، بل إنَّ رِضاه هو ﷺ هو المعتبَر، ولكن هذا درسٌ لنا معاشرَ الأزواج؛ حتى نتفَّهمَ طبيعةَ المرأة اهـ.

المطلب الثاني عشر: وفاةُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

* لقد تزهدت أم المؤمنينَ عائشة –رضي الله عنها- في أواخر أيامها، فأهملت الزينة، وأصبحت تعمل بوصية الرسول القائلة: (إن أردتِ اللحوق بي فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب؛ وإياك مجالسة الأغنياء، ولا تستخلعي ثوبًا حتى ترقعينه)[350].

* ولقدْ مرضتْ السيدة عائشة مرضها الأخير، فحزن الناس، وهرع الكثيرون مستفسرين عن صحتها، متمنين لها

[349] () (شرح صحيح البخاري) (9/ 226).
[350] () (سنن الترمذي) (1780) والحديث ضعيف.



الشفاء، ولكنها كانت تشعر بدنو الأجل، وأن حياة الدنيا لا قيمة لها، وودت لو كانت نسيًا منسيًا.

* ونرى عائشة على فراش الموت تناجي ربها تنظر إلى الدنيا فتراها متاعًا حقيرًا؛ وبينما هي كذلك جاء ابن عباس يستأذن عليها، فدخل ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، يطلب منها أن تأذن لابن عباس فرفضت. فألحَّ عبد الله بأنه يود أن يكلمها ويودعها، فأذنت له، فدخل معزيًا إياها بحب الرسول لها، وبنزول آية التيمم بسببها، ثم نزول براءتها من فوق سبع سموات، تلك الآيات التي أصبحت تتلى في مساجد الله، قال كل ذلك لها، محاولاً أن يخفف عنها رهبة الموت فكان جواب عائشة: (دعني منك يا ابن عباس، فو الذي نفسي بيده لوددت أن كنت نسيًا منسيًا!). وبعد خروج ابن عباس دخل عليها الزبير، فقالت له: (أثنى علي اليوم عبد الله بن عباس، ولم أكن أحب أن أسمع أحدًا اليوم يثني علي لوددت أني كنت نسيًا منسيًا) [351]. ويروى أنه دخل عليها ابن أبي عتيق، فقال: (يا أمة كيف تجدينك؟ جعلت فداك قالت هو والله الموت، قال فلا إذًا، فقالت: لا تدع هذا على حال تعني المزاح) [352].

* لقدْ مات النبي صلى الله عليه و سلم ولها نحو ثمانية عشر عامًا، وقد حفظت عنه شيئا كثيرًا، وعاشت بعده قريبا من خمسينَ سنةًَ، وَأَقَامَتْ فِي صُحْبَتِهِ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ.

وَدَنَـا أجلها...

* ولما حضر أم المؤمنينَ عائشةَ الوفاة قالتْ: ادفنوني مع أزواج النبي ﷺ لأنـي أحدثتُ بعدَ رسولِ الله حدثًا.... ــتعني مسيرتها يومَ الجملِ- [353].

* وتوفيت رضي الله عنها العفيفة الطاهرة في المدينة في أيام معاوية سنة (57هـ) وقيل (58هـ).

ودفنت....

---

[351] () أخرجهُ البخاري (.4753).

[352] () (السير) (2/ 180) بنحوهِ.

[353] () (مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير لسعود الفنيسان) (ص13) ، وسيأتي تفصليها بمشيئة الله.



* وماتت ليلة الثلاثاء من شهر رمضان المبارك من (27 مضين) سنة 57 من هجرةِ زوجها النبي عليه الصلاة والسلام، ولها من العمر (66 عامًا) مباركاتٍ وقيل (63عامًا) ، ثم دفنت بالبقيع ليلاً كما أوصتْ بذلكَ.[354]

* وظنَّ من ظنَّ أنها مدفونة بغربي جامع دمشق... قال الإمام الذهبي في السير: هذا غلط فاحش، لم تقدم رضي الله عنها إلى دمشق أصلا، وإنما هي مدفونة بالبقيع.[355]

وصلّيَ عليها....

* وصلى عليها أبو هريرة ونزل معها في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم ابن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.[356]

وحَزِنَ الناسُ...

* لقد حزن الناس حزنًا كبيرًا غامرًا على عائشة كثيرًا وكان البعض كمسروق يود إقامة المناحة على أم المؤمنين، إذ قال: لَوْلاَ بَعْضُ الأَمْرِ، لأَقَمْتُ المَنَاحَةَ عَلَى أُمِّ المؤْمِنِيْنَ –يَعْنِي: عَائِشَةَ– .[357]ولكنه أُمر ألا يفعل ذلك (فاجتمع الناس وحضروا فلم تر ليلة أكثر ناسًا منها نزل أهل العوالي فدفنت في البقيع).

* وكانَ بموتِ أم المؤمنين وحبيبة خير المرسلين (آيةٌ عظمى) فقد روى أبو داودَ في سننه: عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَاتَتْ فُلاَنَةُ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَّ سَاجِدًا فَقِيلَ لَهُ أَتَسْجُدُ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ« إِذَا رَأَيْتُمْ آيَةً فَاسْجُدُوا». وَأَىُّ آيَةٍ أَعْظَمُ مِنْ ذَهَابِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ.[358]

نعمْ..أيُّ آيةٍ أعظمُ من ذهابِ حبيباتِ وخليلاتِ رسول الله!, أجلْ.."لِأَنَّهُنَّ ذَوَاتُ الْبَرَكَةِ فَبِحَيَاتِهِنَّ يُدْفَعُ الْعَذَابُ عَنْ النَّاسِ وَيُخَافُ الْعَذَابُ بِذَهَابِهِنَّ فَيَنْبَغِي الِالْتِجَاءُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالسُّجُودِ عِنْدَ اِنْقِطَاعِ بَرَكَتِهِنَّ لِيَنْدَفِعَ الْعَذَابُ بِبَرَكَةِ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ".

---

354 () (سير أعلام النبلاء) (190/2).
355 () (سير أعلام النبلاء) (193/2).
356 () انظر (السير) ما سبق.
357 () (السير). (3/163))
358 () أخرجه أبو داود في سننه (1199) وحسنه الشيخ الألباني.



* وهكذا.... طُويت آخر صفحة من تلك الحياة الزاخرة العامرة المليئة بالحوادث، والتي اختلف الناس في أمرها أشد اختلاف، ولكنهم جميعًا أمضهم الحزن عليها في موتها، ولا غروَ! فقد كانت أم المؤمنين جميعًا إن اختلفت وإياهم فلتتفق على خير مما اختلفت... فرضيَ الله عنها وأرضاها.



الفَصْلُ الخَامِسُ
(خَبَـرُ الإفكِ والبراءةِ وما يتعلقْ به من فوائد ومسائل).

وفيه أربعةُ مطالب:

المطلب الأول: (آياتُ براءة أم المؤمنين من البهتان العظيم).

قدْ أنزل الله ﷻ براءةَ عائشةَ -رضي الله عنها- من فوقِ سبعِ سماوات في قرآنٍ يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ووعَظ المؤمنين وحذَّرهم - سبحانه- من أن يعود أحدٌ منهم لمِثلِ هذا الإفك العظيم، فقال: ﴿يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ونقدم كلام ربنا المعجز الخالد في تبرئةِ أم المؤمنينَ، وبعدَه حديثُ نبينا محمدٍ عليهِ الصلاة والسلام.

قال رب العزةِ ﷻ في "سورةِ النورِ" ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26).﴾



(ما اشتملت عليهِ الآيات) هذه الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت، والفرية التي غار الله ﷻ لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ.

قال الزمخشري: لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها لاشتماله على الوعيد الشديد والعتاب البليغ، والزجر العنيف واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متقنة كل واحد منها كاف في بابه.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ ﴿جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾... الآيَةُ، هُمُ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى عَائِشَةَ: عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ، وَحَسَّانُ بن ثَابِتٍ، وَمِسْطَحٌ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ.

وقد اشتملتْ هذه الآياتُ العظام على ثلاثِ تأديباتٍ عظيماتٍ:

(التأديب الأول) في قوله تعالى ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ قيل: المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإنْ كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان أبعد. وروى أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب الأنصاري وامرأته، وذلك أنه دخل عليها فقالت له: يا أبا أيوب، أسمعت ما قيل! فقال نعم! وذلك الكذب! أكنت أنت يا أم أيوب تفعلين ذلك! قالت: لا والله! قال: فعائشة والله أفضل منك، قالت أم أيوب: نعم. فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله تعالى عليه المؤمنين إذ لم يفعله جميعهم.

(التأديب الثاني) في قوله تعالى ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ يعني أنه: إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيرا، وألا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن عَلِق بنفسه شيء من ذلك –وسوسةً أو خيالاً– فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل.[359])

(التأديب الثالث) قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (19)﴾ **قال ابن كثيرٍ –رحمه الله-:** وهذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا يكثر منه

---

[359]() أخرجه البخاري (4968).



ويشيعه ويذيعه. فقَوْله تَعَالَى: ﴿يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ يَعْنِي يُرِيدُ ذَلِكَ وَيَفْعَلُهُ لَهُ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ فِعْلُ الْقَلْبِ، وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَظْهَرَهُ، فَإِنْ لَمْ يُظْهِرْ كَانَتْ نِيَّتُهُ فَاسِدَةً يُعَاقَبُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ.[360]

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ﴾ قال العلامة ابن الجوزي: فإن قيل: لم أقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال؟ فالجواب: أنّ من رمى مؤمنة فلا بدّ أن يرمي معها مؤمنًا، فاستغني عن ذكر المؤمنين. ومثله قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحر﴾ أراد: والبرد.[361]

قال الشيخ الصابوني: ذكر الله تعالى في أول السورة المحصنات بقوله ﴿والذين يَرْمُونَ المحصنات ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ ولم يقيّد المحصنات هناك بوصفٍ وأما هنا فقد قيّده بأوصاف عديدة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الذين يَرْمُونَ المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ والسرُّ في هذا أن هذه الآيات خاصة بأمهات المؤمنين، رضوان الله عليهن أجمعين، وتدخل السيدة عائشة فيهن دخولاً أوليًا، فاتهام هؤلاء الأزواج الطاهرات إتهام لـ (بيت النبوّة) ، وإيذاء لرسول الله ﷺ.[362]

قال ابن عباس رضي الله عنهما -حين قرأ سورة النور ففسَّرها- فلما أتى على هذه الآية ﴿إِنَّ الذين يَرْمُونَ المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ قال: هذه في (عائشة) وأزواج النبي ﷺ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات، من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم تلا هذه الآية ﴿لُعِنُواْ فِي الدنيا والآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فهمَّ بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبِّل رأسه لِحُسن ما فسَّره.[363]

* قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: وقد أجمع العلماء، رحمهم الله، قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي.[364]

---

360 () (تفسير القرآن العظيم) (26/6).
361 () (زاد المسير) (4/ 439).
362 () (روائع البيان في تفسير آيات الأحكام) (1/ 343).
363 () (تفسير القرآن العظيم) (33/6).
364 () (تفسير القرآن العظيم) (31/6).



*قال أبو جعفر النحاس: من أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية إنه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وأنثى، ويكون التقدير: إن الذين يرمون الأنفس المحصنات، فدخل في هذا المذكر والمؤنث، وكذا في الذين يرمون، إلا أنه غلب المذكر على المؤنث.[365]

قلتُ: وهذا قولٌ وجيهٌ إذ القاعدةُ المشهورة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، ولكن القول بأنَّ الآية نزلت في "أمهاتِ المؤمنين" أو في "عائشة رضي الله عنها" قوي جدًا، لأن السياق هو الذي يحدد المساق، والله أعلم.

[فائدة] ألحق بعض العلماء أمهات المؤمنين بالعشرة المبشرين، بأن يقطع لهن بدخول الجنة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ بناءً على أن الآيات الكريمة نزلت في أزواج النبي ﷺ عامة وفي شأن عائشة خاصة، والرزق الكريم الذي أشارت إليه الآية يراد منه الجنة كقوله ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا[366]﴾ وهو استدلال حسن.

قال الإمام السيوطي –رحمه الله-: أخرج ابن جرير وَابن أبي حاتم والطبراني عن ابن زيد في قوله ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ...﴾ قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان عبد الله بن أبي هو الخبيث فكان هو أولى بأن تكون له الخبيثه ويكون لها وكان رسول الله ﷺ طيبًا وكان أولى أن تكون له الطيبة؛ وكانت عائشة الطيبة فكانت أولى أن يكون لها الطيب؛ وفي قوله ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ قال: هاهنا برئت عائشة .[367]



365 () (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (12/ 209).
366 () [الأحزاب: 31].
367 () (الدر المنثور) (10/ 699).



قال الإمامُ الزمخشري في تفسيره «الكشاف» «3/ 228»:

« لقد برَأ الله تعالى أربعة بأربعة: برّأ يوسف بلسان الشاهد ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وبرَّأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه.. وبرّأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ وبرَّأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز، المتلوّ على وجه الدهر ، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلاّ لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه على إنافة محل سيد آدم ، وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ، ومن أراد أن يتحقّق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم ، وتقدّم قدمه ، وإحرازه قَصَب السبق دون كل سابق ، فليتلقّ ذلك من آيات الإفك ، وليتأمل كيف غضب الله في حرمته ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه » انتهى.

المطلب الثاني: (قصةُ الإفكِ وما اشتملَ عليه من فوائد).

* إنَّ حديثَ الإفكِ لجليلٌ أمره، وعظيمٌ مخبره، وهو أصلٌ في بيانِ فضلِ عائشةَ وبراءتها وخيريتها على غيرها، لذا نذكرُ قصة الإفكِ المفصلة في ما رواه الشيخان في صحيحيهما:

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي (368) وَأُنْزَلُ فِيهِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي(369) أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ (370)قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ (371) (يَهْبُلْنَ) وَلَمْ

368 ()الهودج ما تركب فيه المرأة على الجمل وهو كالمحفة عليه قبة.

369 ()أي الذي توجهت بسببه؛ وهو قضاء حاجتي .

370] ()الجَزْع] : الخَرَزُ اليَماني الواحدة جَزْعة, و [ظفار] بوزن قَطامِ وهي اسمُ مَدِينةٍ لِحِمْير باليَمن. وفي المثَل : من دَخَل ظَفَارِ حَمَّر. انظر (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير (1, 3/.(352, 744

371() فُسر التهيبل بما بعده (ولم يغشهن اللحم) وأصل الهبل الكثرة.

يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ[372] فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ[373]، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ[374] مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بن الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ[375]، فَادَّلَجَ [376]فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ[377] حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ[378] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي[379] فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ[380]»؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ [381]، وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ -وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا- وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ [382]قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ[383]، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا،

---

372 ()أي القليل. قال القرطبي كأن المراد الشيء القليل الذي يسكن الرمق.

373 ()مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه فكأنها تقول كأنها لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها.

374() أي قصدت.

375 ()وقع في حديث بن عمر بيان سبب تأخر صفوان ولفظه (سأل النبي صلى الله عليه و سلم أن يجعله على الساقة فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أتاه به).

376() الادَّلاج: السير في آخر الليل, بخلاف الإدلاج فإنه: السير في أول الليل.

377() أي بقوله (إن لله وإنا إليه راجعون)؛ وهذا من أدب صفوان رضي الله عنه.

378() تأكيد لما بعد "نحر الظهيرة", والوغر شدة الحر.

379() أي يشككني, من الريب.

380() هي من أسماء الإشارة للمؤنث, مثل (ذاكم) للمذكر.

381() نقهت: بفتح القاف, وقد تكسر! ومعناه: أفقتُ من مرضي؛ ولم تكتمل صحتي.

382() الكنف جمع كنيف؛ وهو الساتر. والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة.

383() تريد أنهم لم يتخلَّقوا بأخلاقِ العجم.

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسطَحٍ -وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بن الْمُطَّلِبِ بن عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بن عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ بن عَبَّادِ بنِ الْمُطَّلِبِ - فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ[384]. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[385] أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ» ؟ قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ[386] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا. فقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ[387] وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ[388]، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بن زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ[389] يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ بن زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنْ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ» ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا[390] أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ[391] فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيِّ

---

384) قولها "تعس" بفتح وكسرها لغتان مشهورتان؛ ومعناه: عثر وقيل: لزمه الشر.

385() أي يا هذه, وقيل معناه: يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلةِ المعرفةِ بمكايد الناسِ وشرورهم.

386" ()وضيئة" بوزن عظيمة من الوضاءة أي حسنة جميلة وعند مسلم حظية: من الحظوة أي رفيعة المنزلة.

387() أي لا ينقطع عني الدمع.

388() كناية عن السهر.

389 ()معناه بالرفع "الوحيُ" أي طال لبث نزوله, وبالنصب "الوحي" أي استبطأ النبي صلى الله عليه وسلم نزوله.

390" ()أغمصه" أي أعيبه؛ والمعنى: ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئا أصلا وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها ورطوبة بدنها؛ وهذا ليسَ بعيب.

391" ()الداجن" التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى, قال الشيخُ بن المنير في الحاشية: هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب فغفلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رميت به وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات.



ابْنِ سَلُولَ[392]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ-: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي[393]؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي». فَقَامَ سَعْدُ بن مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ مِنْ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ -وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ[394]- فَقَالَ لِسَعْدِ بن مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ[395]، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ -وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بن مُعَاذٍ- فَقَالَ لِسَعْدِ بن عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ[396] الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ؛ فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا[397]، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي[398] حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ

---

[392] () أي طلب من يعذره منه أي ينصفه. قال الخطابي –رحمه الله-: يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه ومن يقوم بعذري إذا عاقبته على سوء ما صدر منه ورجَّحَ الإمامُ النووي هذا الثاني, وقيل معناه: من ينصرني وقيل: المراد من ينتقم لي منه.

[393] () قال بن الجوزي: المراد؛ رموا أهلي بالقبيح.

[394]) قال النووي: معظم رواة صحيح مسلم "اجتهلته" بالجيم والهاء أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل. وروى البخاري "احتملته" وكلاهما صحيحتان.

[395] "() العَمر" هو البقاء, وهو العُمر بضمها؛ لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح.

[396] "() فثار" من الثورة, و"الحيان" جمع حي؛ والحي كالقبيلة أي نهض بعضهم إلى بعض من الغضب.

[397] () قال الإمام العسقلاني: هو كناية عما رميت به من الإفك ولم أر في شيء من الطرق التصريح فلعل الكناية من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم.

[398]) أي استمسك نزوله.

ﷺ. فَقُلْتُ -وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ[399]-: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ -وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ -وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُونَنِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ -وَاللَّهِ- مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ[400] وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ[401]، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[402] مِنْ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -وَهُوَ يَضْحَكُ - فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ عَشْرَ آيَاتٍ[403]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ -: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ -زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ - عَنْ أَمْرِي: «مَا عَلِمْتِ» ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي[404]، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا

---

[399] قالتْ هذا توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام –رضي الله عنها وأرضاها-. وفي رواية أبي أويس: نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق الجوف اهـ.

[400] أي ما فارقه؛ ومصدره "الريم".

[401] "البرحاء" قيلَ هو: شدة الحمى وقيل شدة الكرب؛ ووقع في رواية إسحاق بن راشد (وهو العرق) وبه جزم الداودي وهو تفسير باللازم غالبًا.

[402] "الجمان" هو اللؤلؤ وقيل: حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ..فشبهت قطرات عرقه صلى الله عليه و سلم بالجمان لمشابهتها في الصفاء والحسن.

[403] قال ابن حجرٍ: لعل في قولها العشر الآيات مجازاً بطريق إلغاء الكسر, وقال: تحرير العدة سبع عشرةَ؛ وذلك إن كانَ إلى قولِهِ تعالى "ورزقٌ كريمٌ".

[404] أي أصون سمعى وبصرى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأبصرت ولم أبصر.

خَيْرًا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ [405]، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا[406]، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.
قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ: فَإِنَّهُ قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي *** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

وقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ[407]، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. [408]

واشتملَ هذا الحديثُ على أكثرَ من مائةٍ وخمسينَ فائدة، ولكنا نذكر أهمَّ ما جاءَ في تلكم الفوائدِ ليكونَ المسلمُ منها على فائدةٍ وعظةٍ :[409]

أولاً: الفوائد التربوية:

- أدب صفوان رضي الله عنه، فإنه استرجع ليوقظها، ولم يناد عليها باسمها، وما تكلم معها بكلمة واحدة.
- حسنُ الأدب مع الأجانبِ خصوصًا مع النساء لا سيما في الخلوةِ.
- مشي الأجنبي أمام المرأة كما فعل صفوان ﷺ وموسى عليه السلام ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي.
- قال ابن حجرٍ –رحمه الله-: ويستفاد أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث إنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه وكأنهم جوزوا أنها نائمة.[410]
- إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب.

---

[405]() أي كانتْ زينبُ تعاليني..من السمو وهو العلو والارتفاع أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي صلى الله عليه وسلم ما أطلب أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده وليسَ هو من "سوم الخسف" الذي هو: حملُ الإنسانِ على ما يكرهه. والمعنى (تغايظني!) فإنه بعيدٌ.

[406]() أي جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الافك.

[407]() قيل: المراد ما كشفت ثوب امرأةٍ بزنا؛ ولكن جاءت رواية "لا حلال ولا حرام" فيحتمل أنه تزوج بعدَ الحادثة؛ وإلا فشكوى زوجته منه للنبي صلى الله عليه وسلم مشهورة في السنن.

[408]() أخرجه البخاري (4141) باب حديث الإفك واللفظ له, وأخرجه مسلم (7196).

[409]() وهذه الفوائد جميعها استقريتها من جميع شروح الحديث المتأخرة والمعاصرة؛ وأجلها (فتح الباري) لابن حجر و(المنهاج) للنووي و(مائة فائدة في حديث الإفك) للدكتور مهران عثمان, وغير ذلك.

[410]() (الفتح) (260/13).



• كريم أخلاق النبي ﷺ مع أهله لا سيما إذا اشتكت واحدة منهنَّ, قالت (لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي).

• يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتموا عن عائشة رضى الله عنها هذا الأمر شهرا ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح "تعس مسطح".(411)

• فقه الأم مع ابنتها المتزوجة التي لها ضرائر؛ قال ابن حجر في الفتح: وفي هذا الكلام –السابق ذكره– من فطنة أمها وحسن تأتِّيهَا في تربيتها ما لا مزيد عليه فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش .(412)

• وفيهِ: أنَّ من استفسر عن حال شخص فأراد بيان ما فيه من عيب أن يقدِّم ذكر عذرِهِ في ذلك إن كان يعلمه كما قالت بريرة عن عائشة (وذلكَ لأنها جارية حديثة السنِّ).

• الصبر مفتاح الفرج، وتحمد عواقبه، ويغبط صاحبه.

• التأسي بما وقع للأكابر من الأنبياءِ وغيرهم.

• من مهمات الآداب: ازدراء الإنسان لنفسه وهضمه لها, ففي الحديث (وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى)ومن ازدرى نفسه كان عند الله فوق ذلك، ومن ابتلي بالعجب كان وضيعًا حقيرًا، ومن درر بكر بن عبد الله المزني رحمه الله قوله يوم عرفة: (لولا أنا فيهم لقلت قد غفر الله لهم).

• أنّ العفة من صفات المؤمنين، فدافع الله عنهم دليل إيمانهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُو .(413)﴾

• أثر الورع في السلامة من الزيغ، فزينب عصمها الله بالورع كما قالت عائشة.

411() قاله النووي في (المنهاج) (17/ 117).
412 (الفتح) (260/13).
413 [الحج: 38].



• ظلم ذوي القربي أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند، قال أبو بكر رضي الله عنه: (وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ).

• أنّ المرء يتعلم من أخطائه، فعائشة رضي الله عنها خرجت لقضاء حاجتها وكان الأولى أن تعلم بذلك لئلا يغادروا المكان دونها "وَقَدْ وَقَعَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي ضَيَاعِ الْعِقْدِ أَيْضًا أَنَّهَا أَعْلَمَتْ النَّبِيّ ﷺ بِأَمْرِهِ، فَأَقَامَ بِالنَّاسِ عَلَى غَيْر مَاء حَتَّى وَجَدَتْهُ، وَنَزَلَتْ آيَة التَّيَمُّم بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَظَهَرَ تَفَاوُت حَال مَنْ جَرَّبَ الشَّيْء وَمَنْ لَمْ يُجَرِّبهُ".

ثانيًا: الفوائد الفقهية:

• جواز القرعة بين النساءِ.
• مشروعية سفر المرأة يكون مع زوج أو محرم.
• جواز خروج المرأة إلى الغزو.
• وجوب الحجاب؛ فإنه إذا فُرض على أمهات المؤمنين كان على غيرهن أولى، والأدلة على ذلك كثيرة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.
• جواز تحلي المرأة في السفر بالقلادةِ ونحوها.
• مشروعية تغطية الوجه بالذات.
• قال ابن حجرٍ –رحمه الله-: "وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّة التَّسْبِيح عِنْدَ سَمَاع مَا يَعْتَقِد السَّامِع أَنَّهُ كَذِب، وَتَوْجِيهه هُنَا أَنَّهُ سبحانه وتعالى يُنَزَّه أَنْ يَحْصُل لِقَرَابَةِ رَسُول اللَّه ﷺ تَدْنِيس، فَيُشْرَع شُكْره بِالتَّنْزِيهِ فِي مِثْل هَذَا، نَبَّهَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْر بن الْعَرَبِيّ" (414).

• قال ابن حجر: في قولِ عليٍ –رضي الله عنه-: ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما.(415)

• مشروعية الوكالة, في قولها (أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ).
• جواز الاستشهادِ بآيِ القرآنِ الكريم.
• جواز تعديل النساء والشهود، وتعديل بعضهم بعضا، وأما في الشهادةِ فمنع ذلك مالك والشافعي.

---

(414) الفتح (480/8).
(415) الفتح (468/8).



لا يقسم الإنسان في عدم إتيان الخير ﴿ولا يأتل...﴾[416]؛ قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ.[417] ﴾

• أنّ من حلف على أمر وكان الخير في غيره كفَّر عن يمينه وفعل الخير، كما أرشد إليه ربنا في كتابه، ورسولنا ﷺ.
• مشروعية القذف من القاذف، كما بينته بعض الأحاديث في إقامةِ الحدِّ على من قذف أم المؤمنين –رضي الله عنها-.
• أن القاذفَ يحد مهما كانتْ منـزلتهُ (شريفًا أو وضيعًا).

ثالثًا: الفوائد العامة المستنبطة من الحديث:

• شؤم الحرص الشديد على المال، فلو لم تطل في البحثِ لرجعتْ بسرعةٍ، لكن لما زاد على قدر الحاجة أثَّر ما جرى –كما حصل مع المتخاصميْن في ليلة القدر- فرفعت بسببهما، فتأخرتْ عائشة عن الركبِ.
•ويستفادُ أنه ينبغي لمن فقد شيئا أن يرجع بفكره القهقرى إلى الحد الذي يتحقق وجوده؛ ثم يأخذ من هناك في التنقيب عليه، كما صنعتْ عائشة.
• رعاية الله لأوليائه، وهذا يتضح من جوانب عديدة: فبالنوم ينقطع تفكير عائشة رضي الله عنها فيما أهمها وأقلق راحتها، ويقدر الله تأخُّر صفوان ليُلحِقَها بالجيش، وتتجلى في أعظم صورها في نزول آيات براءتها، وفي أنها مرضت بعد رجوعها على المدينة فلم تعلم بما يقال إلا قبل وقت يسير من نزول براءتها، ولو علمت من أول الأمر لكان الخطب أعظم.
• الاسترجاع عند المصائب كما علمنا ربنا ﷻ.
• أهمية الساقة في الجيش.
• حسنُ اختيارِ الإمام ساقة الجيش واجتماعه فيه الصفات الطيبة (كالأمانةِ والأدب).
• تبرئة المرء لساحته لئلا يتهم، فلقد قالت: (مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً)، وفي الحديث: «هذه أمكم صفية.».
• عدم إخبار المريض بما يزيد مرضه ويكدِّرُ صفوَ حياته.
• الإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، من كونه محققًا، أو مظنونًا، أو مشكوكًا.

---

[416] () [النور: 22].
[417] () [البقرة: 224].



• قال ابن حجر –رحمه الله-: "وَفِيهِ أَنَّ الْمَرْأَة إِذَا خَرَجَتْ لِحَاجَةٍ تَسْتَصْحِب مَنْ يُؤْنِسُهَا أَوْ يَخْدِمهَا مِمَّنْ يُؤْمَن عَلَيْهَا" .(418)

• مكانة من شهد بدرًا من الصحابة، فإنَّ أم المؤمنين دافعتْ عن مسطحٍ -لما سبته أمه- بكونه شهد بدرًا.

• الذب عن عرض المسلم إذا سمع غيبة فيه " بِئْسَ مَا قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا".

• فضل أم مسطح رضي الله عنها، وأنها لم تحابِ ولدها في وقوعها في حقٍ، بل تعمدت سبَّهُ على ذلك.

• قال ابن حجرٍ –رحمه الله-: "الرَّاجِح أَنَّ الْمُرَاد بِذَلِكَ –قول الله تعالى لأهل بدر: «افعلوا ما شئتم...»- أَنَّ الذُّنُوب تَقَع مِنْهُمْ لَكِنَّهَا مَقْرُونَة بِالْمَغْفِرَةِ تَفْضِيلاً لَهُمْ عَلَى غَيْرهمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَشْهَد الْعَظِيم، وَمَرْجُوحِيَّة الْقَوْل الْآخَر: أَنَّ الْمُرَاد أَنَّ اللَّه تَعَالَى عَصَمَهُمْ فَلَا يَقَع مِنْهُمْ ذَنْب" .(419)

• إذن المرأة من زوجها لخروجها, ففي الحديث (أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ).

• خبر الواحد لا يفيد اليقين كما أشار الحافظ، لقول عائشة: (لَأَسْتَيْقِنُ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا)، ولا ينافي هذا أنه مقبول في العقائد والأحكام.

• طلبُ الارتقاءِ من الظنِّ إلى اليقين, لكونِ عائشة استبحثتِ التيقُّنَ بعد علمها الخبر.

•فيه استعمال "لا نعلم إلا خيرا" في التزكية؛ وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره.

• استشارة الفاضل للمفضول, فإن النبيَّ ﷺ استشار عليًا وأسامة.

لا يلزم الأخذ بالاستشارة، وهي غير ملزمة، فالنبي ﷺ لم يأخذ بقول علي رضي الله عنه.

• فضل كل من دافع عن عائشة رضي الله عنها، كزينب، وأسامة، وأسيد، وسعد بن معاذ، وأبي أيوب وزوجه، ﷺ أجمعين.

أَنَّ الْحَمِيَّة لِلَّهِ وَرَسُوله لَا تُذَمُّ.

•وفيهِ: غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلكَ .(420)

• وفيهِ أنَّ التعصب لأهلِ الباطلِ يخرج عن اسمِ الصلاح.

---

(418) (الفتح) (479/8)

(419) (الفتح) (480/8)

(420) (المنهاج للنووي) (17/ 117).



•وفيه أن النبي صلى الله عليه و سلم كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي؛ لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي.

• نصرة الأنصار للرسول ﷺ (أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) وذاكَ فضلٌ لهمْ.

• التغليظ على من وقف مع أهل الباطل وإن كانَ حميةً.

• من النفاق: الإحجام عن نصرة رسول الله ﷺ؛ في قول أسيد لسعد بن عبادة (فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ).

• أنَّه قد يعادي الفاضلُ فاضلاً وهما من أهل الجنة, مع قول أسيد (فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ).

• " وَفِيهِ أَنَّ مَنْ آذَى النَّبِيَّ ﷺ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يُقْتَل؛ لِأَنَّ سَعْد بن مُعَاذ أَطْلَقَ ذَلِكَ وَلَمْ يُنْكِرهُ النَّبِيّ .[421] ﷺ

• لابد من ظهور براءة البريء ولو بعد حين (فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ).

• مشروعية التوبة لكلِّ مذنبٍ.

• التوبة تجب ما قبلها, ففي الحديث «وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.»

• عدم محاباة النبي ﷺ لأهله: «إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ....»

•قال الإمامُ القرطبي في قول عائشة (حَتَى قلصَ دمعي) سبَبُهُ: أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

• الاستعانة بالله عند حلول المصائب "والله المستعان".

• إحسان الظن بالله؛ في قولها (وأعلمُ أني بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي).

• أنَّ من أحسن الظن كان الله عند حسن ظنه, في قولها (فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ .(ﷺ

• رؤيا الأنبياء حق ووحي, في قولها (كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا).

•تدريج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهله فيهلكه، يؤخذ ذلك: من ابتداء النبي صلى الله عليه و سلم بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها وقد نص الحكماء: على أن من أشتد عليه العطش لا يمكن من المبالغة في الري في الماء لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة بل يجرع قليلا قليلا. -وهي فائدةٌ نفيسة من الإمام ابن حجرٍ في الفتح-.

---

[421] () (الفتح: 480/8).



• خطر الشائعات، وخطأ اعتقاد بعض الناس: أنه ما من شائعة إلا وفيها نسبة من الصحة، فحادثة الإفك إفك كلها من ألفها إلى يائها.

مكانة الصديقة عائشة رضي الله عنها، ويكفي: أنّ الله لما ذكر مقالة الناس فيها سبّح نفسه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.[422] ﴾

في قولِ عائشةَ (فلما أنزل الله براءتي قال أبو بكر...) قال ابن حجرٍ: يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجودا لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقيق ذنبه فيما وقع منه.

• وفاء عائشة رضي الله عنها؛ قَالَ عُرْوَةُ: (كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ؛ فَإِنَّهُ قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي *** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ.)

• قُوّةُ إِيمَانِ الطاهرة عَائِشَةَ ..قال ابن القيم –رحمه الله-: وَمَنْ تَأَمّلَ قَوْلَ الصّدّيقَةِ وَقَدْ نَزَلَتْ بَرَاءَتُهَا فَقَالَ لَهَا أَبَوَاهَا: قُومِي إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَتْ وَاَللّهِ لَا أَقُومُ إلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إلّا اللّهَ عَلِمَ مَعْرِفَتَهَا وَقُوّةَ إيمَانِهَا وَتَوْلِيَتَهَا النّعْمَةَ لِرَبّهَا وَإِفْرَادَهُ بِالْحَمْدِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَتَجْرِيدَهَا التّوْحِيدَ وَقُوّةَ جَأْشِهَا وَإِدْلَالَهَا بِبَرَاءَةِ سَاحَتِهَا وَأَنّهَا لَمْ تَفْعَلْ مَا يُوجِبُ قِيَامَهَا فِي مَقَامِ الرّاغِبِ فِي الصّلْحِ الطّالِبِ لَهُ وَثِقَتُهَا بِمَحَبّةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ لَهَا قَالَتْ مَا قَالَتْ إدْلَالاً لِلْحَبِيبِ عَلَى حَبِيبِهِ وَلَا سِيّمَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ الّذِي هُوَ أَحْسَنُ مَقَامَاتِ الْإِدْلَالِ فَوَضَعَتْهُ مَوْضِعَهُ وَلِلّهِ مَا كَانَ أَحَبّهَا إلَيْهِ حِينَ قَالَتْ لَا أَحْمَدُ إلّا اللّهَ فَإِنّهُ هُوَ الّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي وَلِلّهِ ذَلِكَ الثّبَاتُ وَالرّزَانَةُ مِنْهَا وَهُوَ أَحَبّ شَيْءٍ إلَيْهَا وَلَا صَبْرَ لَهَا عَنْهُ وَقَدْ تَنَكّرَ قَلْبُ حَبِيبِهَا لَهَا شَهْرًا ثُمّ صَادَفَتْ الرّضَى بِرِضَاهُ وَقُرْبِهِ مَعَ شِدّةِ مَحَبّتِهَا لَهُ وَهَذَا غَايَةُ الثّبَاتِ وَالْقُوّةِ.

أنّ من شكّ في براءة هذه الطاهرة النقية المبرأة فلا شك في كفره؛ لأنه كذّب القرآن.

إِضَاءَةٌ

قال الشيخ سعد السبيعي حفظه الله :قبل عشر سنوات من الزمن وفي مسجد "سارة" بالبديعة.. كان هناك شيخ جليل وعالم مبارك كتب له القَبُول الحسن؛ والثناء العاطر

---

422 [النور: 16].



من الناس....
هناك كان في صدر حلقةٍ وحوله كوكبة من أهل العلم وطلابه يستمعون إليه ويصدرون عن قوله.. ينظرون إليه بإجلال ويستمعون له بشغف....
قريء عليه من "زاد المعاد" طعنُ أهل الإفك في أم المؤمنين العفيفة الطاهرة، وما كان من شأنها وحالها.. وبكائها حتى قلص دمعها... وأنها كانت ترى من نفسها أنها أحقر من ينزل الوحي ببراءتها.. فأنزل الله فيها عشر آيات من سورة النور تتلى في محاريب المسلمين في بيان براءتها وعفتها والوعيد في حق من قذفها.. .
حتى قال الزمخشري في تفسير الكشاف (3 / 227): "ولو فليتَ القرآن كله وفتشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفةٍ، وأساليب مفتنة".
فلم تتحمل ذلك نفس الشيخ فعَلَى نحيبُهُ وأجهش بالبكاء وهو يردد "تلك سنة الله في أوليائه.. تلك سنة الله في أوليائه".
سقا الله تلك الأيام أيام دروس شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز ووسع الله عليه قبرًا هو ساكنه اهـ.

المطلب الثالث: (مسائل وإشكالات مفيدة تتعلق بحادثة الإفك).

(حكم من سبَّ أم المؤمنين عائشة) قَالَ هِشَامُ بن عَمَّارٍ: سَمِعْت مَالِكًا يَقُولُ: مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أُدِّبَ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ، وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ قُتِلَ .(423)

---

423 () (أحكام القرآن لابن العربي) (37/6), علَّق الإمام ابن حزم وقال: هذا قولٌ صحيح, وهي ردة تامة وتكذيبٌ لله تعالى في قَطْعِه ببراءتها.

قال ابن العربي المالكي –رحمه الله-: وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً سَبَّ عَائِشَةَ –بِغَيْرِ مَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ– لَكَانَ جَزَاؤُهُ الْأَدَبَ اهـ .[424]

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: وقد أجمع العلماء، رحمهم الله، قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كَهِيَ اهـ .[425]

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله- في زاد المعاد: واتفقت الأمة على كفر قاذفها اهـ .[426]

قال الإمام النووي في شرح مسلم: براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين. اهـ .[427]

ويقول ابن الجوزي: ثم إن هؤلاء من أخفِّ الناس عقولاً، وأقلِّهم دينًا ويقينًا، أهواؤهم مختلفة، ومذاهبهم متباينة، ولهم أشياء سخيفة، مثل عملهم يوم عاشوراء، يعمدون إلى نعجةٍ حمراء ينتفون شعرها بعد تعطيشهم لها أيامًا، يمثلون أنها عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين -المبرأة من كل عيب ونقص-! .[428]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما من سبّ غير عائشة من أزواجه ففيه قولان:

أحدهما: أنه كَسَابِّ غيرهن من الصحابة.

الثاني: -وهو الأصح- أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقاذف عائشة، وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس، وذلك؛ لأنّ هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده، والأمر فيه ظاهر اهـ .[429]

424() (أحكام القرآن لابن العربي) (42/6), إذا يفهم من ذلك؛ أن من سبها فيما برأها الله منه كانَ جزاءه القتل!

425 () (تفسير ابن كثير) (6 /29).

426 () (زاد المعاد) (1/ 102).

427 () (المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج) (117/17).

428() هذا الكلام منسوب إليه, ولم أظفر له بالمرجع!

429() (الصارم المسلول) (ص 367 - 368).

وقال شرف الدين الحجاوي: ومن قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كَفَرَ بلا خلاف اهـ.[430]

(حكم من قذف أمهاتِ المؤمنين) ذهب بعض العلماء إلى كفر من قذف إحدى نساء الرسول (أمهات المؤمنين) رضوان الله عليهن، وذلك لما ورد من الوعيد الشديد في حق قاذفهن كما قال تعالى ﴿لُعِنواْ فِي الدنيا والآخرة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بل ذهب ابن عباس ﷺ إلى عدم قبول توبته!.

قال العلامة الألوسي رحمه الله: «وظاهر هذه الآية كفر قاذف أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن لأن الله ﷻ رتّب على رميهن عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين، والذي ينبغي أن يعوّلَ الحكم عليه بكفر من رمى إحدى أمهات المؤمنين، بعد نزول الآيات، وتبيّن أنهن طيبات، سواء استباح الرمي أم قصد الطعن برسول الله ﷺ أم لم يستبح ولم يقصد، وأمّا من رمى قبل فالحكم بكفره مطلقًا غير ظاهر.

والظاهر أن يحكم بكفره إن كان مستبيحًا، أو قاصدًا الطعن به عليه الصلاة والسلام كابن أُبيّ لعنه الله تعالى، فإن ذلك مما يقتضيه إمعانه في عداوة رسول الله ﷺ ولا يحكم بكفره إن لم يكن كذلك كحسّان، ومِسطَح، وحمنة، فإنّ الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلين، ولا قاصدين الطعن بسيّد المرسلين، وإنما قالوا ما قالوا تقليدًا، فوبخوا على ذلك توبيخًا شديدًا» .[431]

أقول: إنّ من استحلَّ قذف إحدى المؤمنات فهو كافر، فكيف بمن يستحل قذف أمهات المؤمنين الطاهرات وعلى رأسهن الصدِّيقة بنت الصديق عائشة؟ التي برأها القرآن الكريم، ونزلت براءتها من فوق سبع سماوات! "ولا شك أن الخوض في أمهات المؤمنين بعد نزول القرآن الكريم: تكذيب لله ﷻ في إخباره، وطعن لرسول الله وإيذاء له في نسائه وهنَّ العفيفات، الطاهرات، الشريفات، فيكون قاذفهن كافرًا بلا تردد. والله تعالى يقول ﴿إِنَّ الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ الله فِي الدنيا والآخرة وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا.[432] "﴾

---

[430]() (الإقناع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل) (299/4)
[431]() (روح المعاني) (9/ 323).
[432] () (روائع البيان بتفسير آيات الأحكام) (86/2).



قال منصور البهوتي الحنبلي في الحاشية: (وَمَنْ سَبَّ غَيْرَهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ ﷺ فَفِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ كَسَبِّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ) لِعَدَمِ نَصٍّ خَاصٍّ (وَالثَّانِي وَهُوَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ كَقَذْفِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) لِقَدْحِهِ فِيهِ ﷺ (433)؛ وهذا تحقيق الإمام ابن كثير رحمه الله كما سبق.

(تحقيق قصة الإفك في أي الغزوات؟ وفي أيِّ سنةٍ؟) اختلف أهل السير في تحديد الغزوةِ التي حصلت فيها (حادثة الإفك) نقلَ ابن **حجر** عن الزهري أن قصة الإفك كانت في غزوة المريسيع، والتحقيقُ الصحيحُ أن هذه الغزوةَ كانت في "غزوة بني المصطلق" في السنة الخامسة من الهجرة، وهو قولُ موسى بن عقبةَ والواقديّ وابن سعد وابن قتيبة والحافظ الذهبي والإمام ابن القيم (434).

* وأمَّا قولُ أنَّ الغزوةَ كانتْ "سنة أربعٍ من الهجرة" كما قاله المسعودي وابن العربي والعامري فهو قولٌ مردودٌ عليهِ لأسبابٍ كثيرة (435).

*وأمَّا قولُ أنَّ الغزوةَ كانتْ "سنة ستٍ من الهجرة" كما قاله ابن إسحاق والطبري وابن حزمٍ وابن الأثير وابن خلدون، -ورتبوا على هذا إنكارهم ذكر سعد بن معاذٍ لأنه ماتَ سنة أربع في قريظة- فلا تنهض الأدلة للجزمِ به، خصوصًا وأن به توهيمًا للرواةِ! !

(ما الْحِكَمُ مِنْ تَوَقّفِهِ ﷺ فِي أَمْرِها؟) قال الإمام ابن القيم –رحمه الله-: فَإِنْ قِيلَ فَمَا بَالُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ تَوَقّفَ فِي أَمْرِهَا وَسَأَلَ عَنْهَا وَبَحَثَ وَاسْتَشَارَ وَهُوَ أَعْرَفُ بِاَللّهِ وَبِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ وَبِمَا يَلِيقُ بِهِ وَهَلّا قَالَ ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ كَمَا قَالَهُ فُضَلَاءُ الصّحَابَةِ؟

] الِامْتِحَانُ لَهُ [ﷺ قالَ: فَالْجَوَابُ: أَنّ هَذَا مِنْ تَمَامِ الْحِكَمِ الْبَاهِرَةِ الّتِي جَعَلَ اللّهُ هَذِهِ الْقِصّةَ سَبَبًا لَهَا وَامْتِحَانًا وَابْتِلَاءً لِرَسُولِهِ ﷺ وَلِجَمِيعِ الْأُمّةِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَرْفَعَ بِهَذِهِ الْقِصّةِ أَقْوَامًا وَيَضَعَ بِهَا آخَرِينَ وَيَزِيدُ اللّهُ الّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَإِيمَانًا وَلَا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إلّا خَسَارًا.

وَاقْتَضَى "تَمَامُ الِامْتِحَانِ وَالِابْتِلَاءِ" أَنْ حُبِسَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْوَحْيُ شَهْرًا فِي شَأْنِهَا لَا يُوحَى إلَيْهِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ لِتَتِمّ حِكْمَتُهُ الّتِي قَدّرَهَا وَقَضَاهَا وَتَظْهَرَ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَيَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ الصّادِقُونَ إيمَانًا وَثَبَاتًا عَلَى الْعَدْلِ وَالصّدْقِ وَحُسْنِ الظّنّ بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَالصّدّيقِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَيَزْدَادَ الْمُنَافِقُونَ إفْكًا وَنِفَاقًا وَيَظْهَرَ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ سَرَائِرُهُمْ وَلِتَتِمّ الْعُبُودِيّةُ الْمُرَادَةُ مِنْ

433() (كشاف القناع) (12/ 112).
434 () انظر (روائع البيان) (86/2) و(طهارة بيتِ النبوةِ) (ص35).
435 () انظر (طهارة بيتِ النبوةِ) (ص35).

الصّدّيقةِ وَأَبَوَيْهَا وَتَتِمّ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلِتَشْتَدّ الْفَاقَةُ وَالرّغْبَةُ مِنْهَا وَمِنْ أَبَوَيْهَا وَالِافْتِقَارُ إلَى اللهِ وَالذّلّ لَهُ وَحُسْنُ الظّنّ بِهِ وَالرّجَاءُ لَهُ وَلِيَنْقَطِعَ رَجَاؤُهَا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ وَتَيْأَسَ مِنْ حُصُولِ النّصْرَةِ وَالْفَرَجِ عَلَى يَدِ أَحَدٍ مِنْ الْخَلْقِ وَلِهَذَا وَفّتْ هَذَا الْمَقَامَ حَقّهُ لَمّا قَالَ لَهَا أَبَوَاهَا: قُومِي إلَيْهِ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ بَرَاءَتَهَا فَقَالَتْ وَاَللهِ لَا أَقُومُ إلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إلّا اللهَ هُوَ الّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي...

[حَبْسُ الْوَحْيِ لِتَمْحِيصِ الْقَضِيّةِ وَازْدِيَادِ حَاجَتِهِ ﷺ لَهُ] قال: وَأَيْضًا فَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ حَبْسِ الْوَحْيِ شَهْرًا أَنّ الْقَضِيّةَ مُحّصَتْ وَتَمَحّضَتْ وَاسْتَشْرَفَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمَ اسْتِشْرَافٍ إلَى مَا يُوحِيهِ اللهُ إلَى رَسُولِهِ فِيهَا وَتَطَلّعَتْ إلَى ذَلِكَ غَايَةَ التّطَلّعِ فَوَافَى الْوَحْيُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَالصّدّيقُ وَأَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ وُرُودَ الْغَيْثِ عَلَى الْأَرْضِ أَحْوَجَ مَا كَانَتْ إلَيْهِ فَوَقَعَ مِنْهُمْ أَعْظَمَ مَوْقِعٍ وَأَلْطَفَهُ وَسُرّوا بِهِ أَتَمّ السّرُورِ وَحَصَلَ لَهُمْ بِهِ غَايَةُ الْهَنَاءِ فَلَوْ أَطْلَعَ اللهُ رَسُولَهُ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ مِنْ أَوّلِ وَهْلَةٍ وَأَنْزَلَ الْوَحْيَ عَلَى الْفَوْرِ بِذَلِكَ لَفَاتَتْ هَذِهِ الْحِكَمُ وَأَضْعَافُهَا بَلْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهَا.

[إظْهَارُ اللهِ مَنْزِلَتَهُ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عِنْدَهُ] قالَ: وَأَيْضًا فَإِنّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَحَبّ أَنْ يُظْهِرَ مَنْزِلَةَ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عِنْدَهُ وَكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ وَأَنْ يُخْرِجَ رَسُولَهُ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيّةِ وَيَتَوَلّى هُوَ بِنَفْسِهِ الدّفَاعَ وَالْمُنَافَحَةَ عَنْهُ وَالرّدّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَذَمّهِمْ وَعَيْبِهِمْ بِأَمْرٍ لَا يَكُونُ لَهُ فِيهِ عَمَلٌ وَلَا يُنْسَبُ إلَيْهِ بَلْ يَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ الْمُتَوَلّي لِذَلِكَ الثّائِرُ لِرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

[ثُبُوتُ بَرَاءَةِ عَائِشَةَ الصّدّيقَةِ [قالَ: وَأَيْضًا فَإِنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ هُوَ الْمَقْصُودَ بِالْأَذَى وَاَلّتِي رُمِيَتْ زَوْجَتُهُ فَلَمْ يَكُنْ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَشْهَدَ بِبَرَاءَتِهَا مَعَ عِلْمِهِ أَوْ ظَنّهِ الظّنّ الْمُقَارِبَ لِلْعِلْمِ بِبَرَاءَتِهَا وَلَمْ يَظُنّ بِهَا سُوءًا قَطّ وَحَاشَاهُ وَحَاشَاهَا..

قالَ: وَلِذَلِكَ لَمّا اسْتَعْذَرَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ قَالَ (مَنْ يَعْذِرُنِي فِي رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي وَاَللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إلّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إلّا مَعِي) – فَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ الْقَرَائِنِ الّتِي تَشْهَدُ بِبَرَاءَةِ الصّدّيقَةِ أَكْثَرَ مِمّا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ – وَلَكِنْ لِكَمَالِ صَبْرِهِ وَثَبَاتِهِ وَرِفْقِهِ وَحُسْنِ ظَنّهِ بِرَبّهِ وَثِقَتِهِ بِهِ وَفّى مَقَامَ الصّبْرِ وَالثّبَاتِ وَحُسْنِ الظّنّ بِاَللهِ حَقّهُ حَتّى جَاءَهُ الْوَحْيُ بِمَا أَقَرّ عَيْنَهُ وَسَرّ قَلْبَهُ وَعَظّمَ قَدْرَهُ وَظَهَرَ لِأُمّتِهِ احْتِفَالُ رَبّهِ بِهِ وَاعْتِنَاؤُهُ بِشَأْنِهِ . (436)

436 () (زاد المعاد) (3/ 231).



(المسلمون تجاه الصحابي الجليل حسان بن ثابت) قال ابن كثير –رحمه الله- : إنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنِهِ أنه كان يَذُب عن رسول الله ﷺ بشعره، وهو الذي قال له رسول الله) :ﷺهَاجِهِم وجبريل معك). وقال الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق قال: كنتُ عندَ عائشة، رضي الله عنها، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت فألقي له وسادة، فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا؟ يعني: يدخل عليك –وفي رواية قيل لها: أتأذنين لهذا يدخل عليك، وقد قال الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ؟ قالت: وأيُّ عذاب أشدّ من العمى –وكان قد ذهب بصره– لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم. ثم قالت: إنه كان يُنافحُ عن رسول الله .ﷺ

وفي رواية أنه أنشدها عندما دخل عليها شعرا يمتدحها به، فقال:

حَصَانَ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبة *** وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوَافل

فقالت: أما أنت فلست كذلك. وفي رواية: لكنك لست كذلك .[437]

* روى ابن جرير الطبري –رحمه الله-: عَنْ عَامِرٍ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلاَّ رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ، قَوْلُهُ لِأَبِي سُفْيَانَ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ *** وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي *** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ *** فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيهِ *** وَبَحْرِي لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ

فَقِيلَ: يَا أُم الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ هَذَا لَغْوًا؟ قَالَتْ: لاَ، إِنَّمَا اللَّغْوُ مَا قِيلَ عِنْدَ النِّسَاءِ. قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قَالَت: أَلَيْسَ قَدْ أَصَابَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ؟ أَلَيْسَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَكُنِّعَ بِالسَّيْفِ؟اهـ .[438]

(شبهة قول عليّ –رضي الله عنه- للنبيِّ ﷺ) إن حديث الإفك الذي برّأ الله فيه أم المؤمنين من فوق سبعة أعظم، ففي جزء منه طلبَ النبي ﷺ استشارة بعض أصحابه في فراق عائشة فكانَ رأي عليّ هو (يا رسول الله لم يضيّق اللـه عليك!

---

[437] () أخرجه البخاري (.4146).

[438] () (جامع البيان في تفسير القرآن) (193/17).



والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك!) وعليٌّ بقوله هذا لم يشر عليه بترك عائشة لشيء فيها -معاذ الله! -؛ ولكنه لما رأى شدَّة التأثر والقلق على النبي ﷺ أحب راحته فأشار عليه بذلك وهو يعلم أنه يمكن مراجعتها بعد التحقق من براءتها، أو بسؤال الجارية لأن في ذلك راحة له أيضًا ولم يجزم عليه بفراقها؛ وهذا واضح من كلام عليّ رضي الله عنه.

قال ابن حجر العسقلاني: "وهذا الكلام الذي قاله علي حمله عليه ترجيح جانب النبي لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغَيرة فرأى عليٌّ أنه إذا فارقها سَكَنَ ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها؛ فيمكن رجعتها؛ ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما" .[439]

وقال الإمام النووي: "هذا الذي قاله عليٌّ رضي الله عنه هو الصواب في حقه، لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره" .[440]

وقال الإمامُ الثوري: رأيُ عليٍّ ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطرِه .ﷺ

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله (وسل الجارية تصدقْكَ) ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ؛ فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها وأن أردت خلاف ذلك فابحثْ عن حقيقة الأمر إلى أن تطَّلع على براءتها.[441]

)لِمَ لَمْ تصحب عائشة أحدًا معها؟) قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: فإن قيل لَمَ لَمْ تستصحب عائشة معها غيرها فكان ادعى لأمنها مما يقع للمنفرد ولكانت لَمَا تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل؟ والجواب: أن هذا من جملة ما يستفاد

439 () (الفتح) (468/8).
440 () (المنهاج) (108/17).
441 () (الفتح) (468/8).



من قوله (حديثه السن) لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما سيأتي في قصتها مع أم مسطح .(442)

)سببُ استشارةِ الشابين دونَ الكبارِ؟) قال الإمام ابن حجر –رحمه الله–: أمَّا أسامة فهو كعلي في طول الملازمة ومزيد الاختصاص والمحبة..وخصَّه دون أبيه وأمه لكونه كان "شابا" كعلي، وإن كان عليٌ أسن منه؛ ثمَّ إنَّ للشابِ من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأةً على الجواب بما يظهر له من المسن لأن المسن غالبا يحسب العاقبة؛ فربما أخفى ما يظهر له رعاية للقائل تارة والمسؤول عنه أخرى مع ما ورد في بعض الأخبار أنه استشار غيرهما .(443)

)من هيَ الجارية التي سألها النبي عن عائشة؟) في حديثِ الإفكِ (فدعا رسول الله الجاريةَ بريرة فسألها) وقد قيل إن تسميتها هنا وهم؛ لأن قصتها كانت بعد فتح مكة من أنها لما خيرت فاختارت نفسها. ويمكن الجوابُ: بأن تكون بريرة كانت تخدم عائشة وهي في رق مواليها، وأما قصتها معًا في مكاتبتها وغير ذلك؛ فكان بعد ذلك بمدَّة(444) , أو أن اسم هذه الجارية المذكورة في قصة الإفك وافق اسم بريرة التي وقع لها التخيير.

* وجزم البدر الزركشي (445) أن تسمية هذه الجارية ببريرة مدرجة من بعض الرواة، وأنها جارية أخرى وأخذه من ابن القيم الحنبلي فإنه قال: تسميتها ببريرة وهم من بعض الرواة؛ فإن عائشة إنما اشترت بريرة بعد الفتح؛ ولما كاتبتها عقب شرائها وعتقت خُيرت فاختارت نفسها؛ فظن الراوي أن قول علي (وسل الجارية تصدقك) أنها بريرة فغلطٌ .قال ابن القيم: وهذا نوع غامض لا ينتبه له إلا الحذَّاق.

قال الإمام ابن حجرٍ وراءَ قولِ ابن القيِّم: وقد أجاب غيرُهُ بأنها كانت تخدم عائشة بالأجرة وهي في رق مواليها قبل وقوع قصتها في المكاتبة وهذا أولى من دعوى الإدراج وتغليط الحفاظ.(446) ! ...

) هل كانَ سعدُ بن معاذٍ موجودًا في الحادثة؟) ذكرَ القاضي عياض تنبيهًا و هو أنَّ المريسيعَ كانتْ سنة ستٍ من الهجرةِ، وماتَ سعدُ بن معاذ في "غزوة

442 () (الفتح) (460/8).
443 () (الفتح) (8/ 461).
444 () (الفتح) (8/ 469).
445 () (الإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ .(1/4))
446 () (المرجع السابق).

الخندق" سنةَ أربعٍ من الهجرةِ -إلا الواقدي فقال سنة خمس- قال عياض: وعلى كل تقدير فلا يصح ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة والأشبه أنه غيره! اهـ.[447]

وحكى ابن إسحاقَ أن المريسيع كانت سنة أربعٍ فعلى هذا لا تعارضَ لأن المريسيع في شعبانَ والخندق في شوال؛ ولكن صحح الإمام ابن حجر أن المريسيع كانتْ سنة خمسٍ وكذلكَ الخندق، ودعوى أنها سنة أربع (سبقُ قلمٍ) .!

قال ابن حجرٍ –مضعفًا القول بعدمِ وجود سعد بن معاذ-: وبالغ بن العربي على عادته فقال اتفق الرواة على أن ذكر بن معاذ في قصة الإفك وهم!؛ وتبعه على هذا الإطلاق القرطبي.[448]

(توجيه حمية الصحابي سعد بن عبادة) إنَّ قولَ سعدِ بن عبادةَ لسعدِ بن مُعاذ: (لعمر الله لا تقدر على قتله) كيفَ ذلكَ؟ مع أن سعد بن معاذ لم يقل بقتله! ، كما قال في حق من يكون من الأوس! فإن سعد بن عبادة فهم أن قول بن معاذ (أمرتنا بأمرك) أي: إن أمرتنا بأمرك أي أمرتنا بقتله قتلناه! وإن أمرت قومه بقتله قتلوه! فنفى سعد بن عبادة قدرة سعد بن معاذ على قتله –إن كان من الخزرج– لعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر غير قومه بقتله، أنه أيْأسه من مباشرة قتله! وذلك بحكم الحمية التي أشارت إليها عائشة.. ولا يلزم من ذلك ما فهمه المذكور أنه يرد أمر النبي ﷺ بقتله ولا يمتثله حاشا لسعد من ذلك .[449]

(توجيهُ أسيد بن حضير في رميه سعدًا بالنفاق) اعتذر المازري عن قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة "إنك منافق" أن ذلك وقع منه على جهة الغيظ والحنق والمبالغة في زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن بن أبيّ وغيره، –ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر–؛ قال المازريُّ: ولعله صلى الله عليه و سلم إنما ترك الإنكار عليه لذلك .[450]

وقالَ الإمامُ ابنُ حجرٍ في موضعٍ آخرَ: أطلق أسيد ذلك: مبالغة في زجره عن القول الذي قاله وأراد بقوله (فإنك منافق) أي تصنع صنيع المنافقين؛ وفسره بقوله (تجادل عن المنافقين) وقابل قوله لسعد بن معاذ (كذبت لا تقتله) بقوله هو (كذبت لنقتلنه). وقال المازري: إطلاق

---

447 () (الفتح) (471/8).
448 () (الفتح) (471/8).
449 () (الفتح) (473/8).
450 () (الفتح) (474/8).

أسيد لم يرد به نفاق الكفر وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك فأشبه حال المنافق لأن حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره.(451)

(سبب سؤال أبوها وأمها؟ وسبب عدم جوابها؟) قال الإمام ابن حجرٍ: إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر وهو لا اطلاع له على ذلك؛ لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه؛ فكأنها قالت له "برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول" وإنما أجابها أبو بكر بقوله "لا أدري" لأنه كان كثير الأتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها "لا أدري". .(452)

قال الإمام النووي: سألها عنه؛ لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى.(453)

(كيفَ تنسبُ عائشةُ إلى النبي وأبويها صدق المقالة الكاذبة؟) قالتْ عائشةُ في خطبتها: (حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به) **قال الإمام ابن حجرٍ العسقلاني**: قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت لما تحققته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا –إقامة الحجة– على من تكلم في ذلك ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك لكن ضمت إليه من لم يكذبهم تغليبا.(454)

وقولها "لا تصدقونني بذلك" أي لا تقطعون بصدقي ،وإنما قالت ذلك لأن المرء مؤاخذ بإقراره.

(لِمَ رفضتْ عائشةُ حمدَ أحدٍ غير الله ﷻ؟) **في قولِ عائشةَ** "والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله" قال بن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه اهـ. وقيل أشارت إلى إفراد الله تعالى بقولها فهو الذي أنزل براءتي فناسب إفراده بالحمد في الحال. ولا يلزم

451() (الفتح) (474/8).
452 () (الفتح) (475/8).
453 () (المنهاج) (17/110)
454 () (الفتح) (476/8).



منه ترك الحمد بعد ذلك.. ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها (احمدي الله) ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد.[455]

(هل حدَّ أحدٌ من أهلِ الإفكِ، ولمَ لمْ يحدَّ ابن أبي المنافق؟) قال الإمام ابن القيم ـرحمه الله-: وَلَمّا جَاءَ الْوَحْيُ بِبَرَاءَتِهَا أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَنْ صَرّحَ بِالْإِفْكِ فَحُدّوا ثَمَانِينَ ثَمَانِينَ... [قال بعدَ ذلك: فَجُلِدَ مِسْطَحُ بن أُثَاثَة وَحَسّانُ بن ثَابِتٍ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ وَهَؤُلَاءِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الصّادِقِينَ تَطْهِيرًا لَهُمْ وَتَكْفِيرًا وَتُرِكَ عَبْدُ اللهِ بن أُبَيّ إذًا فَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَهْلِ ذَاكَ]. وَلَمْ يَحُدّ الْخَبِيثَ عَبْدَ اللهِ بن أُبَيّ مَعَ أَنّهُ رَأْسُ أَهْلِ الْإِفْكِ: قِيلَ: بَلْ كَانَ يَسْتَوْشِي الْحَدِيثَ وَيَجْمَعُهُ وَيَحْكِيهِ وَيُخْرِجُهُ فِي قَوَالِبِ مَنْ لَا يُنْسَبُ إلَيْهِ وَقِيلَ: الْحَدّ لَا يَثْبُتُ إلّا بِالْإِقْرَارِ أَوْ بِبَيّنَةٍ وَهُوَ لَمْ يُقِرّ بِالْقَذْفِ وَلَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَإِنّهُ إنّمَا كَانَ يَذْكُرُهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَلَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ يَذْكُرُهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقِيلَ: بَلْ تَرَكَ حَدّهُ لِمَصْلَحَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ إقَامَتِهِ كَمَا تَرَكَ قَتْلَهُ مَعَ ظُهُورِ نِفَاقِهِ وَتَكَلّمِهِ بِمَا يُوجِبُ قَتْلَهُ مِرَارًا وَهِيَ تَأْلِيفُ قَوْمِهِ وَعَدَمُ تَنْفِيرِهِمْ عَنْ الْإِسْلَامِ فَإِنّهُ كَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ رَئِيسًا عَلَيْهِمْ فَلَمْ تُؤْمَنْ إثَارَةُ الْفِتْنَةِ فِي حَدّهِ وَلَعَلّهُ تُرِكَ لِهَذِهِ الْوُجُوهِ كلِّها .[456]

) خطر المنافقين على مدى العصور (إن كل مؤمنٍ صادقٍ ليعلم أن المنافقين الطاعنين ما أرادوا بطعنهم الكاذب ورميهم البهتان أمَّ المؤمنين عائشة المطهرة بذاتها أو أرادوا الانتقامَ لها، بل كان مقصدهم الأكبر الطعن في بعلها (رسول الله ﷺ) حامل الرسالة السماوية، رسالة التوحيدِ التي جاءتْ لقلع الشركِ ودحضه.

وقد كانَ المنافقون يتربصون بالنبي ﷺ وأصحابهِ لإخراجهم عن دينهم، قال تعالى ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)﴾. وقال تعالى في سورةِ البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا

---

[455] () (الفتح) (8/ 477).
[456] () (زاد المعاد) (231/3).

قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) ﴾البقرة.

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله-: زوجاتُ النبي ﷺ الطاهرات المطهرات الطيبات هؤلاء النسوة هن أطهر زوجات على وجه الأرض منذ خلق آدم؛ وقد حاول المنافقون أن يدنسوا فراش رسول الله ﷺ وذلك في قصة الإفك التي نسجوا خيوطها ورموا بها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها حيث اتهموها بما هي بريئة منه؛ فأنزل الله في براءتها عشر آيات في كتابه تتلى إلى يوم القيامة فقال تعالى ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم﴾ إلى قوله تعالى ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم[457] ﴾.

انتهى.

(دحضُ خطط اليهود في هذه الفِتْنَةِ) هذه العشرة الآياتُ المثلى لم يكدر صفوها ويعكره إلا ذلك الابتلاء العظيم، وتلك المحنة الكبرى، التي حلت بهما، تلك هي قصة الإفك، التي كانت خطة من خطط اليهود ونفذها المنافقون، يدلنا على ذلك قول أم المؤمنين عائشة -ضي الله عنها- ي قوله ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ قالت: عبد الله بن أبي بن سلول كان وراء هذه الفتنة التي وقعت، وكان يشيعها وينشرها بين الناس" وكان هدف اليهود من وراء ذلك التالي:

أ- عقدي: وذلك للتشكيك في نبوة النبي ﷺالتي من مقتضاها أن تكون امرأة شريفة غير متهمة في عرضها، فإذا وقع وكانت امرأته خلاف ذلك دل على أنه ليس نبي، ولا يجب اتباعه، بل تكذيبه وهذا ما يسعى إليه اليهود من تلك الساعة التي أرسل بها النبي ﷺ إلى العالمين.

ب- سياسي: وذلك أن النبي ﷺ قد أصبحت له الزعامة في المدينة، التي كان اليهود يطمعون بها قبل هجرته إلى المدينة، فإذا استطاعوا التشكيك في بيت النبي ﷺ، ونزاهته تفرق القوم من حوله، ولم يعودوا يثقوا به ويلتفوا حوله، عند ذلك تُتَاح لهم الفرصة ليتولى أحدهم الزعامة على مجتمع المدينة المنورة. لكن الله اختار نبيه ﷺ رسولاً إلى العالمين ليقوم بإبلاغ الدين

---

457 () (شرح رياض الصالحين) (179/1)



الإسلامي، الذي رضيه الله دينًا للعالمين، واختار زوجته عائشة بين نساء قريش، حفظ الله بيت نبيه من أن يشك في طهارته، أو نزاهة إحدى زوجاته أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن-، فأنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– بآيات تتلى إلى يوم القيامة، وصونًا لهذا البيت، لأن صيانته لرسول الله ﷺ فكان عاقبة أمرهم وكيدهم خسارة لهم، حيث باءوا بالعذاب العظيم من الله ﷻ يوم القيامة، قال تعالى: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم[458] ﴾، فانقلبت تلك المحنة إلى منقبة ومفخرة لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- إلى يوم القيامة.[459]

* وصدقَ الله ﷻ إذ قال ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (62)﴾ الأحزاب.

إِضَاءَةٌ

قال الإمام شمس الدين الذهبي –رحمه الله-: … أَنْ تُلَوِّحَ بِقَذْفِ أُمِّ المؤْمِنِيْنَ بَعْدَ نُزُوْلِ النَّصِّ فِي بَرَاءِتِهَا، فَتَجِبُ لَكَ النَّارُ اهـ.

المطلب الرابع: (بركات وخيرية حادثة الإفكِ الجديدة).

• إنَّ حادثةَ الإفكِ الأخيرةِ هذهِ؛ كانت بما اِحتوَتهُ من الخيرِ والبركةِ كما قالَ اللهُ من قبل ﴿لا تحسبُوهُ شرًا لكم بل هوَ خيرٌ لكم..﴾.. فهيَ وإن كانت قاسيةً مؤلمةً مفتِّتةً لأكبادنا وأكبادِ عامةِ المؤمنين؛ إلاّ أنّ فيها من الخيرِ والبُشرى والفضلِ والبرَكةِ ما لا يَهبُهُ ولا يُقدِّرهُ إلاّ اللهُ المنّانُ ﷻ! بركاتٌ مُتراكِماتٌ بعضُها فوقَ بعض. فمن البركاتِ التي شوهدت في هذه الحادثة:

أولاً: ما تكشّفَ للناسِ جميعًا من حقيقةِ دينِ هؤلاءِ الروافضِ وأخلاقِهم، وما ظهرَ للجميعِ من قُبحِ فعالِهم، وسوءَ ما تخفيهِ قلوبُهم من الحقدِ السافرِ على أمّهاتِ المؤمنينَ رضيَ اللهُ تعالى عنهُنّ، وبانَ عداؤُهم الذي يُبطنونهُ لأهلِ

---

[458] () النور: 11].

[459] () موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة –حياتها وفقهها- لسعودِ الدخيل) (ص 38 وص39).



السُّنة، واتّضَح للقاصي والداني أنّ ما يدّعونهُ من مُعاداةِ اليهودِ والنّصارى والحرص على قضايا المسلمين الشائكة –خصوصًا قضيّتيْ الأقصى وفلسطين- ما هوَ إلاّ محضُ كذب ومجموعُ إفتراء! بل هم في الضفّة المقابلة تمامًا لكلِّ ما يدّعون.. وهذا بعدَ أن كادت طائفةٌ مفتونة تُّصدِّقُ دعاواهُم..

ثانيًا: في هذهِ الحادثة رسالةٌ صريحةٌ غيرُ مُجَمجمة؛ إلى دعاةِ التقاربِ والتلميع لمذهبِ التشيُّع، فقد ألقمتهم هذهِ الحادثةُ أحجارًا، بلهَ قد أتَت على بُنْيانهم من القواعد، فهم وإن حاولوا أن يوهمُوا أنفسَهم - قبلَ أن يوهمونا- بنجاحِ محاولاتِهم في التقريبِ والتذويبِ ومدى جدِّيّتها، إلا أنّهم لم يستطيعوا أن يُحدّدوا موقفًا صريحًا تجاهَ هذهِ الفريةِ العظيمة من قِبَلِ هذا الأفّاكِ المجرِم؛ اللهمّ إلا تصريحاتٍ خجولةٍ غيرِ واضحةٍ لبعضِهم، بل وحاولَ بعضُهم أن يجعلَ منها قضيةَ شخصٍ واحدٍ فقط!

- ويا ليتَ دعاةَ التقريبِ يعلمونَ أنّ مَثَلُهم ومثل هؤلاءِ الروافض كمَثَل مَن ينشُدُ في الماءِ جذوةَ نار.. وكمَن يطلبُ من السّرابِ إرواءً لظمئه.. ! واللهُ المستعان.

ثالثًا: أبانَت هذهِ الحادثة بوضوحٍ تامّ؛ حقيقةَ التحالُفِ الليبراليّ الصحفيّ معَ المدِّ الصفويّ الرافضيّ الذي حذَّر منهُ وأشارَ إليهِ بعضُ المُدركينَ من العلماء، والذي أخذ يتنامى بشكلٍ مُخيف في الفترةِ الأخيرة! ولمّا يغِب عن أذهاننا بعدُ؛ ما قامت بهِ وسائلُ الإعلامِ الليبرالية التي تستكتبُ بعضَ المنافقين، من الهجومِ المفضوحِ على الشيخِ الفاضل محمد العريفيّ حينَ نالَ من أحدِ زنادقتهم في العراق! ورأينا كيفَ اِحمرّت آنافُهم وتورّمت وجوههم حينها غيرةً على عرضِ السيستانيّ، أما حينما يكونُ الحديثُ عن عرضِ أمّ المؤمنينَ الطاهرة فلا تستغرب حينها إذا قرأت لبعض بغال الليبرالية من التباكي على الفتنة والتنادي بعدم إثارة الطائفية، أو التغاضي عن الحدثِ بالكلِّيَّةِ، ولا عجَب، فكلُّنا يعلَم أن هؤلاء – أعني جنود الشيطان من الصحافيين والإعلاميين– ما هم إلا مطايا لهؤلاءِ الرافضةِ وغيرهم، يتَوَاروْنَ بهم كما يتوارى سائسُ الحمارِ بالحمارِ – أجلّكمُ الله -، وما همُ اليومَ إلا من عرفناهم بالأمس!

رابعًا: من برَكاتِ هذهِ الحادثة؛ أن كشَفَت بجلاءٍ ووضوح تخاذُلَ بعض المتثيْقِفةِ المنتسبينَ إلى العلمِ الشرعيّ، المتصالحينَ مع المشروع التغريبيّ – على حدّ تعبير بعضهم-، الذين ثاروا غيرةً على عرضِ شاعرٍ وأديبٍ – رحمهُ الله وتجاوزَ عنه – ضدّ بعض المتكلّمينَ فيهِ بحق، بل وَورِمت آنافُهم حميةً وحدَبًا على بعضِ المشاريعِ التنمويةِ التغريبية، وقد فتَحت لهم وسائلُ الإعلامِ أبوابَها، ومكّنتهم من الظهورِ المتواصلِ عبرَ شبكاتِها وقنواتِها، ثمّ هم لم يقوموا بأيِّ واجبٍ تجاهَ أمِّ المؤمنينَ الطاهرة رضيَ اللهُ عنها!



- أفلا يستحي هؤلاء من أنفُسِهم، ومن ضمائرهم، ومن التاريخِ الذي يكتُبُ فِعالَهم؟! أَأعراضُ المنافقينَ من الليبراليينَ والمُبتدِعة ومروّجي الجنسِ والرذيلة أعزُّ عليهم من عرضِ حبيبنا ونبيّنا محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلام؟! أعوذُ باللهِ من الخذلانِ والتّيه..

خامسًا: من عظيمِ برَكاتِ هذهِ الحادثة؛ تداعي الكثيرِ من علماءِ أهلِ السُّنة ودُعاتهم إلى تبيانِ خطورةِ التشيُّع وسوءِ آثاره، وتوارُد بعض وسائلِ الإعلامِ الهادفة من المواقعِ الانترنتيّة والقنوات المتخصِّصة في فضحِ الرافضة كقَناتيْ (صفا ووصال) توارُدًا محمودًا على إنتاجِ الكثيرِ من البحوثِ والبرامج الوثائقية التي تكشِفُ ضلالَ التشيُّعِ وفسادَه، وشاءَ اللهُ أن يكونَ الحديثُ عن خطَرِ الرافضةِ مثارَ اِهتمامِ الكثيرِ من العامةِ في البيوتاتِ والطرقاتِ والأسواقِ وأماكنِ العمل والاِجتماعات.

وهذا – بحمدِ الله – خيرٌ عظيمٌ عميمٌ، سهّل من مهمّةِ المصلِحينَ المختصّينَ والمنشغلينَ بخطورةِ هذا الجانب، ولا يحيقُ المكرُ السيّئُ إلا بأهلِهِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

سادسًا: من الجميل في هذهِ الحادثة؛ التأثيرِ الإيجابيّ على كثير من عامّةِ الشيعةِ وعقلاءِهم، فقد سمِعنا أن كثيرًا منهم رجَعَ إلى الفطرةِ السليمة (السُنة) ، وأدركَ خطورة ما كانَ عليه، وخطورة ما عليهِ ملالي الشيعةِ وعلماءهم من الشركِ، والضلالِ، والحقدِ على الخلفاءِ الراشدينَ وعلى أمّهاتِ المؤمنينَ وآلِ بيتِ النبيّ ﷺ، وهذا واللهِ من الخيرِ الذي نشكُرُ الله عليه، فمعَ وفرةِ الجهودِ الموجّهةِ مؤخرًا إلى عوامّ الشيعة من قِبَل علماء السُنّة؛ إلا أن هذهِ المواقفِ الحمقاء التي يقومُ بها معمّمي الشيعة تهدمُ بُنيانهم بأيديهم، وتقوّضُ أعمدتهم بما اِقترفتْهُ عقولهم وألسنتهم، وتُعمِلُ فيهم من التشكيكِ أكثرَ مما تُعمِلُهُ جهودُ أهلِ السنةِ مجتمعين، فالحمدُ للهِ على فضلِه.[460]

* ومن هنا نداء للشيعةِ وعلماءها: واللهِ لو كانَ قصدكم الطعنَ " أم المؤمنين " بذاتها ما بلغتم هذه المبالغ الطويلة العريضة في الطعنِ! ؟ إنما وربي كان قصدكم هو الطعنُ في بعلها وحبيبها سيد الأنبياء "محمد ﷺ " ألستم تقرؤونَ حديثَ النبي ﷺ في "الصحيحين": أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي.

فأين ذهبتْ غيرة النبي عليه الصلاة والسلام؟ وأين ذهبت غيرة الله جل جلاله ؟ بل أينَ ذهبت غيرة الصحابة على أمهم رضي الله عنها؟ على زعمِ المنافقينَ والرافضة!

---

[460] () (نقل -بتصرف- من كلام الأخ الشيخ عبد الرحمن السيِّد من مقاله "ما هيَ بأول بركتكم يا آل أبي بكر ! " فجزاه الله خير الجزاء).



ألَمْ يقلِ الله تعالى في كتابه ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30)﴾ فإذا كانَ قول الروافض صحيحًا فلمَ لمْ يعذّب الله أم المؤمنين كما وعد وأخبر؟

(الخيْريَّة في حادثةِ الإفكِ كما قال تعالى "بل هو خير لكم")

قال الدكتور مهران عثمان: قد يكون الخير فيما نكرهه ﴿بل هو خير لكم﴾ ، والخيرية هنا تتبدى في عشرة جوانب:

براءة عائشة رضي الله عنها تتلى في القرآن إلى يوم القيامة، وما أورثته الحادثة من تعلق قلبها بالله.

ومن امتلاء قلبها بعبودية الصبر، ومن تثقيل لميزان حسناتها.

ومن حصولها على حسنات غيرها ممن تكلم فيها، ومن تكفير لسيئاتها.

وبيان لعظيم مكانتها، وقد عُرف المؤمنون من المنافقين، وعرف قوي الإيمان من غيره

واشتملت آيات الحادثة على مهمات الآداب للجماعة المؤمنة.

إضَاءَةٌ

قال حسان بن ثابت –رضي الله عنه- في أم المؤمنين –رضي الله عنها-:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزن بريبة *** وتصبح غرثى من لحوم الغوافل (461)
حليلة خير الناس دينا ومنصبا *** نبي الهدى والمكرمات الفواضل (462)
عقيلة حي من لؤي بن غالب *** كرام المساعي مجدها غير زائل (463)

---

461 ()حصان: المحصنة العفيفة. رزان: الرزينة كاملة العقل، كما يقال رجل رزين وامرأة رزان أو رزينة .ما تزن: أي لا تتّهم. غرثى: جائعة .ومعناه أنها لا تغتاب الناس لأنها لو اغتابتهم لشبعت من لحومهم، من قوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) الغوافل: جمع غافلة أي الغافلة عن الشر والفواحش.

462 ()حليلة خير الناس: أي زوجة خير الناس صلى الله عليه وسلم .

463 ()العقيلة: السيدة الكريمة وتطلق على الزوجة .من لؤي بن غالب: لؤي بن غالب من أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أجدادها، أي هو جد مشترك لهما وربما لقريش كلها.

مهذبة قد طيب الله خيمها *** وطهرها من كل شين وباطل[464]

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم *** فلا رفعت إلي سوطي أناملي [465]

وإن الذي قد قيل ليس بلائط *** بها الدهر بل قول امرئ بها ما حل [466]

فكيف وودي ما حييت ونصرتي*** لآل رسول الله زين المحافل[467]

له رتب عال على الناس كلهم *** تقاصر عنه سورة المتطاول[468]

رأيتك وليغفر لك الله حرة *** من المحصنات غير ذات غوائل

الفصل السادس

[أدْوَارِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ –رضيَ اللَّه عنها- في عَهدِ النبي –عليه الصَّلاة والسَّلام- وعَهد الخُلفاءِ الراشدينَ والصحابيِّ معاوية بن أبي سفيان –ﷺ-][469].

* إنَّ عائشةَ أم المؤمنينَ –رضي الله عنها- قد عاصرتْ في حياتها رياحينَ الرجال، فأيُّ رجلٌ أفضلُ من النبيِّ المصطفى ﷺ فتعلمتْ منه في عصرهِ وعملتْ، وسألتْ وبحثتْ، ثم عهدُ أفضل الصحابةِ وأعلمهم أبيها (أبو بكرٍ الصديق) فكانَ يعاملها أنها ابنته الشيخة الفاضلة، وما بعُدَ نظره طرفةَ عينٍ أنها زوجةِ حبيبه المصطفى، فجعل لها مكانها، فعلمتْ ودرَّست وفقَّهتْ، ثم كانَ عهد أشد الصحابةِ في سبيل الله لا يخاف في اللهِ لومة لائم (عمر بن الخطاب) فقدَّرها قدرها، وحفظَ لها مكانها، ثم كانَ عهدُ ذي النورين

---

464 ()الخيم: الأصل ، أي قد طيب الله أصلها .شين: القبيح.

465 () هنا يدعو على نفسه بأن لا ترفع له يده السوط، وقد يكون يقصد به الموت، إن كان قد خاض في الإفك كما يتهمه البعض، فهو ينفي عن نفسه هذه التهمة.

466 () لائط: لازق أي أن ما اتهمت به من إفك وكذب ليس بلازق بها ولا دائم, الماحل: أو المتماحل أي المتغير والزائل .أو لها معنى آخر أي من يسعى بالشر والكيد، اي هو قول شخص قد سعى بالشر والنميمة.

467 ()أي فكيف أقول مع القائلين بالإفك وأنا وُدي وحبي ونصرتي ما حييت للرسول وآله.

468 ()أي له الرتبة والمكانة العالية والدرجة الرفيعة التي لا يصلها أحد من الناس, وتقصر عنها حتى سُورةُ المتطاول أي وثبة المتعالي.

469 () * هذا مختصرٌ عما جاء في الأخبارِ في دورِ عائشةَ في هذه العصور الفاضلة, وجله مقتبس من مقدمة كتاب -"موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة" لسعود الدخيل- في ترجمةِ أم المؤمنين, فإنه عرضَ الأدوار بأسلوب مختصر مفيد, وقد أحلتُ كل موقف ذكره إلى مصدره.

الذي قد جعلتْ له أمُّ المؤمنينَ نصرةً في دينه في حياته وبعدَ مماته، فكمْ كانت تبجله وكم كانَ يبجلها –رغم الخلاف بينهما-، ثم جاءَ عهدُ زوج بنتِ النبي ﷺ (علي بن أبي طالب) الذي كانتْ عائشةُ تحيلُ إليهِ بعض السؤالات، وحفظتْ له قدره وعلمه وخلافته، ثم كانَ عهدُ الصحابي الجليل (معاوية بن أبي سفيان) الذي كانَ يبجّل زوجةَ نبيه ﷺ؛ والذي كانَ تناصحه أم المؤمنينَ –على ما تراه من المصلحة- ومع هذا لم يعكِّر صفوَ أحدٍ على أحدٍ (قدره ومنزلته).

وهذه مقدمة جعلتها ممهِّدًا لما سنذكرُ طرفًا من أحوالِ أم المؤمنينَ في عهدِ رسولا لله وعهد أبي بكر وعهد عمر وعهد عثمان وعهد علي وعهد معاوية (رضيَ الله عن الجميع وأرضاهم).

المطلب الأول: دورها السياسي في عهد الرسول (ﷺ)

تنوع الدور الذي قامت به أم المؤمنين عائشة الطاهرة –رضي الله عنها– في عهد الرسول ﷺ، حيث لم يقتصر دورها على ناحية واحدة فقط، بل تعدد دورها؛ فمن ذلك:

(1) تهيئة الاستقرار النفسي للرسول –ﷺ-:-

إن الدور الذي قامت به أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- هو دور الزوجة المثالية، المحبة لزوجها، والتي أحبها زوجها كذلك حبًا وصف أنه أول حب في الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: (أول حب كان في الإسلام، كان حب النبي ﷺ لعائشة) [470].

فإذا كان الرسول ﷺ هو رئيس أول دولة إسلامية، فإن الواجب على أم المؤمنين أن تهيءَ له الجو النفسي الذي يستطيع من خلاله أن يسير أمر الدولة الإسلامية، التي هي في طور البناء و الإنشاء، وهذا ما كانت تقوم به أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فإنه لا يصدر منها إلا الاحترام والتقدير. فعن عائشة قالت: (أن رسول الله ﷺ كان يقول لها: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى، قالت: وكيف يا رسول الله؟ قال: إذا كنت عني راضية

[470]() أخرجه الخطيب البغدادي في (تاريخه) (34/4) وأبو نعيم في (الحلية) (229/6).



قلتِ لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى قلتِ لا ورب إبراهيم قلت: أجل والله ما أهجر إلا اسمك) .[471]

(2) عدم إرهاقه بطلباتـها: بعد المعيشة الرغدة التي كانت تعيشـها أم المؤمنين في بيت أبيها ﵁، انتقلت إلى بيت الرسول ﷺ الذي كانت المعيشة فيه تختلف عن سابقاتها، لقلة ما لدى الرسول ﷺ، لكن ذلك كان موضع تقدير عند عائشة -رضي الله عنها-، التي أدركت المعيشة الجديدة، وتكيفت معها، وسايرت الوضع الجديد، فلم تكلِّف رسول الله ﷺ أن يوفر لها من العيش ما كان موفرًا لها في بيت أبيها، بل صبرت على ذلك، مما جعل الرسول ﷺ يصرف كل وقته للتفكير في نشر الإسلام والذود عنه.

(3) مساعدته بما تستطيعه في السلم والحرب: كما كانت عائشة رضي الله عنها عونًا للرسول ﷺ في العوامل النفسية والمالية لقيام الدولة الإسلامية، كان لها دور في مساعدته في الناحية الحربية، فقد كانت ترافقه في غزواته، متى سنحت لها الفرصة في ذلك، وكانت تروح عن نفسه متاعب السفر وهموم الحرب فقد قالت: (إن النبي ﷺ كان إذا أراد السفر أقرع بن نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث. فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري، وأركب بعيرك تنظرين وأنظر. فقالت: بلى، فركبت حفصة فسلم عليها ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة. فلما نزلوا جعلت رجليها بين الأذخر وتقول: رب سلط علي عقربًا أو حية تلذغني ولا أستطيع أن أقول له شيئًا) .[472]

(ولم يقتصر دورها على ذلك، بل شاركت رسول الله ﷺ في الذود عن الدولة الإسلامية، وإرساء قواعدها، حينما أراد كفار قريش القضاء عليها في مهدها، ففي غزوة أحد كان لها دور المساند في الجيش المدافع، فقد روى

---

[471] () أخرجه البخاري (.5228).

[472] () أخرجه البخاري (.5211).



أنس بن مالك ﷺقال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ. قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لمشمرتان أرى سوقهن تنقلان القِرَب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم) [473] بل إنها استأذنت الرسولﷺ في الاشتراك الفعلي في الجهاد، فقالت: (استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: جهادكن الحج) .[474]

وقد كان من مشاركتها في الدفاع عن الدولة ما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (خرجت يوم الخندق أقفو الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة، قالت: فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطرافه، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمر وهو يرتجز، قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له -تعني المِغْفر- فقال عمر: ما جاء بكِ؟ لعمري واللهِ إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوُّز؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيتُ أن الأرض انشقت بي ساعة إذن، فدخلت فيها فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله، فقال: يا عمر ويحك! إنك قد أكثرت منذ يوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله تعالى!؟) .[475]

(4) تقوية عزيمة الرسول – ﷺ–: إن الأدوار التي قامت بها عائشة -رضي الله عنها- داخل بيتها وخارجه مع الرسول ﷺ كان فيه تقوية لعزيمته على مواصلة دعوته وجهاده، حيث إنه يجد له عونًا بعد الله في بيته وأسفاره، مما يكون له الأثر على إزالة ما يلاقيه خارج منزله من متاعب ومصاعب، ولا يحمله مشكلات ومتاعب تكهل عاتقه وتزيد الطين بلة -كما

---

473 () أخرجه البخاري (2880) ومسلم (1811).
474 () أخرجه البخاري (.2875)
475 () (مسند أحمد بن حنبل) (25140) والأثر متكلم فيه!.



يقال-؛ وقد قدر هذا الدور عمر بن الخطاب ﷺ لذا فضلها في العطاء على بقية أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-.

المطلب الثاني: (دورها السياسي في عهد أبي بكر – ﷺ-).

حينما تولى أبو بكر الصديق ﷺ وهو أول خليفة للدولة بعد النبي ﷺ لم يغفل دور أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- ، وقيمتها في المجتمع الإسلامي، ولو أنه كان أبوها وسابقها في الإسلام، بل إنه أنزلها مكانها اللائق بها، فرجع لها في الأمور الشرعية التي تخفى عليه، لذا كانت تمثل له مرجعًا في تلك الأمور، لأن رئيس الدولة في عهد الإسلام الأول هو القاضي الذي يفصل في الخصومات، وهو القائد العسكري، الذي يسيِّر الجيوش، وهو الإمام في الصلاة، وهو الخطيب في الجمع والأعياد، ولم يكن توزيع هذه المناصب إلا حينما توسعت الدولة الإسلامية، لذا كان دور أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بارزًا في عهد أبي بكر، فقد قال القاسم: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرى إلى أن ماتت يرحمها الله) [476].

* وقد ذكر ابن الجوزي أن أبا بكر الصديق روى عن ابنته عائشة، ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة قالت: (دخلت على أبي بكر فقال: في كم كفنتم النبي ﷺ؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قالت: يوم الاثنين قال: فأي يوم هذا؟ قالت: يوم الاثنين........) [477].

المطلب الثالث: (دورها السياسي في عهد عمر بن الخطاب -ﷺ-)

قد عظُم دور أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في عهد أمير المؤمنين عمر، وذلك لمكانتها الرفيعة عند عمر، يدل ذلك (أن

[476] () (سير أعلام النبلاء) (55/5).
[477] () أخرجه البخاري (1387) و مسلم (2222).

عمر فرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله [478] (ﷺ. وكذلك (قدم درج من العراق فيه جوهر إلى عمر، فقال الصحابة: أتدرون ما ثمنه؟ قالوا: لا. ولم يدروا كيف يقسمونه، فقال: أتأذنون أن أرسل به إلى عائشة لحب رسول الله إياها؟ قالوا: نعم، فبعث به إليها فقالت: ماذا فتح الله على ابن الخطاب بعد رسول الله، اللهم لا تبقني لعطيته لقابل) [479]. وقد قامت بما قامت به على عهد أبيها، فقد رجع إليها أمير المؤمنين عمر في كثير من المسائل الفقهية فتبوأت بهذا المرجع الشرعي لأمير المؤمنين، وقد قال محمد بن أبي بكر: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى......).

*ومن المسائل التي رَجَعَ إليها عمر ما رواه عمرو بن أمية (أن عمر أتى عليه في السوق وهو يسوم بمِرط فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: مرط أشتريه فأتصدق به، فقال له عمر: فأنتَ أنتَ إذًا، ثم أتى عليه بعد فقال: يا عمرو ما صنع المرط؟ قال: تصدقت به، قال: على من؟ قال: على رقيقة مزينة، قال: أليس زعمت أنك تصدقت به؟ قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما أعطيتموهن فهو لكم صدقة) فقال عمر: يا عمرو لا تكذب على رسول الله ﷺ! فقال: والله لا أرافقك حتى نأتي أم المؤمنين عائشة! فقال: يا عمرو لا تكذب على رسول الله ﷺ! فاستأذنوا على عائشة فقال عمرو: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما أعطيتموهن من شيء فهو لكم صدقة) فقالت: اللهم نعم، اللهم نعم. فقال عمر: أين كنت عن هذا؟ ألهاني الصفقة بالأسواق) . [480]

قال الإمامُ الطحاوي –رحمه الله-: (تذاكروا الغسل من الإنزال: فقال زيد بن ثابت: ما على أحدكم إذا جامع فلم ينـزل إلا أن يغسل فرجه ويتوضأ وضوء الصلاة. فقام من أهل المجلس فأتى

---

478 () (سير أعلام النبلاء) (182/2) , (الإصابة في تمييز الصحابة) (19/8).

479 () أخرجه الحاكم في (المستدرك) (4 / 8) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إذا صح سماع ذكوان أبي عمرو، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بالإرسال!

480 () أخرجه الطيالسي في (المسند) (1461) و الهيثمي في (مجمع الفوائد ومنبع الزوائد) (4/ 376) وقال: في إسناده محمد بن أبي حميد وهو ضعيف.



عمر فأخبره بذلك، فقال عمر للرجل: اذهب أنت بنفسك فأتني به حتى تكون أنت الشاهد عليه. فذهب فجاءه به وعند عمر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل فقال له عمر: أي عُدي نفسه؟ تفتي الناس بهذا؟ فقال زيد: أما والله ما ابتدعته ولكن سمعته من أعمامي، فقال عمر لمن عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: ما تقولون فاختلفوا عليه فقال عمر: يا عباد الله قد اختلفتم وأنتم أهل بدر الأخيار، فقال له علي: فأرسل إلى أزواج النبي ﷺفإنه إن كان شيء من ذلك ظهرنا عليه. فأرسل إلى حفصة فسألها فقالت: لا علم لي بذلك. ثم أرسل إلى عائشة فقالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. فقال عمر عند ذلك: لا أعلم أحدًا فعله ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالاً) .[481]

المطلب الرابع: (دورها السياسي في عهد عثمان بن عفان .)-رضي الله عنه-

إنَّ الذي يستقرىء دور أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في عهد أبي بكر وعمر يجده لا يتجاوز الاستشارة في الأمور الشرعية، التي ربما خفيت عليهما ولا تخفى عليها، ولم يتعد ذلك إلى المعارضة في تولية الولاة، أو عزلهم، أو غير ذلك التي في عمقِ السياسة الأساسية للدولة؛ لأنه لم يحدث خلاف بين الراعي والرعية حتى يكون هناك أي مجال لأحد أن يتدخل في تصرفاتهما.

ولما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه سارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الشطر الأول في خلافته سيرتها في زمن الخليفتين قبله، وقد زادت مكانتها العلمية في هذا العهد وذلك لاتساع الدولة الإسلامية، ودخول أمم وشعوب كثيرة في الإسلام، وقد احتاج الناس إلى علمها وفقهها فَقَصدوها من كل مكان يسألونها.

(فصلٌ) بروز الدور السياسي لعائشة في عهد عثمان وأسبابه.

---

[481] () (شرح معاني الآثار) للطحاوي (1/ 58) (335).


قام عثمان -رضي الله عنه- بصفته خليفة المسلمين بتصرفات لم تنل رضا بعض الناس واعتبروا أن عثمان كان مخطئًا فيها فعارضوه على تلك الأعمال فلم يستمع لتلك المعارضة لاعتقاده أنه لم يجانب شرع الله فيما يعمل، فما كان منهم إلا أن لجئوا إلى من كانوا يجدون لديها الجواب والحل لكثير من مشكلاتهم، فقد طلبوا من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- التدخل في الأمر، لمكانتها لدى عثمان بن عفان ﷺ، بل وعند الناس كلهم، لعلها تغير من الواقع الذي لم يرضوه شيئًا.
ورغبةً من أم المؤمنين في إصلاح أمور المؤمنين طلبت من عثمان بن عفان العدولَ عن تصرفاته التي قام بها، والرجوع إلى ما كان عليه من قبل، فاشتدَّ الموقف فيما بينهما، مما جعل أعداء هذا الدين يستغلون ذلك الخلاف ويؤججون ناره، حتى وصل الحال إلى مقتل عثمان بن عفان ﷺ. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف ذلك: (كان الناس يتجنون على عثمان ﷺ ويزرون على عماله، ويأتوننا في المدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنه، ويرون حسنًا من كلامنا في الإصلاح بينهم، فننظر في ذلك فنجده بريًا تقيًا وفيًا، ونجدهم فجرة كذبة، يحاولون غير ما يظهرون....) [(482)].
ومن ذلك الموقف الذي وقفته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- من تصرفاته جعلها تدخل السياسة من أوسع أبوابها، إذ الأمر لم يقتصر على مجرد رأي، أو نصيحة، بل تعدى ذلك إلى المعارضة في توليه الولاة أو عزلهم، أو إقامة الحدود، وما إلى ذلك من الأمور كما سيأتي.
)أسباب بروزها السياسي):
(أ) العلاقة بينها وبين عثمان: كانت أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- لهن مكانة كبيرة، ومنزلة عظيمة عند الصحابة أجمعين، ولأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مكانة خاصة، تميزت بها عن غيرها، لمكانتها التي اشتهرت بها عند رسول الله ﷺ، لذا حفظت لها تلك المكانة عند الناس

482 () (تاريخ الطبري) (15/3).

أجمعين (وحينما تولى عمر بن الخطاب الخلافة فرض لأمهات المؤمنين وزاد عليهن عائشة) كذلك خصص لهن قافلة لحجهن وجعل عليها عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأوصاهما خيرًا. وحينما تولى عثمان -رضي الله عنه- الخلافة سار في تقديرهن وتكريمهن على نهج عمر ومن بينهن عائشة – رضي الله عنهن-.

وكانت عائشة -رضي الله عنها- تكنُّ التقدير والاحترام لعثمان، وكانت أعرف الناس في فضائله ومناقبه ومكانته عند رسول الله ﷺ، وقد رويت في ذلك عدة أحاديث في فضل عثمان ومناقبه، تقتفي بذلك أثر رسول الله ﷺ في صحبة عثمان ورعايته والاعتراف بجميل إيثاره وبذله منذ عانى الإسلام شدته الأولى. عرفت أم المؤمنين لعثمان قدره فكانت تدافع عنه، ولما سمعتْ أن بعض الناس ينال من عثمان غضبت غضبًا شديدًا وقالت: (لعن الله من لعنه، فو الله لقد كان قاعدًا عند نبي الله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إليَ، وإن جبريل ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول له: اكتب يا عثيم، فما كان الله لينزله تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله) .[483]

ظلت أم المؤمنين على مودتها لعثمان ﷺ وتقديرها له إلى أن قتل شهيدًا، رغم ما حصل بينهما من خلاف في وجهات النظر، وحينما علمت بمقتله قالت: (إن عثمان قتل مظلومًا ووالله لأطلبن بدمه) .[484]

(ب) فكرها السياسي المخالف لفكر عثمان: إنَّ نشأة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في بيت أبيها، العالم بالأنساب، وأيام العرب، والذي كانت وفود العرب تقصده، لمكانته في قريش، وجاهه، ولقضاء حوائجهم، ثم انتقالها إلى بيت النبي بصفته رئيس الدولة ومؤسسها، وما كان يقوم به من أعمال سياسية، كل هذا كوَّن فكرًا سياسيًا لدى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وجعل لها

---

483 () أخرجه الإمام أحمد في المسند (26173) وسنده ضعيف.

484 () (تاريخ الطبري) (12/3).



شخصية سياسية مستقلة، قد تتفق مع الآخرين، وقد تختلف معهم، لأنها تنظر إلى الأمور بمنظارها الخاص، لذا كان لها رأي سياسي يخالف بعض أراء أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان ﷺ, لذا أبدتْ رأيها الذي تراه في صالح الأمة الإسلامية، والتي يهمها أمرها، لأنها تعتبر نفسها مسؤولة عن المسلمين باعتبارها أمًا لهم، ولأنها فرد منهم، والرسولﷺ يقول: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.[485])

وتقديم النصيحة لأئمة المسلمين قد أمر به الرسول ﷺ، بل عده من كمال الدين حينما قال: (الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[486]).

من هذا المنطلق كان هناك بعض المواقف السياسية التي كانت فيها لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- آراء معينة غير الآراء التي لعثمان -رضي الله عنه-، والكل منهما مجتهد يبحث عن الحق أينما كان، من ذلك حينما (جاء وفد مصر يشكون أميرهم عبد الله بن أبي سرح، عند ذلك أرسلت إليه عائشة: قد تقدم إليك أصحاب رسول الله ﷺ وسألوكَ عزلَ هذا الرجل، فأبيت أن تعزله، فهذا قد قتل منهم رجلاً، فأنصف من عاملك).

المطلب الخامس: (دورها السياسي في عهد علي بن أبي طالب – ﷺ-)

(أ) تولي عليٌّ –رضي الله عنه- الخلافة:

بقيت المدينة بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر، فلا يجدونه، وذلك أنه (اجتمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليًا فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فيمن اخترتم، فقد رضيت به، فاختروا والله، فقالوا: ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه- مرارًا،

---

485 () رواه الطبراني في (الأوسط) (7473) , وهو ضعيف, انظر (السلسة الصعيفة) (310).

486 () أخرجه البخاري (524) ومسلم (205).

ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بأمرِهِ، وقد طال الأمر فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم، وإنني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، ولا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلتَ من شيء قبلناه إن شاء الله.
فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه، فقال: إني قد كنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم؛ ألا وإنه ليس لي أمر من دونكم، إلا أن مفاتيحَ مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منها درهمًا دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم ثم بايعَهم على ذلك) وفي رواية (أنه قال لطلحة والزبير: إن أحببتما أن تبايعا لي، وإن أحببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك) .[487]

(ب) رأي عائشة في خلافة علي –:-رضي الله عنه

حينما قتل عثمان -رضي الله عنه- كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في مكة بعد أدائها الحج، وقد بلغها الخبر في تولي علي الخلافة، فلم يصدر منها شيء يدل على عدم رضاها بذلك، بل إن الذي صدر منها أنها من المؤيدين لبيعته، فقد سبق ما رواه الأحنف بن قيس حينما قال لها: (من تأمريني أن أبايع؟ قالت: عليًا، قلت: تأمرينني به وترضينه لي؟ قالت: نعم) .[488]

* أما خروجها لطلب دم عثمان فلا يدل على عدم رضاها لتولي علي الخلافة، وذلك أنهما حينما التقيا بالبصرة الكل منهما يريد "الصلح والأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه"، وقد اتفقا على ذلك. وحينما استغرب الأحنف بن قيس خروجها في هذا جاءها وسألها في ذلك قال: (فبينا أنا كذلك إذ أتاني آتٍ فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الخريبة، فقلت: ما جاء بهم؟ قالوا: أرسلوا إليك يدعونك يستنصرون بك على دم عثمان رضي الله عنه، فلما أتاهم قالوا: جئنا لنستنصر على دم عثمان، قتل مظلومًا، فقلت: يا أم المؤمنين أنشدك الله،

---

[487] () تاريخ الطبري (449/5) , الكامل في التاريخ (24/2) , وانظر (سيرة علي بن أبي طالب للصلابي؛ في تفاصيل الخلافة.

[488] () تاريخ الطبري (3/ 34).



أقلت لك: من تأمريني به؟ فقلت: عليًا، فقلت: أتأمرينني به وترضينه لي؟ قلت: نعم، قالت: نعم) .[489]

كذلك حينما توقف القتال وجاء علي ﷺ للبيت الذي أنزلت فيه عائشة -رضي الله عنها- لم يطلب منها أن تبايعه، لعلمه أنه لم تر غيره للخلافة، بل إنه سلم عليها وقعد عندها، وحينما أرادت أن ترتحل جهزها بكل شيء، وودعها وودعته، وقالت: (يا بنيَّ تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزاد، فلا يعتدن أحد منهم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبينه في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس؛ صدقتِ الله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة) .[490]

المطلب السادس: (دورها السياسي في عهد معاوية – ﷺ-).

) أ) تولي معاوية الخلافة:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قد بايعه أربعون ألفًا من عسكره على الموت، لما ظهر ما كان يخبرهم به من خروج أهل الشام، فبينما هو يتجهز للمسير قُتل. فلما قُتل بايع الناس ابنه الحسن بن علي ﷺ بالخلافة، وحينما بلغه مسير معاوية ﷺ في أهل الشام إليه جهَّز الجيش الذي بايعه وسار إلى الكوفة لملاقاة معاوية، ثم غدر به بعض القوم فطعنوه طعنة لم تكن قاتلة، عند ذلك كرههم وأبغضهم، فكاتب معاوية فأرسل إليه بشروط؛ قال: إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع وعليك أن تفي لي به، فلما اصطلحا قام الحسن ﷺ في أهل العراق فقال: يا أهل العراق إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث، قتلكم أبي وطعنكم إياي وانتهابكم متاعي؛ وتسلم معاوية ﷺ الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة .[491]

---

[489]() تاريخ الطبري (3/ 35).
[490]() تاريخ الطبري (3/ 66).
[491] () تاريخ الطبري (3/ 165).



* وصدق رسول الله ﷺ حينما أخبر عن هذا الصلح؛ فقد روى الحسن البصري قال: سمعت أبا بكرة يقول: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين) [492].

(ب) رأي عائشة في خلافة معاوية:

لم يكن بين أم المؤمنين عائشة ومعاوية ﷺ قبل أن يتولى الخلافة ما يعكر صفو العلاقة بينهما، بل كان معاوية وغيره من الصحابة يجِلون أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وعائشة ومعاوية كانا متفقين قبل ذلك على المطالبة بدم عثمان ﷺ فالأفكار واحدة، وحينما تولى الخلافة حرص حرصًا شديدًا على أن تكون علاقته بعائشة على أحسن ما يرام، لمكانتها بالمجتمع الإسلامي، لذا كان يترضاها معاويةُ ويصَلها بصلات جسيمة طيبة، قال عروة: (ما كانت عائشة تستجد ثوبًا حتى ترقع ثوبها وتنكسه، ولقد جاءها معاوية ثمانون ألفًا فما أمسى عندها درهم) .[493]

* وقد قام بزيارتها مرتين حرصًا منه على تحسين العلاقة التي ساءت فيما بينهما على أثر قتل أخيها محمد بن أبي بكر.

(ج) نقد عائشة بعض تصرفات معاوية السرية:

صدرت من معاوية خلال خلافته بعض تصرفاته السياسية، والتي فيها لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- رأي مخالف لرأيه، وقد عتبت عليه في ذلك بل وغضِبتْ، ولولا خشيتها من وقوع فتنة أخرى لكان لها موقف آخر، قالت: (لولا أنا لم نغير شيئًا إلا آلتْ بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه، لغيرنا قتل حجر بن عدي) .[494]

---

492 () أخرجه البخاري (2704) , وانظر القصة بطولها.

493 () (جامع الأصول في أحاديث الرسول) (2771) لابن الأثير, وهي من زيادات رزين!, وأصل الحديث ضعيف.

494() تاريخ الطبري (3/ 232).

لقد كانت عائشة رضي الله عنها تعارض معاوية ﷺ رغم إحسانه إليها، في كل ما ترى أنه لا مصلحة فيه للمسلمين، من تصرفاته من ذلك:

(أ) لقد أخذت عائشة –رضي الله عنها– معالجته بعض الأمور السياسية بكثير من العنف والقسوة، من ذلك: قتله لمعارضيه محمد بن أبي بكر وحجر بن عدي، وقد كانت عائشة تريد من معاوية ﷺ أن يتحلى بالصبر ويعالج الأمور بالكياسة والسياسة، لأن إراقة الدماء لا تنتج إلا الحقد، ولا تخلف إلا الشقاق، أما الحلم والعفو، فلا ثمرة له إلا المحبة ورأب الصدع، وتوحيد المسلمين، وهذا ما كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تتطلع إليه وتريد أن تحققه. فحينما زارها معاوية ﷺ لما حج قالت له: آمنت أن أخبىء لك رجلاً يقتلك بأخي محمد؟ قال: ما كنت لتفعلي!. ثم إنها وعظته وحضَّته على الاتباع. أما حجر فإنها بعثت إلى معاوية في شأنه لعلها تحول دون قتله، فلم تفلح في ذلك، وحينما زارها قالت معاتبة له: (يا معاوية أين كان حلمك عن حجر؟ فقال: لم يحضرني رشيد) .[495]

(ب) كذلك أخذت عائشة على معاوية ﷺ جعْله الخلافة ملِكًا غضوضًا، وإكراه الناس على البيعة لابنه يزيد بن معاوية، فهي ترى أن يلي الخلافة من هو أهلاً لها من المسلمين كما في عهد الخلفاء الراشدين. وقد كتب معاوية لعماله لأخذ البيعة ليزيد، وأن يستوثقوا له، فأنكر ذلك جلة من الصحابة والتابعين ﷺ، فما كان من معاوية إلا أن توعدهم بالقتل إن لم يبايعوا، فأنكرت عليه عائشة -رضي الله عنها- ذلك، وحينما زارها قالت له: بلغني أنك تتهددهم بالقتل، فارفق بهم، فإنهم يصيرون على ما تحب إن شاء الله، قال: أفعل .[496]

(د) مناصحة عائشة لمعاوية –:–ﷺ

[495]() تاريخ الطبري (3/ 220).
[496]() الكامل في التاريخ (142/2) , وانظر فيها تفاصيل القصة.

عدلتْ أم المؤمنين عائشة عن العنف في المعارضة وإثارة الناس على الخليفة، حيث إنها لم تأتِ بخير عدلت إلى توجيه النصح والإرشاد كلما رأت منه عدولاً عن الصواب.

(أ) حينما بلغها ما وقع بين حجر بن عدي وزياد وأن معاوية قد أرسل في طلبهم، ما كان من عائشة رضي الله عنها إلا أن بعث رسولاً إلى معاوية في حجر وأصحابه، لعله يغير من رأيه شيئًا، ولكن سبق تنفيذ القتل وصول رسولها، ولما حج معاوية ﵁ وزارها في بيتها أنكرت عليه ذلك، وقالت: (يا معاوية أين كان حلمك عن حجر، فقال: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد -وفي رواية أخرى- قالت: يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم) .[497]

(ب) لمكانة عائشة عند معاوية ﵁، كتب إليها يطلب منها أن توصيهِ، فقد أخرج الترمذي أنَّ معاوية بن أبي سفيان كتبَ إلى عائشة ﵂ أن أكتبي إلي كتابًا توصيني فيه، وتكثري علي، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام الله عليك أما بعد، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من التمس رضى الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، وكَلَه الله إلى الناس؛ والسلام عليك.[498])

(ج) لما بلغ عائشة –رضي الله عنها– أنه يتوعد من لم يبايع لابنه بالعهد بالقتل أنكرت ذلك وقالت: (بلغني أنك تتهددهم بالقتل! فارفق بهم، فانهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله قال: أفعل) .[499]

---

[497]() تاريخ الطبري (3/ 232).

[498]() أخرجه الترمذي (2338) وهو حديث صحيح, انظر (الصحيحة) (2311).

[499] سبق إيراد المصدر.

الفَصْلُ السَّابع
فِي ذِكر (حادثة الجمل وما جاءَ فيها من خبر).

وفيه تمهيد ثلاثةُ مطالب:

(تمهيد)

إنَّ العلمَ بحقائق الأمور من صحيحٍ وسقيمٍ لهو مفتاحٌ وسكينٌ لردِّ الشبهاتِ الكاذبة، والمختلقاتِ الفاسدةِ، لذا سأوردُ هاهنا ما حصلَ في "معركةِ الجمل" وقبلَ ذلكَ "مقتل الصحابي الجليل عثمان رضي الله عنه" وبعدَ ذلك "مبايعةُ الصحابي عليٍّ رضي الله عنه" لاتصاله بالمعركةِ، باختصارٍ موجزٍ لأنَّ المقصود ربطُ الحوادث التي حصلتْ في "معركةِ الجملِ"...على ما ذكرَه المؤرخون في كتبهم، كالإمام الطبري (المتوفى سنة 310هـ) في كتابهِ "تارخ الرسل والملوك"، والإمام ابن الأثير (المتوفى سنة 630هـ) في كتابه "الكامل في التاريخ"، والإمام ابن كثير (المتوفى سنة 774هـ) في كتابه "البداية والنهاية"، وكذلكَ اعتمادُ ما كتبه أهل العلم من المعاصرينَ المدقِّقين، ككتاب "حقبة من التاريخ" للشيخِ عثمان الخميس، وغيرها من الكتب النافعةِ.

المَطْلَبُ الأوَّلُ: (مقتلُ عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنه).

إنَّ بدءَ الفتنةِ الكبرى كانتْ سنة ((34 من الهجرةِ، والذي أشعلَ الفتنة الخبيث اليهودي "عبد الله بن سبأ" المسمى بابن السوداءِ، وإليه ينسب بعض الفرق يقال لهم "السبئية"[500].

وكانتْ أسباب الفتنةِ كثيرةٌ؛ أبرزها: قول ابن سبأ وإشهاره بأنَّ عليًا هو الله؛ فعظموا عليًا عليهِ السلام وألَّهوه، وكانَ عثمانُ بن عفان ﵁ حليمًا؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا حَاصَرُوهُ فِي الْبَيْتِ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا جَرَّأَكُمْ عَلَيَّ؟ مَا جَرَّأَكُمْ عَلَيَّ إِلَّا حِلْمِي) فكانَ يعفو ويتسامح عن الخطأ، وأنَّ عثمانَ ولى

---

[500] () انْظُرْ كِتَاب: «عَبْدُ الله بن سبأ هَلْ هُوَ حَقِيقَة أم خيال؟» -.



أقاربهَ كتوليته ابن أبي السرحِ مكانَ عمرو بن العاص، وأنه أحرقَ المصاحف، وأنه زادَ نداءًا يومَ الجمعةِ .[501]

وذكرَ المؤرخون حادثةَ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وخروج الخوارج عليه في موسم الحجّ لعزله أو قتله! !، ونذكر ما حصل باختصارٍ:

* خرجَ في موسمِ الحجّ سنةَ ((35 من الهجرةِ جماعة من الأعلاجِ يصل عددهم ما بين "الألفين" إلى "ستة آلاف" فأبطنوا في خروجهم للموسمِ مجيء قتلِ عثمان أو عزله، وأظهروا السعي للحج في بيت الله، فما أن وصلوا حتى حاصروا بيت عثمانَ بن عفانَ -وطلبوا منه أن يعزل نفسه- إلى الثامن من عشر ذي الحجة.

* وكان محصورًا مع عثمان جماعة من الصحابةِ الكرام -كُلُّهُمْ يُرِيدُ الدِّفَاعَ عَنْهُ- **منهم:** الْحَسَنُ بن عَلِيٍّ، واللْحُسَيْنُ بن عَلِيٍّ، وعَبْدُ اللهِ بن الزُّبَيْرِ، وأَبُو هُرَيْرَةَ، وابن عمر.

وإذا سأل سائلٌ لمَ لمْ يقاتلِ الصحابة ويواجهوا الأعلاج؟

أجيبَ: أَنَّ عُثْمَانَ هُوَ الَّذِي عَزَمَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُغْمِدُوا سُيُوفَهُمْ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقِتَالِ، وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدَرِهِ. وذاكَ يدلُّ على "شجاعته" وعلى "رحمته بالصحابةِ" لأنه أدركَ معنى محاربةِ الأعلاجِ، وأنه يؤدِّي إلى سفكِ الدماء وإراقتها، وإلى انتهاكِ الأعراض فلو أمرهم القتال لكانت مفسدة هي أعظم من مفسدة قتلِ رجلٍ واحدٍ.

والدليلُ على منعِ عثمانَ –رضي الله عنه– ما جاءَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بن ثَابتٍ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه فقَالَ: هَذِهِ الْأَنْصَارُ بالْبَابِ قَالُوا: إِنْ شِئْتَ أَن نَكُونَ أَنْصَارَ اللهِ مَرَّتَيْنِ كَمَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَكُونُ مَعَكَ. فَقَالَ عُثْمَانُ: أَمَّا قِتَالٌ فَلَا .[502]

---

[501] () ولمعرفةِ مزيدٍ من تفاصيلِ الأسباب, والردّ عليها: ينظر (البداية والنهاية) (190/7) و (حقبة من التاريخ) لعثمانَ الخميس (161.(/1 فليسَ هذا مجال التوسع في ذلك.

[502] «() الْمُصَنَّف» لابْنِ أَبِي شَيبة (205/15 رقم 19509) بِسَنَدٍ صَحيحٍ.



وَمَعَ هَذَا فَقَدْ حُمِلَ أَرْبَعَةٌ مِنْ شُبَّانِ قُرَيْشٍ مُلَطَّخِينَ بِالدِّمَاءِ مَحْمُولِينَ كَانُوا يُدَافِعُونَ عَنْ عُثْمَان وَهُمُ: الْحَسَنُ بن عَلِيّ, وعَبْدُ اللهِ بن الزُّبَيْرِ, ومَرْوَانُ بن الْحَكَمِ، ومُحَمَّدُ بن حَاطِبٍ .[503]

ومَنْ هِمْ رؤوس الفتنةِ في مقتلِ عثمانَ رضي الله عنه؟

أجيبَ: هم أعلاجٌ من أهلِ مصرَ؛ كِنَانَةُ بن بِشرٍ، وَرُومَانُ الْيَمَانِيُّ، وَشَخْصٌ يُقَالُ لَهُ جَبَلَةُ، وَسَوْدَانُ بن حُمْرَانَ، وَرَجُلٌ يُلَقَّبُ بِالْمَوْتِ الْأَسْوَدِ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ. وَقِيلَ: مَالِكُ بن الْأَشْتَرِ النَّخَعِيُّ .[504]

أَمَّا مَنْ بَاشَرَ قَتْلَهُ: فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِصْرِيٌّ يُقَالُ لَهُ جَبَلَةُ.

(تنبيهٌ جليلٌ) لقدْ قامتِ السيدة عائشة بالمطالبة بثَأْرِ عثمان منذ اللحظة التي عَلِمتْ فيها بمقْتِله رضي الله عنه وقبل أنْ يصِلَ الزبير وطلحة وغيرُهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنَّه قد رُوِي أنَّها لَمَّا انصرفتْ راجعةً إلى مكة، أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي، فقال: "ما ردَّكِ يا أُمَّ المؤمنين؟ قالتْ: ردَّني أنَّ عثمان قُتِل مظلومًا، وأنَّ الأمرَ لا يستقيمُ؛ ولهذه الغوغاء أمرٌ، فاطلبوا دمَ عثمان تعزُّوا الإسلامَ، فكان عبد الله بن الزبير أوَّلَ مَن أجابَها" .[505]

المطلب الثاني: (مبايعةُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه).

لما قتل الخليفة الثالث ارتجتِ البلادِ في طلبِ الخليفةِ الرابعِ بما لا بدَّ منه!

* عَنْ مُحَمَّدِ بن الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ دَارَ عُثْمَانَ وَقَد قُتِلَ، فَدَخَلَ إِلَى دَارِهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ عَلَيْهِ، فَأَتَاه النَّاسُ فَضَرَبُوا عَلَيْهِ الْبَابَ فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قُتِلَ، وَلَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ خَلِيفَةٍ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ!.

قَالَ لَهُم عَلِيٌّ: لَا تُرِيدُونِي؛ فَإِنِّي لَكُمْ وَزِيرٌ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرٌ. فَقَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ، قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ فإِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ سِرًّا، وَلَكِنْ أَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَمَنْ

503» () الاستيعاب» لِابْنِ عبد الْبر بحاشية «الْإِصابة» (78/3).

504 () (حقبة من التاريخ) لعثمانَ الخميس (161)./1)

505 () كما في (تاريخ الطبري) (475/5) نقلاً عن (دفع الشبه ولافتراءات) للطموخي.



شَاءَ أَنْ يُبَايِعَنِي بَايَعَنِي. فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَبَايَعَه النَّاسُ. ،[506]وصحَّ أن الصحابة جاءوه فبايعوه كلهم من المهاجرينَ والأنصارِ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَنْصُوصُ عِنْدَ أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ تَبْدِيعُ مَنْ تَوَقَّفَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ، وَقَالَ: هُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، وَأَمَرَ بِهِجْرانِهِ» .[507]

وإذا سأل سائلٌ: لمَ لم يُقتصَّ من قتلةِ عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل تولي الخلافة والمبايعة؟

أجيبَ: كان عَلِيٌّ رضي الله عنه يَنْظُرُ نَظَرَ مَصْلَحَةٍ وَمَفْسَدَةٍ، فَرَأَى أَنَّ الْمَصْلَحَةَ تَقْتَضِي تَأْخِيرَ الْقِصَاصِ لَا تَرْكَهُ، فَأَخَّرَ الْقِصَاصَ مِنْ أَجْلِ هَذَا، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْضُ النَّاسِ .[508]

قلتُ: ثمَّ إنَّ اختيار الخليفة ومبايعته أهمّ بكثير من قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، وذلك لأن البلاد لا تسير دون خليفة، أو أمير، فكيف يتم قتل هؤلاء القتلة ومن المتوقع حدوث حربٍ ضارية وكبيرة على مستوى الدولة الإسلامية كلها؛ قال الإمام ابن كثير: مع أن عليا في نفس الأمر يكرههم، ولكنه تربص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم .[509]

المطلب الثالث: (مَعْرَكَةُ الجَمَلِ).

* لَمَّا بُويعَ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ سنة (36 هـ) ، اسْتَأْذَنَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَلِيًّا رضي الله عنه فِي الذَّهَابِ إِلَى مَكَّةَ فَأَذِنَ لَهُمَا، فَالْتَقَيَا هُنَاكَ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَكَانَ الْخَبَرُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ رضي الله عنه، فَاجْتَمَعُوا هُنَاكَ فِي مَكَّةَ وَعَزَمُوا عَلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِ عُثْمَانَ.

(مفاوضة في تحديد الخروج) اجتمعَ خلقٌ من سادات الصحابةِ وأمهات المؤمنين فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام، ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال. فاستجاب الناس لها، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة، وقالوا لها:

---

506 () أَخْرَجَهُ أَحْمَد فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَة» (573/2 رقم 696) ، وَإِسْنَاده صَحِيح.

507» () مَجْمُوع الْفَتَاوِي» (4 .(438/

508 () (حقبةٌ من التاريخ) (1/ 182).

509 () (البداية والنهاية) (7/ 257).

حيثما ما سرت سرنا معكِ.. فقائل يريد الشامَ وآخر يريد المدينة لمطالبة علي بن أبي طالب بالقتلةِ –وهو رأي أمهات المؤمنين–؛ وقائل يريد البصرةِ لتجهيزِ الخيل والرجال. ثم اجتمع رأي الناس في الخروج إلى البصرةِ.

فجاءَ يَعْلَى بن مُنْيَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَجَاءَ عَبْدُ اللهِ بن عَامِرٍ مِنَ الْكُوفَةِ، وَاجْتَمَعُوا فِي مَكَّةَ عَلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِ عُثْمَانَ ﷺ، فَخَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ بِمَنْ تَابَعَهُمْ إِلَى الْبَصْرَةِ يُرِيدُونَ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَصَّرُوا فِي الدِّفَاعِ عَنْ عُثْمَانَ ﷺ وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكر، ومعها أمهاتِ المؤمنين حتى وصلن ذات عرقٍ ففارقنها إلى المدينةِ تبكي ويبكين للمفارقةِ وسمي ذلك اليوم "يوم النحيب". [510]

(المرور على ماء الحوأب ونبحِ الكلاب) مر جيش عائشة في مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟ قالوا الحوأب، فضربت باحدى يديها على الأخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: (ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب)، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب،فأناخ الناس حولها يوما وليلة قال لها عبد الله بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب. [511]

(قتال مع والي البصرةِ) كَانَ عَلِيٌّ ﷺ آنذاكَ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ عُثْمَانُ بن حُنَيْفٍ ﷺوَالِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ قِبَلِ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْبَصْرَةِ أَرْسَلَ إِلَيْهِم عُثْمَانُ بن حُنَيفٍ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ. فَقَالَ لَهُمْ: حَتَّى يَأْتِيَ عَلِيٌّ، وَمَنَعَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ.

ويزيدنا تفصيلاً للحادثةِ ابن كثيرٍ إذ يقول: بعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قُتِل مظلومًا في شهر

---

510 () «الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (258/7) القصة...

511 () «الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (258/7) القصة...

حرام وبلد حرام. وتلت قوله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾... وناوَشَا في ذلك طلحة والزبير.. ثم رجعا إلى عثمانَ بن حنيف فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحا الإسلام ورب الكعبة، فانظروا بأي زيفان نزيف! ؟... ثم اختار عثمان أن يمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنينَ.. وهيَّأ عثمان جيشًا إلى تجاههم، فحصل هناكَ قتالٌ حرضه بعضهم .(512)

ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِم جَبَلَةُ، وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي قَتْلِ عُثْمَانَ فَقَاتَلَهُم فِي سبعمائة رَجُلٍ فَانْتَصَرُوا عَلَيْهِ، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، ويروَى أنَّ رَجلاً قطعَ رِجل حكيم بن جبلة فقطعها، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله ثم اتكأ عليه وجعل يقول:

يا ساق لن تراعي * * إن لك ذراعي ** أحمي بها كراعي.

وقال أيضا:

ليس على أن أموت عار * * والعار في الناس هو الفرار ** والمجد لا يفضحه الدمار.

فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل، فقال له: من قتلك؟ فقال له: وسادتي (513).

* وَانْضَمَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى جَيْشِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.. فكانَ العددُ قرابةَ –ستة آلافِ مُقَاتِلٍ–، وصاحب الراية –عبد اللهِ بن الزبير–.

وقتلَ في هذه المعركةِ نحوٌ من سبعين من قتلة عثمان منهم حكيم وكذلك أنصارهم من أهل المدينة.

(خروج عليّ بن أبي طالب) خرَجَ عَلِيٌّ ﷺمِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكُوفَةِ وَذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ وَقَعَ هُنَاكَ قِتَالٌ بَيْن عُثْمَانَ بن حُنَيْفٍ وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ ﷺ بعد ما استخلفَ تمام بن عباس على المدينة، وقثمَ على مكة، وَجَهَّزَ جَيْشًا قِوَامُهُ –عَشْرَةُ آلَافٍ– لِمُقَاتِلَةِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وصاحب الراية: محمد بن علي بن أبي طالب...

512 () (الكامل في التاريخ) (31/2) و (البداية والنهاية) (260/7) بتصرفٍ. –وقد حذفنا ما ليسَ هو في مرادنا–.

513 () (البداية والنهاية) (260/7).



* وقد ناوشَ علي بن أبي طالبٍ في الخروجِ عبد الله بن سلام ﷺ وهو بالربذة، فأخذ بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا، فسبه بعض الناس، فقال علي: دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي ﷺ... وناوشه ابنه الحسن بن عليّ مع جدال كان بينه وبين علي ﷺ. (514)

(من الذي خرجَ على عليّ بن أبي طالب؟) ويَظْهَرُ لَنَا جَلِيًّا أَنَّ عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ ﷺ هُوَ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِمْ –ليسَ المعنى أنه خارجي لأنه الخليفة– وَلَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْصُدُوا قِتَالَهُ كَمَا تَدَّعِي بَعْضُ الطَّوَائِفِ وَمَنْ تَأَثَّرَ بِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ عَلَى عَلِيٍّ لَذَهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُبَاشَرَةً وَلَيْسَ إِلَى الْبَصْرَةِ. فَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَائِشَةُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ أَنَّهُمْ أَبْطَلُوا خِلَافَةَ عَلِيٍّ وَلَا طَعَنُوا عَلَيْهِ وَلَا ذَكَرُوا فِيهِ جَرْحًا وَلَا بَايَعُوا غَيْرَهُ وَلَا خَرَجُوا لِقِتَالِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ فإِنَّه لَمْ يَكُنْ بالْبَصْرَةِ يَوْمَئِذٍ.

ومصداقُ ذلكَ: ما قَالَه الْأَحْنَفُ بن قَيْسٍ: لَقِيتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ بَعْدَ حَصْرِ عُثْمَانَ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرَانِي فَإِنِّي أَرَاهُ مَقْتُولاً؟ قَالَا: عَلَيْكَ بِعَلِيٍّ.

قَالَ: وَلَقِيتُ عَائِشَةَ بَعْد قَتْلِ عُثْمَانَ فِي مَكَّةَ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرِينِي؟. قَالَتْ: عَلَيْكَ بِعَلِيٍّ. (515)

(مُفَاوَضَاتٌ قُبَيْلَ الْقِتَالِ) أَرْسَلَ عَلِيٌّ الْمِقْدَادَ بن الْأَسْوَدِ وَالقَعْقَاعَ بن عَمْرٍو لِيَتَكَلَّمَا مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَاتَّفَقَ الْمِقْدَادُ وَالْقَعْقَاعُ مِنْ جِهَةٍ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى عَلَى عَدَمِ الْقِتَالِ وَبَيَّنَ كلُّ فَرِيقٍ وِجْهَةَ نَظَرِه.

وبعدَ الِاتِّفَاقِ نَامَ الْجَيْشَانِ بِخَيْرِ لَيْلَةٍ، وَبَاتَ السَّبَئِيَّةُ (وَهُمْ قَتَلَةُ عُثْمَانَ) بِشَرِّ لَيْلَةٍ؛ لِأَنَّهُ تَمَّ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا مَا ذَكَرَه الْمُؤَرِّخُونَ الَّذِينَ أَرَّخُوا لِهَذِه الْمَعْرَكَةِ. (516)

وجاء جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة السلاح، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي من حيث جئت إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس في الرجوع. (517)

---

514 () (البداية والنهاية) (261/7), وسيأتي ذكر المناوشة.

515 () «فَتْح الْبَارِي» (38/13) وَقَالَ: «أَخْرَجَهُ الطَّبرِيّ بإِسْنَاد صَحِيح».

516 () انظر: «الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (509/7). «تَارِيخ الطَّبَرِيّ» (517/3).

517 () الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (259/7).



(كَيفَ تمَّتِ المسَاجَلةُ المكِيدَة؟) أَجْمَعَ السَّبَئِيُّونَ رَأْيَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَتِمَّ هَذَا الِاتِّفَاقُ، وَفِي السَّحَرِ وَالْقَوْمُ نَائِمُونَ، هَاجَمَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ السَّبَئِيِّينَ جَيْشَ طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وَقَتَلُوا بَعْضَ أَفْرادِ الْجَيْشِ وَفَرُّوا... فَظَنَّ جَيْشُ طَلْحَةَ أَنَّ جَيْشَ عَلِيٍّ غَدَرَ بِهِمْ، فَنَاوَشُوا جَيْشَ عَلِيٍّ فِي الصَّبَاحِ....

* فَظَنَّ جَيْشُ عَلِيٍّ أَنَّ جَيْشَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ قَدْ غَدَرَ، فَاسْتَمَرَّتِ الْمُنَاوَشَاتُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَتَّى كَانَتِ الظَّهِيرَةُ فَاشْتَعَلَتِ الْمَعْرَكَةُ...

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله-: ثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللامة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الامر، وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفا، والتف على عائشة ومن معها نحوا من ثلاثين ألفا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسابئة أصحاب ابن السوداء –قبحه الله– لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ينادي: ألا كفوا ألا كفوا، فلا يسمع أحد..

(مُحَاوَلَاتُ وَقْفِ الْقِتَالِ) حَاوَلَ الْكِبَارُ مِنَ الْجَيْشَيْنِ وَقْفَ الْقِتَالِ، وَلَكِن لَمْ يُفْلِحُوا، وكَانَ ذلكَ من جهةِ جيش عليٍّ وجيشِ عائشةَ:

* فَكَانَ طَلْحَةُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَنْصِتُونَ؟ فَأَصْبَحُوا لَا يُنْصِتُونَهُ فَقَالَ: أُفٍّ أُفٍّ فَرَاشُ نَارٍ، وَذُبَّانُ طَمَعٍ.[518]

* وكَانَ عليٌّ بن أبي طالب يَمْنَعُهُمْ وَلَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، وَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ كَعْب بن سَوْرٍ بِالْمُصْحَفِ لِوَقْفِ الْمَعْرَكَةِ، –كما سيأتي– فَرَشَقَهُ السَّبئِيُّونَ بِالنِّبَالِ حَتَّى أَرْدَوْهُ قَتِيلاً. وَذَلِكَ أَنَّ الْحَرْبَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ إِذَا اشْتَعَلَتْ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُوقِفَهَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْفِتْنَةُ إِذَا وَقَعَتْ عَجَزَ الْعُقَلَاءِ فِيهَا عَنْ دَفْعِ السُّفَهَاءِ، فَصَارَ الْأَكَابِرُ ﷺ عَاجِزِينَ عَن إِطْفَاءِ الْفِتْنَةِ، وَكَفِّ أَهْلِهَا، وَهَذَا شَأْنُ الْفِتَنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب.[519] ﴾

* وأما قصة إرسال عائشة —رضيَ الله عنهَا– فإنها تقدمت في هودجها، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة (مصحفًا) وكانَ قال لها: يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين

---

[518] () تَارِيخ خَلِيفَة بن خَيَّاطٍ» (ص182).

[519] () مُخْتَصر مِنْهَاج السُّنَّةِ» (ص281).

الناس! فقالت له: دعهم إليه –تعني المصحف-؛ وذلك أنه حين اشتد الحرب وحمي القتال، ورجع الزبير، وقتل طلحة، وما زال الأعلاج يقتلون من يقدرونَ عليهِ، فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين فلما رأوا كعب بن سوار رافعًا المصحف؛ رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد؛ فقتلوه –رحمه الله-.(520)

(كيف توقَّف القتال؟) لما وصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، جعلت تنادي: الله الله! يا بني اذكروا يوم الحساب! ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم.

فقال: اللهم العن قتلة عثمان! وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم، فحملت معه الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لابنه محمد بن الحنفية: ويحك! تقدم بالراية، فلم يستطع! فأخذها علي من يده فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي، فتارة لأهل البصرة، وتارة لأهل الكوفة، وقتل خلق كثير، وجم غفير، ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة.

وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك، وَكَانُوا يَقُولُونَ: لا يزال الحرب قائما مادام هذا الجمل واقفًا. وكانَ جيشُ عائشةَ يحرصونَ ألاَّ يُعقرَ الجمل حتى إنهم قطعوا يد سبعينَ رجلاً.(521)

(عُقِرَ الجمل) ثم جاء رجل –قيلَ من بني ضبة، وقيل ابن دلجة، وقيل أشارَ على ذلك علي- فضُرِبَ الجمل على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، فسمع له عجيج ما سمع أشد ولا أنفذ منه، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فعقر الجمل وهو في يده.

---

520 () (البداية والنهاية) (7/ 270).
521 () (البداية والنهاية) (7/ 272).



ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من الناس، وحمل هودج عائشة وكأنه القنفذ من السهام، ونادى منادي علي في الناس: إنه لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح، ولا يدخلوا الدور، وأمر علي نفرًا أن يحملوا الهودج من بين القتلى.

(انتهتِ المعركةُ) قال ابن كثيرٍ: وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء، وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم.

* قال سعيد بن أبي عجرة عن قيس بن عبادة قال: قال علي يوم الجمل: يا حَسَن! ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له: يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا .(522)

*قال الشيخُ عثمان الخميس: وقُتِلَ في هذهِ المعركةِ الكثيرونَ بل خَسِرَ الْإِسْلَامُ وَخَسِرَ الْمُسْلمُونَ فِيها، فقتل طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَمُحَمَّدُ بن طَلْحَةَ... وَكُلُّ الصَّحَابَةِ ﷺ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ نَدِمُوا عَلَى مَا وَقَعَ .(523)

)مَقْتَلُ الزُّبَيْرِ بن العَوامِ وموقِفُ عليّ بن أبي طالب) أَمَّا الزُّبَيْرُ فَلَمْ يُشَارِكْ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ هذا هو المشهور عند المؤرخين، وذَلِك أَنَّهُ يُرْوَى أَنَّ الزُّبَيْرَ رضي الله عنه لَمَّا جَاءَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ لَقِي عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَتذْكُرُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «تُقَاتِلُ عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ» فَرَجَعَ الزُّبَيْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ يُقَاتِلْ .(524)

* ويُروى أنَّ الزبير تركَ معسكره تائبًا وهو يقول أبياتا مطلعها:

ترك الأمور التي تخشى عواقبها *** لله أجمل في الدنيا وفي الدين.(525)

* وقُتِلَ الزبيرُ رضي الله عنه غدرًا من رجلٍ يقال له "ابن جرموز"، ويُرْوى أَنَّ ابْنَ جُرْمُوزٍ دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَمَعَهُ سَيْفُ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: قَتَلْتُ الزُّبَيْرَ، قَتَلْتُ الزُّبَيْرَ، فَلَمَّا سَمِعَهُ عَلِيٌّ قَالَ: «إِنّ هَذَا السَّيْفَ

522» () الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (268/7).

523 () (حقبة من التاريخ) بتصرف من مواضع .

524 () ذكره الْحَافِظُ ابْنُ حَجرٍ فِي «الْمطالب الْعَالِيَة» (4412) وفي سنده ضعفٌ.

525 () (فتوح ابن الأعثم) (312/2) و"حلية الأولياء" (91/1).



طَالَمَا فَرَّجَ الْكَرْبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» ، ثُمَّ قَالَ: «بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ» ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ بالدُّخُولِ عَلَيْهِ .(526)

(مَقْتَلُ طَلْحَةَ بن عبيدِ اللهِ وموقِفُ عليّ بن أبي طالب) لم يشارك كذلكَ طَلْحَةُ ﷺ في المعركةِ، وَقُتِلَ بِسَهْمٍ غَرْبٍ وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الَّذِي رَمَاهُ مَرْوَانُ بن الْحَكَمِ أَصَابَهُ فِي قَدَمِهِ مَكَانَ إِصَابَةٍ قَدِيمَةٍ فَمَاتَ مِنْهَا رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ، وَهُوَ يُحَاوِلُ مَنْعَ النَّاسِ مِنَ الْقِتَالِ.

* وكانَ عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يَمُرُّ بَيْنَ الْقَتْلَى فَوَجَدَ طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللهِ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَجْلَسَهُ وَمَسَحَ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ: عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ مُجَدَّلاً تَحْتَ نُجُومِ السَّمَاءِ أَبَا مُحَمَّدٍ. وبَكَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا بِعِشْرِينَ سَنَةً .(527)

(عائشةُ أم المؤمنين صاحبة الجملِ وعليُّ بن أبي طالبٍ) لَمَّا انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ، أَخَذَ عَلِيٌّ ﷺ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَأَرْسَلَهَا مُعزَّزَةً مُكَرَّمَةً إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ كَمَا أَمَرَهُ .ﷺ.
عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ » :ﷺسَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ» ، قَالَ عَلِيٌّ: فَأَنَا أَشْقَاهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا(528) «. فَفَعَلَ ﷺ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ .ﷺ

* ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي ﷺ بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلاَّ أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر... فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار.

526» () طبقات ابْن سَعْدٍ» (105/3) بِسَنَدٍ حسن.

527» () أُسد الْغابة» (88/3) وَقَالَ البوصيري: «رِجَالُهُ ثقات».

528 () أَخْرَجَهُ أَحْمَدَ فِي «الْمُسْنَد» (393/6) ، وَقَالَ الْحَافِظ فِي «الْفَتْح» (6 0/13) «سنده حسن». وقال الهيثمي "رجاله ثقات".



فقال علي بن أبي طالبٍ ﷺ: صدقت والله كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة .(529)

وجاء إليها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلما فقال: كيف أنت يا أمَّه؟ قالت: بخير فقال: يغفر الله لكِ. وفي روايةٍ: قالتْ: ولكَ .(530)

عَنْ عَاصِمِ بن كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: انْتَهَيْنَا إِلَى عَلِيٍّ ﷺ فَذَكَرَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: خَلِيْلَةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ!.

قال الذهبي –رحمه الله-: هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ؛ وَهَذَا يَقُوْلُهُ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فِي حَقِّ عَائِشَةَ، مَعْ مَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا فرضي الله عنها وأرضاهما وَلاَ رَيْبَ أَنَّ عَائِشَةَ نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً عَلَى مَسِيْرِهَا إِلَى البَصْرَةِ، وَحُضُوْرِهَا يَوْمَ الجَمَلِ، وَمَا ظَنَّتْ أَنَّ الأَمْرَ يَبْلُغُ مَا بَلَغَ .(531)

قال الإمام ابن كثيرٍ الدمشقيُّ –رحمه الله– بعدَ سَرْدِهِ "وقعة الجمل": هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم، فنحن حينئذ نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .(532)

قال الإمام ابن حجرٍ –رحمه الله– في الاعتذارِ لهم: والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان ﷺ أجمعين وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه .(533)

529» () الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (247/7).

530 () (الكامل في التاريخ) (2/ 49).

531 () (سير أعلام النبلاء) (3/ 155).

532» () الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (275/7).

533 () (فتح الباري) (7/.108).



) تندُّم عائشةَ رضي الله عنها في الخروج) عَنْ عُمَارَةَ بن عُمَيْرٍ، عَمَّنْ سَمِعَ عَائِشَةَ رضيَ الله عنْهَا إِذَا قَرَأَتْ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ(534) ﴾ بَكَتْ حَتَّى تَبُلَّ خِمَارَهَا .(535)

(لَمْ يذهبْ حبُّ ووفاءِ الصحابةِ لربهم!) ما سبقَ سَردُه يتبيَّن أن الصحابةَ كان تعلقهم بالله وحبهم موجودًا رغم اقتتالهم، ويظهرُ هذا جليًا في ما يلي -وسبقَ إيرادُهُ-:

*ما قاله منادي علي بن أبي طالب (لقد رأيتُه -يَعني عَليًّا- حين اشتدَّ القتال يلوذُ بي ويقول: يا حَسن، لوَدِدْتُ أنّي مِتُّ قبل هذا بعشرين حِجَّة أو سنة!.(

* وما حصل من تركِ الزبير القتال وما قاله علي بن أبي طالب عن قاتله (بشِّرْ قاتلَ ابن صفيَّة بالنار.(!

* وما قاله لطلحةَ وهو ميت (رحمة الله عليك أبا محمد، يعزُّ علي أن أراك مُجدولاً تحتَ نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري، والله لوَدِدْتُ أنّي كنتُ مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.(!

*ولما ودَّعَتْ عائشة الناسَ (وقالتْ: يا بَني لا يعتبْ بعضُنا على بعضٍ؛ إنَّه والله ما كان بيني وبين عَلِي في القِدَم إلاَّ ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنَّه على معتبتي لمن الأخْيَار، فقال عَلِي: صَدَقْتِ، والله ما كان بيني وبينها إلاَّ ذاك، وإنَّها لزوجة نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة).

(هل وقعتْ عائشةُ في سَبْيٍ معركة الجمل؟) قال الشيخ عبد الرحمن الطموخي: وأما وقوع عائشة -رضي الله عنها- في السَّبْي في هذه الموقِعة، فلم يحدثْ؛ فقد كان مما أخَذَ الخوارج على عَلِي -رضي الله عنه- أنَّه قاتَلَ ولم يأخُذ السَّبْي أو الغنائم، فقد ذَكَرَ أهْلُ السِّيَر والتاريخ في المناظرة التي جرتْ بين ابن عباس -رضي الله عنهما- والخوارج أنَّهم قالوا عن عليّ -رضي الله عنه-: إنَّه قاتَلَ ولم يَسبِ ولم يَغْنم، فإنْ حلَّتْ له دماؤهم، فقد حلَّتْ له أموالُهم، وإنْ حَرُمتْ عليه أموالهُم، فقد حَرُمَتْ عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس: أفتَسْبون

[534] () الأَحْزَابُ: 33].

[535] () (سير أعلام النبلاء) (3/ 155).



أُمَّكم؟ يَعني عائشة -رضي الله عنها- أم تستحلُّون منها ما تستحلُّون مِن غيرها؟! فإنْ قلتُم: ليستْ أُمَّكم فقد كفرْتُم، وإنْ قلتُم: إنَّها أُمُّكم واستحلَلْتُم سَبْيَها، فقد كفرْتُم، إلى آخر ما ورَدَ في هذه المناظرة .[536]

الفَصْلُ الثَّامن
(في ذكْرِ الشّيعةِ والتعريفِ بهم وبعلمائِهم وأهمِّ معتقدَاتِهم)

وفيه ثلاثة مطالب:

[536] () انظر: (دفع الشبه والافتراءات عن أم المؤمنين) للطموخي, وهو من أحسن من ردَّ ووضَّح فيما بتعلق بأم المؤمنين من شبهات وإشكالات.



المطلبُ الأول: تعريف الشيعةِ وبيانِ نشأتهم وأبرزِ معتقداتهم.

(تعريف الشيعة لغةً) قال ابن منظور (المتوفى سنة 711هـ): "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًا وأهل بيته، حتى صار لهم اسمًا خاصًا، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم. (537)

(تعريف الشيعةِ اصطلاحًا) قال الشهرستاني) :الشيعة هم الذين شايعوا عليًا ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية إما جليًا أو خفيًا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده) . (538)

قال أبو الحسنِ الأشعري: "إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا عليًا – رضوان الله عليه – ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله . (539) "ﷺ

قال الشيخ الدكتور ناصرِ القفاري –موضِّحًا ومصحِّحًا أن التشيع كانَ على مراحلَ وأطوار، فليسَ الأول كالآن– قالَ: في نظري أن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغيّر وتطورٍ مستمر؛ فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيًا إلا من "قدّم عليًا على عثمان .."قال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا.. ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، والسلامة والسمو.. بل إن مبدأ التشيع تغيَّر، فأصبحت الشيعة شيعًا، وصار التشيع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين.. ولهذا نرى بعض الأئمة لا يسمون الطاعنين بالشيخين بالشيعة، بل يسمونهم الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع . (540)

---

[537] () لسان العرب: مادة: شيع.].

538 () الملل والنحل (143/1).

[539] () مقالات الإسلاميين: 65/1.].

540) () أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد) للدكتور ناصر القفاري (1/ 49) وهو كتابٌ نفيسٌ لمنْ أرادَ معرفة الشيعة الروافض.

قال الإمام الذهبي –مصداقًا لما سبَقَ-: وقد كان الشيعي الغالي في زمن السلف وعُرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحه ومعاويه ﷺ وطائفة ممن حارب عليًا رضى الله عنه وتعرض لسبهم. والشيعي الغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر مرتد ضال مفتر .(541)

(نشأةُ التشيُّع) نشأ المذهب الشيعي على يد الزنديق المنافق عبد الله ابن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وكان يبطن الكفر لهدف إفساد الإسلام وعقائده كما فعل "بولس" بدين النصارى؛ وقد سعى في إشعال فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، ولما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي فزعم أولا أنه نبي؛ ثم قال: إنه الإله في الحقيقة؛ وكان يدعو الخلق إلى مقالته فأجابتْه جماعة فلما رفع خبرهم إلى علي رضى الله عنه أمر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيهما.

ثم ما لبث أن سَرَى هذا الداء في العالم الإسلامي تحت ستار الكيد والتآمر والخداع وامتلاء تاريخ الأمة الإسلامية بغدرات وخيانات الشيعة؛ فطالما تواطؤا مع اليهود والصليبيين والتتار على مدار جميع العصور حتى يومنا هذا .(542)

(أبرز عقائد وبدع الشيعة) إنَّ الروافض الكفرة لجديرٌ أن يصرَّح بكفرهم لكثرةِ فسقِهم وكذبهم وعقائدهم الرديَّة، فإنَّ لهم معتقداتٍ للإسلامُ منها براء براء... وإن من أهمِّ وأفظعِ هذه المعتقداتِ ما يلي:

القول بتحريف القرآن الكريم: يقول الله ﴿ :ﷻإِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ،[543]ويقول الرافضة التي تسمى في عصرنا بالشيعة: إن القرآن الذي عندنا ليس هو الذي أنزل الله على محمد ﷺ، بل جرى التغيير والتبديل، وزيد فيه ونُقص منه. وجمهور المحدثين من الشيعة يعتقدون التحريف في القرآن كما ذكر ذلك النوري الطبرسي صاحب كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)؛ وقال محدّثهم محمد بن يعقوب الكليني في (أصول الكافي) تحت باب (أنه لم يجمع القرآن كلّه إلاّ الأئمة): عن جابر قال: سمعت أبا جعفر يقول:

---

541 () (ميزان الاعتدال) (605/1).

542 () (الشيعة –شاهدين على أنفسهم بالكفر) ل.د.ضياء الكاشف. و [القمي/ المقالات والفرق ص: 21، النوبختي/ فرق الشيعة ص: 23].

543() [الحجر: 9].



ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزله الله إلاّ كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلاّ علي بن أبي طالب والأئمة من بعده.(544)

القول بالإمامة: يذهبُ الشيعةُ أن الإمامةَ "منصب إلهي كالنبوة" (545). وفي أحاديث الكليني في الكافي تعلو على مرتبة النبوة .(546)روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمس: على الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ النّاس بأربع وتركوا هذه –يعني الولاية–" .(547)

القولُ بعصمة الإمام: **ذكر شيخ الإسلام أن من أظهرَ هذه العقيدة ابن سبأ. وعلى هذا يرى الشيعةُ ذلك؛ ف**يرى القاضي عبد الجبار أن القول بـ"عصمة الإمام" وأنه لا يجوز عليه الخطأ والزلل في حال من الأحوال ولا يلحقه سهو ولا غفلة لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين لهم إلى زمن هشام بن الحكم حيث ابتدع هذا القول .(548)

العمل بالتقية: يعرّف المفيد التقية عندهم بقوله: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا" (549), ويقصد بالمخالفين: أهل السنةِ. والتقية في الإسلام غالبًا إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (550).

المهدية والغيبة: عندَ معظمِ الشيعةِ: فكرة الإيمان بالإمام الخفي أو الغائب، حيث تعتقد في إمامها بعد موته أنه لم يمت، وتقول بخلوده، واختفائه عن الناس، وعودته إلى الظهور في المستقبل مهديًا، ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي قدرت له العودة، كما تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم والتي يعتبر الإمام الغائب واحدًا منهم.

---

544 () (الوشيعة في كشف عقائد الشيعة) (18/1).

545() [أصل الشيعة: ص58]

546 ()[انظر: أصول الكافي: 175/1.]

547 ()[أصول الكافي] (18/3).

548() [تثبيت دلائل النبوة: 528/2].

549(انظر [شرح عقائد الصدوق: ص261 (ملحق بكتاب أوائل المقالات)].

550() [آل عمران: 28).



القول بالرجعة: وهي تعني (الرجوع بعد الموت) فيرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ [551] ﴾؛ حيث يقول ما نصه: "هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحدًا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك" .[552]وغير ذلكَ من المعتقداتِ الباطلة .[553]

أما المبتدعاتِ المحدثاتِ، فأشهرها:

منها: ذِكْرُ علَيِّ بن أبِي طالبٍ فِي الأذانِ رضيَ اللهُ عَنْه. ومِنْها: إنكارُ صَلاةِ التراويح؛ قالَ السرَخْسِيُّ فِي المَبْسُوط: وَالأُمَّةُ أَجْمَعَتْ عَلَى شَرْعِيَّتِهَا وَجَوَازِهَا وَلَمْ يُنْكِرْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إلاّ الرَّوَافِضُ لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ. انْتَهى. ومِنْها: تَرْكُ الجُمُعَةِ والجَماعَة؛ وزَعْمُهُمْ أن لاَ جَماعَةَ إلاّ خلْفَ إمامٍ مَعْصُومٍ؛ فَهَجَرُوا المَساجِدَ وعَمُروا المَشاهِدَ!. ومِنْها: المسْحُ علَى القَدَمَينِ؛ وتَركُ المَسْحِ علَى الخفَّيْن. ومِنها: أنهُمْ يُؤَخِّرُونَ الْفُطُورَ وَالصَّلاةَ إِلَى طُلُوعِ النَّجْمِ. ومِنْها: الجَمْعُ بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ؛ وَيَقْنُتُونَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. ومِنْها: دَعْواهُمْ رَفْعَ وُجُودِ لَيْلَةِ القَدْرِ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ!، حكاه النووي في المجموع.

ومِنْها: أَنَّهُمْ جَوَّزوا نِكاحَ المتْعَةِ. ومَنْها: تَجْوِيزُ الجَمْعِ فَوْقَ أَرْبعِ نِسْوَةٍ إِلَى تِسْعٍ عَمَلاً بِظاهِرِ الآيَةِ! ، زعَمُوا.

ومِنْها: أَنَّهُمْ يُحَرِّمُونَ الْفُقَّاعَ!؛ ويُحَرِّمُونَ ذَبَائِحَ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ وَذَبَائِحَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ؛ لأَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ كُفَّارٌ!. ومِنْها: أَنَّهُمْ: يَقُولُونَ عَلَى الصَّحَابَةِ ﷺ أَقْوالاً عَظِيمَة.

ومِنْها: أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ جَماهِيرَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْخُلَفَاءِ الثَّلاثَةِ وَغَيْرِهِمْ مِن أَعْيانِ المهاجِرِينَ والأَنصار؛ ولا يُوالُونَ مِن الصحابَةِ سِوى نَفَرٍ قَليل!؛ بِضْعَةَ عَشَرَ أو نَحْوِ ذلك، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَنْ سِوَاهُمْ كَافِرٌ! .(554)

---

551) [الأنبياء: 95].

552 [(تفسير القمي: 76/2، وقد وُضع عنوان في أعلى الصفحة لهذا الدليل المزعوم على الرجعة يقول: "أعظم آية دالة على الرجعة" (بحار الأنوار)].

553 () هذا مختصر من كتاب "أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد" للدكتور ناصر القفاري (2/ 861) وللتفصيلِ الطويلِ حولَ هذه العقائد انظره؛ وانظر كتاب "الوشيعة في كشف عقائد الشيعة" لصالح الرقب.

554() (راجع للمزيد: حكم الروافض من الشيعة) لأبي الوليد الغزيّ الأنصاري.





قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله:

سألَ مالك بن مغول الإمام عامر بن شراحيل الشَّعبي: ما ردك عن هؤلاء القوم! وقد كنت فيهم رأسا؟

قال: رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها ثم قال لي: يا مالك؛ لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا أو يملئوا لي بيتي ذهبا أو يحجوا إلى بيتي هذا على أن أكذب على علي رضي الله عنه لفعلوا ولا والله لا أكذب عليه أبدا يا مالك؛ إني قد درست الأهواء فلم أر فيها أحمق من الخشبية فلو كانوا من الطير لكانوا رخما، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمرا يا مالك؛ لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه لله ولا رهبة من الله ولكن مقتا من الله عليهم وبغيا منهم على أهل الإسلام يريدون أن يغمصوا دين الإسلام كما غمص بولص بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية ولا تجاوز صلاتهم آذانهم، قد حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار ونفاهم من البلاد، منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط، وأبو بكر الكروس نفاه إلى الجابية، وحرق منهم قوما أتوه فقالوا أنت هو فقال من أنا؟ فقالوا أنت ربنا! فأمر بنار فاججت فألقوا فيها وفيهم قال علي رضى الله عنه:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا *** اججت ثاري ودعوت قنبرا اهـ.[555]

المطلب الثاني: الروافض تجاه الصحابةِ وأم المؤمنين عائشة.

أولاً: تجاههم نحو الصحابةِ.

تعتقد الشيعة أن الصحابة ﭫ قد ارتدوا عن بكرة أبيهم، بعد وفاة الرسول ﷺ إلا النزر القليل يحصرهم العَدُّ وهم: **المقداد وسلمان وأبو ذرٍ**، وأحسن الشيعة حالاً يقول: الصحابة ارتدوا كلهم إلا اثني عشر صحابيًا فقط.

---

[555]() انظر (منهاج السنة النبوية) (1/الفصل الثاني) ؛ وهذا الكتاب غصة في حلوق الروافض؛ ذلك أنه من أنفس الكتب وأقوى في ردِّ رواياتِ الشيعةِ وأقوالهم ومعتقداتهم؛ فرحم الله شيخ الإسلام رحمةً واسعةً.

وأكثر الرافضة يرى أنهم أقل من ذلك بكثير، لذلك لا يجيزون الترضي عليهم؛ لأنهم –والعياذ بالله– ارتدوا على أعقابهم بعد وفاة النبي ﷺ وبدلوا وصيته وسلبوا عليًا حقه وهموا بقتله وقتل زوجته .[556]ونروي لكَ رواياتهم في ذلك:

–1أسند المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال –وحاشاه أن يقول ذلك–: [كان الناسُ أهلَ ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: "المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم] .[557]

2– عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: [لما قبض النبي ﷺ صار الناس كلهم أهل الجاهلية إلا أربعة: عليٌّ وسلمانُ وأبو ذرٍ والمقداد. فقلت: فعمار؟ فقال عليه السلام: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة] .[558]

3– وفي تفسير القمي عند قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾قالوا: الفحشاء أبو بكر، والمنكر عمر، والبغي عثمان" .[559]

4– ويقولون في كتابهم (مفتاح الجنان): "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وألعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما.. الخ" ويعنون بذلك أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة .[560]

5– قال الرافضي ياسر الحبيب: عن علي بن الحسن قال: قلت له: [أسألك عن أبي بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: فعليهما لعنة الله بلعناته كلها، ماتا والله وهما كافران مشركان بالله].[561]

(مدح محمد الباقر للصحابة!) قال الشيخ سليمان الخراشي —حفظه الله–: يروي محمد الباقر: رواية تنفي النفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ، وتثبت لهم الإيمان ومحبة الله ﷻ كما أوردها

---

556) () الشيعة..عقائد وموائد) لعبدِ الرحمن الزكزكي.

557 () حتى لا ننخدع (ص90–91) نقلاً عن المجلسي في مرآة العقول.

558) () عقائد الشيعة) لعبد الرحمن الشثري (ص104).

559 () انظر (الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة) لصالح الرقب (87/1).

560 () (الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة.(1/87))

561 () الرافضة وأكذوبة محبة النبي (صلى الله عليه وسلم) شريط مسموع.



العياشي والبحراني في تفسيريهما تحت قول الله ﴿ :ﷻإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾:
عن سلام قال: كنت عند أبي جعفر، فدخل عليه حمران بن أعين، فسأله عن أشياء، فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك أطال الله بقاك وأمتعنا بك، إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا، وتسلوا أنفسنا عن الدنيا، وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل، ثم قال أبو جعفر: أما إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق، قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا روعنا، ووجلنا، نسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك، ودخلنا هذه البيوت، وشممنا الأولاد، ورأينا العيال والأهل والمال، يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك، وحتى كأنا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله) :ﷺكلا، هذا من خطوات الشيطان. ليرغبنكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذنبون، فتستغفرون الله لخلق الله خلقًا لكي يذنبوا، ثم يستغفروا، فيغفر الله لهم، إن المؤمن مفتن تواب، أما تسمع لقوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾وقال:﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ. [562] ﴾)

ثانيًا: تجاهُهم نحو أم المؤمنين عائشة.

أولاً: لعنها، فقد ذكرَ المجلسيُّ أن جعفر الصادق –رحمه الله وحاشاه من ذلك-: كانَ يلعن في دبر كلِّ صلاة أربعة من الرجال وأربعة من النساء: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، وعائشة وحفصة وهندًا وأم الحكم –أخت معاوية- .[563]
ثانيًا: التبرؤ منها، فقد نقلَ المجلسي الإجماع عندَ الشيعة على وجوبِ التبرؤ منها، فقد قال: [وعقيدتنا التبرؤ من الأصنام، والتبرؤ من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، وعائشة وحفصة وهندًا وأم الحكم –أخت معاوية-، ومن جميع

562() ["تفسير العياشي" ج1 ص109، و "البرهان" ج1 ص215].
563 () (عين الحياة) للمجلسي (ص599).



أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله في الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بالتبرؤ منهما] .[564]
ثالثًا: ادعائهم عداوة عائشة لعلي بن أبي طالب، فقد صرَّح علماء الشيعةِ [565] أن مقصدَ عائشة من الخروج إلى البصرةِ لم يكن من أجلِ الإصلاحِ، إنما حملها البغض الشديد منها على علي بن أبي طالب، وساقوا في ذلكَ خبرًا –كاذبًا مزوَّرًا- في سندِ القصة (أبو مخنف) وهو مشهورٌ بكذبه وتزويره التاريخ.
وقال الشيخ عبد الرحمن دمشقية: زعموا –الشيعة– أن عائشة أظهرت الشماتة بعلي لما مات حتى قالت هذا البيت شماتة به؛ وهو قولها:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى *** كما قر عينا بالإياب المسافر

واحتجوا بقول الحافظ ابن عبد البر «وروي أن عائشة تمثلت بهذا البيت حين اجتمع الأمر لمعاوية» .[566]

والرافضة لا يتركون مجالا لسوء الظن والطعن في عائشة إلا اقتحموه؛ مع أن هذا البيت من الشعر لا مطعن فيه ولا يعتبر طعنا في علي كما زعموا لو أنه ثبت سندًا. ولك أن تتأمل أولاً كيف رواه الحافظ بصيغة التمريض مما يشعر بضعف الرواية.

ثم إن هذا الشعر قديم يتمثل به العرب عند استقرار الأمر على رجل بعد النزاع أو نحو ذلك. وليس كما زعموا في أنه يعتبر نوعًا من إظهار الشماتة بموت علي رضي الله عنه.

والعرب أيضا تسمي قرار الظاعن "عصا"؛ وقرار الأمر استواء عصاه، فإذا استغنى المسافر عن الظعن قالوا قد ألقى عصاه.

فألقت عصاها واستقرت بها النوى *** كما قر عينا بالإياب المسافر

فإذا اجتمع الناس بعد فرقة وهدأت الأمور بعد فتنة كني عن ذلك باستقرار العصا.

---

564 () (حق اليقين) للمجلسي (ص519).
565 () كما في (الصراط المستقيم) للبيضاني (3/) و (الدرجات الرفيعة) للشيرازي (390)
566 () (التمهيد) (162/19) لابن عبد البر, وسيأتي ذكر البيت.

وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله «يقال للإنسان إذا اطمأن بالمكان واجتمع له أمره قد ألقى بوانيه، وكذلك يقال ألقى أرواقه وألقى عصاه قال الشاعر: فألقت عصاها واستقرت بها النوى...

فهذا البيت صار من جملة الأمثال التي تضرب ويقصد به استقرار الأمر بعد تنازع. والمقصود اجتماع الناس على رجل بعد نزاع بينهم حول ذلك. وليس فيه شماتة بعلي ﷺ بل هو لم يثبت سندا أصلا وإنما يحكى ويروى بصيغة التمريض كما فعل الحافظ بن عبد البر في التمهيد .[567]

رابعًا: لها بابٌ من أبوابِ النار، قد أسند العياشي إلى جعفر الصادق –رحمه الله، وحاشاه مما نسبه الشيعة إليه– أنه قال: في تفسير قوله تعالى حكاية عن النار: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب.. والباب السادس لعسكر.. إلخ" [568]. وعسكر كناية عن عائشة رضي الله عنها، كما زعم ذلك المجلسي .[569]

قلتُ: ولو أردنا استقصاء جميع مذهب الشيعة في "أم المؤمنين عائشة" لشابتْ منه الرؤوس! ، ولكن يكفي ما ذكرناه في بيانِ حقيقةِ "تجاه الروافض إلى عائشة المطهرةَ العفيفة" والله المستعان على ما يقولون.

---

[567] () أحاديث يحتج بها الشيعة .(1/332))

[568] () (تفسير العياشي) (243/2).

[569] () بحار الأنوار (378/4، 220/8).

إِضَاءَةٌ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله:

قال أبو السائب القاضي: كنتُ يومًا بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطرستان، وكان يلبس الصوف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويوجِّه في كل سنَة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام يفرّق على سائر ولد الصحابة، وكان بحضرته رجلٌ فذكَر عائشة بذكرٍ قبيحٍ من الفاحشة، فقال: يا غلام اضرب عنقه، فقال له العلَويون: هذا رجل من شيعتنا، فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ، قال الله تعالى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[570]﴾ فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر، فاضربوا عنقه، فضربوا عنقه، وأنا حاضر، رواه اللالكائي.[571]

إِضَاءَةٌ

عرَضَ النِّفاقُ لعِرضِ أمِّ المؤمنين *** وهي البريئة رَبَّة العِرضِ الحَصين

أخذَ النِّفاقُ بِخِسَّةٍ ودنائةٍ يَرْمي *** الحصانَ بذلك الإفكِ المَبين

أَوَ مثلَ تلك تُلاكُ طهرة عرضها *** ويُنال منها سهم كيد المرجفين!؟

أماه يا أماه لا لا تحزني *** عرضي وعرض أبي وكل الأقربين

جعلتُ فداك فأنتِ عنوان التّقى *** والطهر والإيمان والعقل الرّزين

---

570 () (النور:26)

571 () " الصارم المسلول " (1 / 568).

ولقد رماكي المُرجفونُ بفِريةٍ *** تنبيكِ عن غدرٍ وحقد دفين
آذوا رسول الله ماذا بعدها !؟ *** فليبشروا بالذُّل والخزي المهين
فالله كذَّبهم وأبطل كيدهم *** هذا جزاء الظالمين المعتدين
في سورة النور التي فضحتهم *** ببراءة نزلت لأم المؤمنين
إن جائكم متقوّلٌ بإشاعةٍ *** فتبيَّنوا يا إخوتي حق اليقين

المطلب الثالث: موقفُ أهل السنة والجماعةِ تجاه الروافض؛ والمقارنة بينهم وبين اليهود والنصارى.

أولاً: رأيُ أهل السنة والجماعةِ فيهم.

إنَّ موقفَ أهلِ السنةِ ولجماعةِ كانَ صارمًا تجاه الطاعنينَ في دينِ نبي الأمةِ محمدٍ ﷺ وكانَ حازمًا تجاه الشاتمين في أمهاتِ المؤمنينَ –رضيَ اللهُ عنهن- وكان كاشفًا للمفترينَ على صحابةِ نبيهِ الكرام ﭫ جميعًا، وسأوردُ طرفًا من أقوال أئمتنا وعلمائنا على مدى العصور، فأقولُ بعونِ اللهِ:(572)

قال الإمامُ مالك –رحمه الله–: الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم اسم – أو قال: نصيب في الإسلام .(573)

قال الإمامُ البخاري –رحمه الله–: قال عبد الرحمن بن مهدي: هما ملتان: الجهمية والرافضية .(574)

قال الإمامُ ابن حزمٍ –رحمه الله–: وأما قولهم (يعني النصارى) في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين [يعني: فلا حاجة في كلامهم على المسلمين ولا على كتابهم]،

---

572 مستفيدًا من كتاب (أصول مذهب الشيعةِ) للقفاري.

573] () الخلال/ السنة: 557/2، قال محقق الرسالة: إسناده صحيح.].

574] () خلق أفعال العباد] للبخاري ص125.



إنما هي فرقة حدث أولها بعد موت رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة. وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر .(575)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: ومن اعتقد من المنتسبين إلى العلم أو غيره أن قتال هؤلاء بمنزلة قتال البغاة الخارجين عن الإمام بتأويل سائغ.. فهو غالط جاهل بحقيقة شريعة الإسلام.. لأن هؤلاء خارجون عن نفس شريعة رسول الله ﷺ وسنته شرًا من خروج الحرورية، وليس لهم تأويل سائغ، فإن التأويل السائغ هو الجائز الذي يقر صاحبه عليه إذا لم يكن فيه جواب كتأويل العلماء المتنازعين في موارد الاجتهاد؛ وهؤلاء ليس لهم ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، ولكن لهم تأويل من جنس تأويل اليهود والنصارى، وتأويلهم شر تأويلات أهل الأهواء .(576)

قال العلامةُ الألوسي –صاحب التفسير-: "ذهب معظم علماء ما وراء النهر إلى كفر الاثني عشرية؛ وحكموا بإباحة دمائهم وأموالهم وفروج نسائهم، حيثُ إنّهم يسبُّون الصحابة ﷺ لا سيما الشيخين وهما السمع والبصر منه ﷺ، وينكرون خلافة الصديق، ويقذفون عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مما برأها الله تعالى منه، ويفضلون بأسرهم عليًا كرم الله وجه..على غير أولي العزم من المرسلين، ومنهم من يفضله عليه أيضًا..ويجحدون سلامة القرآن العظيم من الزيادة والنقص" .(577)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- :فمن اتخذ بينه وبين الله وسائط...كحال الرافضة في أئمتها: "ومن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم كفر إجماعًا".. وكذلك قال: "إن من فضَّل الأئمةَ على الأنبياءِ كفر بالإجماع كما نقله غير واحد من أهل العلم" .(578)

قال الإمامُ السمعاني –رحمه الله–: "واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية، لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة، وينكرون إجماعهم وينسبون إلى ما يليق بهم" .(579)

---

[575] () الفصل: 2/213.]

[576] () انظر: الفتاوى 28/486].

[577] () نهج السلامة: ص29، 30 (مخطوط).].

578 () رسالة (نواقض الإسلام) ص283, رسالة في الرد على الرافضة: ص29).

[579] () الأنساب: 6/341].



إِضَاءَةٌ

قال القحطانـي الأندلسي يبين حقيقة الروافض:

لا تَعتقد دين الروافض إنهم *** أهل المحال وشيعة الشيطان
إن الروافض شر من وطئ الحصى *** من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبي وخوَّنوا أصحابه ** ورموهم بالظلمِ والعدوان
حبوا قرابته وسبوا صحبه *** جدلان عند الله منتقضان
فكأنما آل النبي وصحبه *** روحٌ يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد *** بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى *** وهما بدين الله قائمتان

وقال في موضع آخر من "النونية:"

والعن زنادقة الروافض إنهم *** أعناقهم غلت إلى الأذقان
جحدوا الشرائع والنبوة واقتدوا *** بفساد ملة صاحب الايوان
لا تركنن إلى الروافض إنهم *** شتموا الصحابة دون ما برهان
لُعنوا كما بغضوا صحابة أحمد *** وودادهم فرض على الإنسان
حب الصحابة والقرابة سنة *** ألقى بها ربي إذا أحياني
احذر عقاب الله وارجَ ثوابه *** حتى تكون كمن له قلبانِ

ثانيًا: المقارنة بين الشيعةُ واليهود والنصارى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وآية ذلك أن محنة الشيعة الإثنى عشرية محنة اليهود، وهاكَ بيان ذلك:

- قالتِ اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الشيعة الإثنى عشرية: لا تصلح الإمامة إلاَّ في ولد علي.
- قالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل السيف، وقالت الشيعة الإثنى عشرية: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء.

- واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الشيعة الإثنى عشرية يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم؛ والحديث: (لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم.)
- واليهود تزول عن القبلة شيئًا؛ وكذلك الرافضة.
- واليهود تنود في الصلاة وكذلك الرافضة؛ واليهود تسدل أثوابها في الصلاة وكذلك الرافضة.
- واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرافضة.
- واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.
- واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الرافضة.
- واليهود لا يخلصون السلام على لمؤمنين إنما يقولون السام عليكم والسام الموت وكذلك الرافضة.
- واليهود لا يأكلون الجري والمرماهى والذناب وكذلك الرافضة.
- واليهود لا يرون المسح على الخفين وكذلك الرافضة.
- واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة؛ وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ وكذلك الرافضة.
- واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة.
- واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرارا شبه الركوع وكذلك الرافضة.
- واليهود تبغض جبريل ويقولون هو عدونا من الملائكة وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد صلى الله عليه و سلم.
- وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة النصارى ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة.
- وفُضِّلت اليهود والنصارى على الشيعة الإثنى عشرية بخصْلتين: سُئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى: من خير أهل ملَّتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الشيعة الإثنى عشرية: من شر أهل ملَّتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ؛ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع

لهم كلمة ولا تجاب لهم دعوة دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله اهـ .[580]

580() انظر (منهاج السنة النبوية) (1/الفصل الثاني) وفيه نسبةُ بعض المقارنة إلى عامر الشعبي؛ وانظر (الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة) (98/1).



الفصلُ التاسعُ
في (إبطال أبرز الشبهات الزائفة والأخبارِ الباطلة في أم المؤمنين عائشة).

وفيه تمهيدٌ ومطلبان:

(تمهيدٌ)

أولاً: اعلمْ إنَّ أهل القلوب المريضة، والعقول السقيمة، والعقائد الباطلة، لتعدّ أن منهج "الكذب على التاريخ وتزويره" مصدرًا أساسيًا لترويج الافتراءات والاختراعاتْ، فلجأ الشيعة لانتهاجِ هذا المنهجْ، فبدؤوا بالتدليسِ والمطاعنِ! وقد رتبتُ في فصلنا هذا "مطاعن الشيعة على أم المؤمنينِ" شبهةً شبهةً فمن ثمَّ ردّها وتفنيدها بالحجة والبرهان، وأفضل من كتب في ذلك وقد استفدنا منه في بحثنا كتاب "الصاعقة في نسف أباطيل وافتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة" للدكتور عبد القادر محمد صوفي، و (شبهات حول أم المؤمنين عائشة) لشيخ الإسلام بن تيمية؛ بجمع: محمد مال الله، وبعضِ المقالاتِ النافعة كـ "دفع الشبه والافتراءات على السيدة عائشة" لعبد الرحمن الطموخي، ومقال "الرد على أباطيل ياسر الخبيث في حقِّ أم المؤمنين" لمرشد الحيالي، وغيرها من الكتب.

ثانيًا: قال الإمام ابن القيم: قال لي شيخُ الإسلام ﵁ وقد جعلتُ أُورِدُ عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعلْ قلبَك للإيرادات والشُّبهات مثل السفنجة فيتشربَها، فلا ينضح إلا بِها، ولكنِ اجعلْه كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشبهات بظاهرِها ولاَ تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعُها بصلابته، وإلاَّ فإذا أشْرَبْتَ قلبَك كُلَّ شُبهةٍ تمرُّ عليها، صارَ مُقرًّا للشُّبهات، أو كما قال.

قالَ: وإنما سُمِّيَت الشبهة شبهةً؛ لاشتباه الحقّ بالباطل فيها؛ فإنَّها تَلْبَس ثوبَ الحقّ على جِسم الباطِل، وأكثرُ الناس أصحاب حُسنٍ ظاهر، فينظر الناظر فيما أُلْبِسَتْهُ من اللباس، فيعتقد صِحَّتَها.



وأمَّا صاحبُ العِلم واليقين، فإنَّه لا يغترُّ بذلك، بل يجاوزُ نظرَه إلى باطنها، وما تحتَ لباسِها، فينكشف له حقيقَتُها، ومثال هذا: الدرهم الزائف، فإنَّه يغترُّ به الجاهل بالنقْد؛ نظرًا لِمَا عليه مِن لباس الفضَّة، والناقد البصير يجاوزُ نظرَه إلى ما وراء ذلك، فيطَّلعُ على زَيفه". انتهى .[581]

ثالثًا: اعْلم - أخي الكريم - أنَّ الروافضَ -قبَّحهم الله- أكثروا الطعْنَ في أُمِّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بأمورٍ ظنُّوها حقائقَ، واعلمْ أنهم أكثرُ الفرق كذبًا وتدليسًا فيهِ:

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: وقد اتَّفقَ أهْلُ العلم بالنقْل والرواية والإسناد على أنَّ الرافضة أكذبُ الطوائف، والكَذب فيهم قديمٌ؛ ولهذا كان أئمةُ الإسلام يعلمون امتيازَهم بكثرة الكَذب.

وقال الشافعي: لم أرَ أحدًا أشْهَدَ بالزور من الرافضة.

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعتُ شُرَيْكًا يقول: احْمِلِ العلمَ عن كلّ مَن لقِيتَ إلاَّ الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديثَ، ويتَّخِذونه دِينًا .[582]

المطلب الأول (ذكرِ الشُّبهات الباطلة في أمِّ المؤمنين عائشةَ وتفنيدها بالدَّلِيلِ والبرهانِ).

الشبهة الأولى: (ادِّعاء كبر سنِّ عائشة عندَ زواجها).

اِدِّعى بعض الكتاب أنَّ العمر الحقيقي للسيدة عائشة - رضي الله عنها- حين بَنَى بها رسول الله ﷺ كان ثماني عشرة سنة، وليس تسع سنين، واتَّهمها بعدم رشادها ورجَاحة عَقْلِها آنذاك، فكيف يكون لها زواج؟!

والجواب عن ذلكَ أن يقال: جاءت الأحاديث الصحيحة بأنَّ النبي ﷺ عقدَ على عائشة -رضي الله عنها- وهي بنت ستِّ سنين، ودخَلَ بها وهي بنت تسعِ سنين، ومن ذلك :[583]

---

[581] () من مفتاح دار السعادة (140/1).
[582] () (منهاج السنة) (59/1).
[583] (وقدْ سبقتْ في (المطلب الرابع) (فصل في "زواجها").

* عن عائشة -رضي الله عنها- قالتْ: "تزوَّجني النبي ﷺ وأنا بنتُ ستِّ سنين، فقَدِمْنا المدينة، فنزَلْنا في بني الحارث بن خزرج، فوُعِكْتُ؛ أي: أصابتْها حُمَّى، فأتتْني أمِّي أمُّ رُومان وإنِّي لفي أرجوحة ومعي صواحبُ لي، فصَرَخَتْ بي فأتيتُها لا أدري ما تريد بي، فأخذتْ بيدي حتى أوقفتْني على باب الدار وإني لأنْهَجُ حتى سَكَنَ بعضُ نفسي، ثم أخذتْ شيئًا من ماءٍ فمسحتْ به وجْهي ورأسي، ثم أدْخَلَتْني الدارَ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقُلْنَ: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسْلَمَتْني إليهنَّ، فأصْلَحْنَ مِن شأني، فلم يَرُعْنِي إلاَّ رسولُ الله ﷺ ضحًى، فأسْلَمَتْني إليه - وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين" .(584)

فهذا الحديثُ صريحٌ في بيانِ سنِّها الحقيقي عند خطبتها وعندَ زواجها، وجاءَ في الخبر حديثٌ يفهمُ منه فهمًا ضمنيًا؛ والقاعدةُ في الأصول: أن المفهومَ الضمني بمنزلةِ المنطوق لفظًا-.

* وعن عائشة -رضي الله عنها- قالتْ: "كنتُ ألعبُ بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحبُ يَلْعَبْنَ معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخَلَ يَتَقَمَّعْنَ؛ أي: يَتَخَفَّيْنَ منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إليّ، فيْلَعَبْنَ معي" .(585)

* وروى أبو داود عنها قالتْ: قَدِمَ رسول الله ﷺ من غزوة "تبوك أو خيبر"، وفي سَهْوَتها سِتْرٌ، فهبَّتْ ريحٌ فكشفتْ ناحيةَ السِّتْر عن بنات -لعائشة- لُعَبٍ، فقال: (ما هذا يا عائشة؟) قالتْ: بناتي، ورأى بينهُنَّ فَرَسًا له جَناحان مِن رِقَاع، فقال: (ما هذا الذي أرى وسطهُنَّ؟) قالتْ: فَرَس، قال: (وما هذا الذي عليه؟) قالتْ: جَناحان، قال: (فرس له جناحان؟) قالتْ: أما سمعتَ أنَّ لسليمان خَيْلاً لها أجْنِحة؟ قالتْ: فضَحِك حتى رأيتُ نواجِذَه) .(586)

584 ()أخرجه البخاري (3894) ، ومسلم (1422).
585 ()أخرجه البخاري (7130) ، ومسلم (2440).
586() (سنن أبي داود) (4932) وصحَّحه الألباني في "آداب الزفاف"، (ص203).



قال النووي –رحمه الله-: "المرادُ هذه اللُّعَب المسمَّاة بالبنات -العرائس- التي تلعبُ بها الجواري الصِّغار، ومعناه التنبيه على صِغَر سنِّها" [587]. انتهى.

وقد نقَل ابنُ كثير -رحمه الله- أنَّ هذا أمرٌ مُتَّفقٌ عليه بين العلماء، ولم يُذكرْ عن أحدٍ منهم خلافُه، فقال رحمه الله: قوله: (تزوَّجَها وهي ابنة ست سنين، وبَنَى بها وهي ابنة تسع)، مما لا خِلافَ فيه بين الناس؛ وقد ثبتَ في الصِّحاح وغيرها: وكان بناؤه بها في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة" [588].

ومن المعلوم أنَّ الإجماع معصومٌ من الخطأ؛ فإنَّ الأُمَّة لا تجتمعُ على ضَلالة؛ فقد روى الترمذي عن ابنِ عُمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: (إنَّ اللهَ لا يجْمعُ أُمَّتِي على ضَلالة.[589])

أما مسألة صِغَر سنِّها - رضي الله عنها - واستشكالك لهذا، فاعْلم أنَّ النبي ﷺ نشأ في بلاد حارَّة -وهي أرض الجزيرة- وغالبُ البلاد الحارَّة يكون فيها البلوغ مُبكِّرًا، ويكونُ الزواج المبكِّر، وهكذا كانُ الناس في أرض الجزيرة إلى عهْد قريبٍ، كما أنَّ النساء يَخْتَلِفْنَ؛ من حيث البِنْيَة والاستعداد الجِسْمي لهذا الأمر، وبينهُنَّ تفاوتٌ كبيرٌ في ذلك.

الشبهة الثانيةُ: (نبح الكلاب عند ماء الحوأب).

مرَّ جيش عائشةَ في مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟ قالوا الحوأب، فضربت باحدى يديها على الاخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: (ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب) ثم ضربت عضُدَ بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني ردوني، أنا والله صاحبةُ ماء الحوأب، فأناخ الناس حولها يوما وليلة. قال لها عبد الله بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب .[590]

---

587 () (شرح النووي على مسلم) (5/ 130).

588 () انتهى من "البداية والنهاية"، (3 /161).

589 () (سنن الترمذي) ((2167وصحَّحه الألباني في "صحيح الجامع"، (1848), وقد صحح بعضهم وقفه على ابن مسعود.

590 () (البداية والنهاية) (7/ 258).



قال الألباني: إسنادُه صحيح جدًّا، صحَّحه خمسة من كبار أئمة الحديث هم: ابن حِبَّان، والحاكم، والذهبي، وابن كَثير، وابن حَجر .[591]

قال الذهبي - رحمه الله -: "ولا ريبَ أنَّ عائشة نَدِمتْ ندامةً كليَّةً على مَسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم "الجَمَل"، وما ظنَّتْ أنَّ الأمرَ يبلغُ ما بلَغَ" .[592]

ولا أبسطَ ردًا مما قاله الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: ليس كلُّ ما يقعُ مِن الكُمَّل يكون لائقًا بهم؛ إذ المعصوم من عصَمَه الله، والسنيُّ لا ينبغي له أنْ يغالي فيمن يحترمُه؛ حتى يرفعه إلى مصافِّ الأئمة الشيعة المعصومين عندهم، ولا نشكُّ أنَّ خروجَ أمِّ المؤمنين كان خطأً مِن أصْله، ولذلك همَّتْ بالرجوع حين عَلِمتْ بتحقُّق نبوءة النَّبيِّ ﷺ عند "الحَوْأب"، لكنَّ الزبير ﷺ أقْنَعَها بترْك الرجوع بقولِه: "عسى الله أنْ يُصْلحَ بكِ النَّاس"، ولا نشكُّ أنَّه كان مُخْطِئًا في ذلك أيضًا، والعقْلُ يقطع بأنَّه لا مَناصَ مِن القول بتخْطِئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللَّتين وقَعَ فيهما مئات القَتْلَى، ولا شكَّ أنَّ عائشةَ - رضي الله عنها - هي المخْطِئة لأسبابٍ كثيرةٍ، وأدلَّةٍ واضحةٍ؛ منها: نَدَمُها على خروجِها، وذلك هو اللائق بفضْلِها وكمالِها، وذلك مما يدلُّ على أنَّ خطأها مِن الخطأ المغفور، بل المأجور .[593]

* على أنه قال بعضُ أهلِ العلمِ: جاء ابن الزبير بخمسين رجلا شهدوا عند عائشة هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت هذه أول شهادة زور شهد بها في الإسلام؛ فالله أعلم!...

الشبهةُ الثالثةُ: (اهتمام المسلمين بذكر عائشةَ وتركِ خديجة!).

---

591 () (سلسلة الأحاديث الصحيحة) رقم (474).
592 () (سِيَر أعلام النبلاء) (2/ 177).
593 () (السلسلة الصحيحة) حديث رقم (474).



قال الرافضي: وأعظموا أمر عائشة على باقي نسائه، مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خُوَيلد، وقالت له عائشة: إنك تكثر من ذكرها، وقد أبدلك الله خيرًا منها. فقال: والله ما بُدِّلتُ بها ما هو خير منها، صدقتني إذ كذَبني الناس، وآوتني إذ طردتني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله الولد منها، ولم أرزق من غيرها.

والجواب عن ذلكَ أن يقال:

قال الإمام الآجُرِي محمد بن الحسين –رحمه الله–: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن عائشة رضي الله عنها وجميع أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، فضَّلَهُن الله ﷻ برسوله ﷺ، أولهن خديجة رضي الله عنها وقد ذكرنا فضلها، وبعدها عائشة رضي الله عنها شرفها عظيم، وخطرها جليل.

فإن قال قائل: فلم صار الشيوخ يذكرون فضائل عائشة دون سائر أزواج النبي ﷺ ممن كان بعدها، أعني: بعد خديجة وبعد عائشة رضي الله عنها؟

قيل له: لما أن حسدها قوم من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ فرموها بما قد برأها الله تعالى منه وأنزل فيه القرآن وأكذب فيه من رماها بباطله، فسر الله الكريم به رسوله ﷺ، وأقر به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين المنافقين، عند ذلك عُني العلماء بذكر فضائلها **رضي الله عنها** زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة. روي أنه قيل لعائشة رحمها الله: أن رجلاً قال: (إنك لست له بأم فقالت: صدق أنا أم المؤمنين، ولست بأم المنافقين) وبلغني عن بعض الفقهاء من المتقدمين أنه سئل عن رجلين حلفا بالطلاق، حلف أحدهما أن عائشة أمه، وحلف الآخر أنها ليست بأمه فقال: كلاهما لم يحنث. فقيل له: كيف هذا؟. لا بد من أن يحنث أحدهما فقال: إن الذي حلف أنها أمه هو مؤمن لم يحنث، والذي حلف إنها ليست أمه هو منافق لم يحنث. قال محمد بن الحسين رحمه الله: فنعوذ بالله ممن يشنأ عائشة حبيبة رسول الله ﷺ الطيبة المبرأة الصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها خليفة رسول الله ﷺ.(594)

الشبهة الرابعة:)اتِّهَامُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ بِالْكُفْرِ.(

ذهبَ الشيعةُ إلى أنَّ أم المؤمنين عائشة وحفصةَ –رضي الله عنهما– كافرتينِ لأسبابٍ: قوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَ(595) ﴾:

---

(594) (كتاب الشريعة) (5/ 81).
(595) [التحريم: 4].



وفي قراءة الشيعة (فقد زاغت) وفسَّروا الزيغ بالكفرِ! [596]؛ وهذا كله بناءًا على ما أخفيَاه من السرِ الذي أسرَّ في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ[597]﴾؛ والصَّحِيح أن سبب النزول إما (تحريمُ النبي مارية القبطية) وإما (تحريم العسل على نفسه) في قصة "المغافير" المشهورة في الصحيحينِ، فكانَ ذاكَ سبب النزول، وقالتِ الروافض: إن السرَّ هو قوله –عليه الصلاة والسلام- لحفصة: إن أباك وأبا بكر يليان الخلافة من بعدي، وقوله لعائشة: إن الله أطلعني أن الوصي هو علي، وطلب مني أن أخبر الناس بذلك، ثم تآمرتا فوضعتا السم للنبي –عياذا بالله-. وهذا كذب صريح من الروافض لا مستندَ له من قريب ولا من بعيدٍ، بل قد أبطله الإمام البياضي –أحد علماء الشيعة-، وعلى قولِ أنهما أخطأ فإنَّهما قد دُعيا إلى التوبةِ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَ﴾ وقال شيخ الإسلام: فلا يُظنُّ أنهما لم يتوبا، مع ما ثبت من علو درجتهما، وأنهما زوجة النبي في الجنةِ. [598]

الشبهة الخامسةُ:)اتِّهَامُ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ بِوضعِ السمِّ للنبيّ.(

قالتِ الرافضةُ: إنَّ عائشة وحَفْصة تآمَرَتا؛ لاغتيال النبيّ ﷺ فقد وضَعَتا السُّمَّ في فَمِ النبي ﷺ وأنَّه ماتَ نتيجةً لذلَك! والجوابُ عن ذلكَ أن يقال فرعين:

أولاً: نصُّ الروايةِ:

* عن عَائِشَة قالتْ: لَدَدْنا رسول الله ﷺ في مَرضه، وجعَلَ يُشير إلينا: (لا تَلُدُّوني) قالت: فقلْنا: كراهية المريض بالدواء، فلمَّا أفاقَ، قال: (ألَمْ أنْهَكم أن تَلُدُّوني) قُلنا: كراهيةً للدواء،

---

[596] ()(فصل الخطابِ) للطبرسي (313)

[597]) [التحريم: 3].

[598]) (منهاج السنة) (314/4)؛ وإذا أردت أخي القارئ الاستزادة مما ذكرت الروافض والرد عليهم في هذه المسألة بتوسّع فانظر كتاب (الصاعقة في نسف أكاذيب وافتراء الشيعة على أم المؤمنين عائشة (ص 60 إلى 66).

فقال رسول الله) :ﷺلا يَبقى منكم أحدٌ إلاَّ لُدَّ وأنا أنظر إلاَّ العبَّاس؛ فإنَّه لم يشهدْكم.[599](

* وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أسماء بنت عُميس، قالتْ: "أوَّل ما اشْتَكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاشتدَّ مرضُه؛ حتى أُغْمِي عليه، فتشاوَرَ نساؤه في لَدِّه، فلَدُّوه، فلمَّا أفاقَ، قال: (ما هذا؟) ، فقُلْنا: هذا فِعْل نساءٍ جِئْنَ مِن ها هنا، وأشار إلى أرض الحبشة، وكانتْ أسماء بنت عُميس فيهنَّ، قالوا: كنا نتَّهِمُ فيك ذاتَ الْجَنْب يا رسول الله [600]، قال: «إنَّ ذلك لداءٌ ما كان الله ﷻ ليَقْرِفُني به؛ لا يَبْقَيَنَّ في هذا البيت أحدٌ إلاَّ الْتَدَّ [601]، إلاَّ عَمُّ رسول الله ﷺ يَعنى: العبَّاس) قال: فلقد الْتَدَّتْ ميمونة يومئذٍ وإنَّها لصائمةٌ، لعَزْمَة رسول الله ﷺ؛ .[603] .[602]

ثانيًا: الإجابةُ عن الشبهةِ بذكر معنى الروايةِ وما جاءَ فيها:

1- إنَّ مَن نقَلَ هذه الحادثة للعالَم هو عائشة -رضي الله عنها- فكيف تنقل للناس قتْلَها لنبيّها، وزوجها، وحبيبها ﷺ؟

2- كيف عَرَف الرافضة مكوّنات الدواء الذي وضعَتْه عائشة للنبي ﷺ؟!

3- النبي ﷺ أمرَ بأنْ يُوضَعَ الدواء نفسُه في فمِ كلّ مَن كان في الغُرفة، إلاَّ العبَّاس رضي الله عنه فلماذا ماتَ هو ﷺ منه، وهنَّ لم يَمُتْنَ؟!

4- لماذا لم يُخْبر النبي ﷺ عمَّه العباس رضي الله عنه بما فعَلوه مِن وضْع السُّمِّ في فمه ﷺ حتى يقتصَّ ممن قَتَلَه؟ إذا قُلْتُم أخبرَه: فأين الدَّليل على إخباره؟ وإنْ قُلتُم: لم يخبرْه، فكيف عَلِمتُم أنَّه سمٌّ وليس دواءً، والعباس نفسُه لم يعلم؟

599() أخرجه البخاري (4458) ومسلم (5891).

600 () ذات الجَنْب: ورمٌ حارٌّ يَعْرِضُ في نواحى الجَنْب في الغِشاء الْمُستبطِن للأضلاع، ويَلزم ذاتَ الْجَنْب الحقيقى خمسةُ أعراض، وهى: الحُمَّى، والسُّعَال، والوَجَع الناخِس، وضِيق النَّفَس، والنبضُ الْمِنْشَاري.

601 () اللَّدُود: هو الدواء الذي يُصبُّ في أحَدِ جانبي فمِ المريض، أو يُدْخَلُ فيه بأصبع وغيرها ويحنَّك به، وأمَّا الوُجُور: فهو إدخالُ الدواء في وسط الفم.

602 () رواه أحمد (45/ 460) ، وصحَّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (3339).

603 () يُنظر: "زاد المعاد في هَدي خير العباد"، (4 / 81 - 83).



5- السُّمِ الذي وضعتْه اليهوديَّة في الطعام الذي قُدِّم للنبي ﷺ كُشِفَ أمرُه من الله تعالى، وأخبرتِ الشاةُ النبيَّ ﷺ أنَّها مسمومةٌ، فلماذا لم يحصلْ معه ﷺ الأمرُ نفسُه في السُّمِّ الذي وضعتْه عائشة في فمه؟!

6- لا ننكر أنْ يكونَ النبي ﷺ ماتَ بأثَرِ السُّم! لكن أيُّ سُمِّ هذا؟ إنَّه السُّم الذي وضعتْه اليهوديَّة للنبيّ ﷺ في طعام دَعَتْه لأكْله عندها، وقد لفَظَ ﷺ اللُّقمة؛ لإخبار الله تعالى بوجود السُّم في الطعام، فأخبرَ النبي ﷺ في آخر أيَّامه أنَّه يجدُ أثَرَ تلك اللُّقمة على بَدَنه .[604]

ومِن هنا قال مَن قال مِن سَلف هذه الأُمة: إنَّ الله تعالى جمَعَ له بين النبوَّة والشهادة.

* والعجيبُ أنَّ بعضَ الرافضة يُنكرون هذه الرواية، ويبرّئون اليهود من تلك الفَعْلة الدنيئَة؛ مع تواتُر الرواية، وصحَّة أسانيدها، فاعجبْ لهذا الكذبِ الصريح.

7- من الواضح في الرواية أنَّ نساءَ النبيِ ﷺ فَهموا نهيَ النبيّ ﷺ أنَّه من كراهية المريض للدواء، وفَهْمُهم هذا ليس بمستنكر في الظاهر، وقد صرَّحوا بأنهم -وإنْ لم يكنْ لهم عذرٌ عند النبي، ﷺ؛ لأنَّ الأصلَ هو الاستجابة لأمره ﷺ- قد أخطؤوا في تشخيص دَائه ﷺ لذا فقد ناوَلوه دواءً لا يُناسب عِلَّته.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وإنَّما أنْكَرَ التداوي؛ لأنَّه كان غيرَ ملائمٍ لدائه؛ لأنهم ظنُّوا أنَّ به "ذات الْجَنْب"، فداووه بما يلائمها، ولم يكنْ به ذلك؛ كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى" .[605]

8- الظاهرُ أنَّ ما فعَلَه ﷺ مِن إلزامهم بتناول ذلك اللَّدُود أنَّه من باب التأديب، ومما يدلُّ على أنَّه ليس مِن باب القِصاص، أنَّه لم يُلزمْهم بالكميَّة؛ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

---

604 () انظر (صحيح البخاري) (4428).

605() (فتح الباري) (8 / 147- 148).

"والذي يظهرُ أنَّه أرادَ بذلك تأديبهم؛ لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديبًا، لا قِصاصًا، ولا انتقامًا" .[606]

9- الاشتباه بنوع مَرضه ﷺ محتملٌ؛ لأنَّ كلاً منهما -أي ما كان فيه ﷺ مِن مرضٍ- وما ظنُّوه - له الاسم نفسه؛ فكلاهما يُطلق عليه: "ذات الْجَنْب"، وكلاهما له مكان الألم نفسه، وهو "الْجَنْب" .[607]

قال الشيخ إحسان إلهي ظهير: ومنكر أمه –أي عائشة أم المؤمنين أم علي بن أبي طالب– وشاتمها، ولاعنها ومكفرها، ماذا تقولون فيه؟

وإليك قصة بديعة لم يكن أن يختلقها إلا مثل المجلسي الأفاك الكذاب الأثيم بعبارته والترجمة، فيقول:

إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق (ع) أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما [يا رباه! إلى متى هؤلاء يأكلون أجساد الأتقياء البررة، وإلى متى تمهلهم من شديد عذابك، وبطشك؟] قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه" .[608]

هذه خرافة واحدة من الكثيرة الكثيرة التي كتب القوم منها مليئة، ولا يخلوا كتاب من كتبهم إلا وفيه ما ذكرناه من شتم صريح وسب قبيح، وتفسيق باهر وكفر ظاهر للخلفاء الراشدين الثلاثة وأمهات المؤمنين [ولقد كذب القمي مفسرهم أن الآية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت في عائشة [609]، والأكاذيب كهذه والهفوات ما أكثرها] رضوان الله عليهم أجمعين .[610]

الشبهةُ السادسةُ: (مخالفةُ عائشة لأمرِ الله تعالى الصريح!).

قالوا: خرجتْ عائشةُ –رضي الله عنها- لقتالِ علي بن أبي طالبٍ، وخالفتْ أمرَ الله تعالى في سورة الأحزاب ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى....﴾

والجوابُ عن ذلكَ أن يقال: إنَّ عائشةَ –رضي الله عنها- لم تتبرَّجْ تبرُّجَ الجاهلية الأولى، والأمرُ بالقَرار في البيوت لا

606() (فتح الباري) (8 / 147).

607() انظر لمزيدٍ من التفصيلِ (رد الشبه والافتراءات عن السيدة عائشة) لعبدِ الرحمن الطموخي.

608 ()[حياة القلوب للمجلسي ج2 ص700 ط جديد طهران].

609 ()(تفسير القمي) (ج2 ص319)

610 () (الشيعة وآل البيت) (211/1).

يُنافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجتْ للحج والعُمرة، أو خرجتْ مع زوجها في سَفْرَة، فإنَّ هذه الآية قد نزلتْ في حياة النبي ﷺ وقد سافرَ بهنَّ رسولُ الله ﷺ بعد ذلك، كما سافرَ في حَجة الوداع بعائشة -رضي الله عنها- وغيرها، وعائشةُ رضي الله إنما خرجتْ لقصدِ الإصلاح بينَ النَّاسِ، فلا أعظمَ من الإصلاحِ في دينِ الله.

الشبهة السابعة: (إكراهُ الزبير بن العوام إلى الخروجِ إلى المعركة).

قالَ ذلكَ بعضهم لما حصل في "بئر حوأب" وجوابُ ذلكَ واضحٌ في بحثنا هذا في أول معركةِ الجمل إذ حاصِله:
أنَّ السيدة أم المؤمنين عائشة قامت بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي عَلِمتْ فيها بمقْتِله ﷺ وقبل أنْ يصِلَ الزبير وطلحة وغيرُهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنَّه قد رُوي أنَّها لَمَّا انصرفتْ راجعةً إلى مكة، أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي، فقال: "ما ردَّكَ يا أُمَّ المؤمنين؟ قالتْ: ردَّني أنَّ عثمان قُتِل مظلومًا، وأنَّ الأمرَ لا يستقيمُ ولهذه الغوغاء أمرٌ، فاطلبوا دمَ عثمان تعزُّوا الإسلامَ، فكان عبد الله بن الزبير أوَّلَ مَن أجابَها" .[611]

الشبهة الثامنة: (منع عائشة الحسن من دفنه جانب جده!).

إنَّ من عادة الشيعة عند اختراعهم للأكاذيب، واختلاقهم للإفْك أنْ يجعَلوا مع الكلمات الكاذبة كلمةً واحدة صادقة؛ كي يُوهموا السُّذَّج بإنَّ ما اخترعوه ثابتٌ، وما اختلقوه صادقٌ.

* وهذه طريقة مَرَدة الجِنّ مِن مُسترقي السمع، وأوليائهم من شياطين الإنس، يجعلون مع الكلمة الصادقة مائةَ كذبة؛ فقصة موت الحسن بن علي واستئذان أخيه الحسين من عائشة بأنْ يُدْفَنَ عند جَدّه ثابتة في كُتب السُّنَّة، أما ممانعة الصِّدِّيقة، وركوبها على بغْل، وخروجها إلى الناس، فكل ذلك من التُّرَّهات والأكاذيب، فلم تكنْ أمُّ المؤمنين عائشة -رضي

611 () كما في (تاريخ الطبري) (5/ 475). نقلاً عن (دفعِ الشبهِ والافتراءات). وراجع ما ذكرناه.



الله عنها- تمانِعُ من دَفْنِ الحسن بن علي ﷺ ا عند جَدِّه ﷺ بل لقد وافقَتْ على ذلك، وقالتْ لأخيه الحسين ﷺ لَمَّا استأذَنَها في دَفْنِ الحسن: "نَعَم، وكَرامة عين"؛ كما روى ذلك ابنُ عبد البر من طُرق مُتعددة .[612]

ولكنَّ الذي منَعَ من دَفْنِ الحسن عند جَدِّه رسول الله ﷺ هو مروان بن الحَكَم الذي أقبَلَ لَمَّا بلَغَه ذلك، وقال: "كذبتَ، والله لا يُدْفَن هناك أبدًا، منعوا عثمان مِن دَفْنه بالمقبرة، ويريدون دَفْن الحسن في بيت عائشة؟" .[613]

الشبهة التاسعة: (بينَ عائشةَ رضيَ الله عنها وعليِّ بن أبي طالب).

سبقَ ذكرُ طرفٍ من ذلكَ بتوسّعٍ في فصلنا في آخرِ (معركة الجمل).

كانتْ -رضي الله عنها- تتذكَّرُ أحداثَ "الجَمَل" وتبكي؛ فقد أخرَجَ الطبري عن عبد الرحمن بن جُنْدَب عن أبيه عن جَدِّه: "كان عمرو بن الأشرف قد أخَذَ بخُطام الجَمَل، لا يدنو منه أحدٌ إلا خبطه بسيفه، إذا أقْبَلَ الحارث بن زهير الأزدي وهو يقول يَعني (عمرو بن الأشرف):

يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمٍّ نَعْلَمُ
أَمَا تَرَيْنَ كَمْ شُجَاعٍ يُكْلَمُ
وَتُخْتَلَى هَامَتُهُ وَالْمِعْصَمُ

فاختلفا ضرْبتين، فرأيتهما يفْحَصان الأرض بأرْجُلهما حتى ماتا، فدخلتُ على عائشة -رضي الله عنها- بالمدينة، فقالتْ: مَن أنت؟ قلتُ: رجلٌ من الأزد، أسْكُن الكوفة، قالتْ: أشَهدْتَنا يومَ الجَمَل؟ قلتُ: نعم، قالتْ: ألَنَا أم عَلينا؟! قلتُ: بل عليكم؟ قالتْ: أتعرفُ الذي يقول:

يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمٍّ نَعْلَمُ

---

612 () انظر (الاستعاب لابن عبد البر) (1/ 376 -378) و (سِيَر أعلام النبلاء للذهبي (3/ 275 - 279).

613 () انظر (الصاعقة في نسْفِ أباطيل وافتراءات الشيعة على أُمِّ المؤمنين عائشة) (ص 141-142).

قلتُ: نعم! ذاك ابنُ عمِّي، فبكتْ؛ حتى ظننْتُ أنَّها لا تَسْكُت [614].

* أمَّا ما زَعَمَ الروافض –هداهم الله- من استمرار عَداوة عائشة -رضي الله عنها- لعَلِي، وعدم توْبَتها، واستدلاهم على ذلك بالكَذب والأباطيل وحكايات مَكْذوبة، فزعمٌ باطلٌ؛ لأنَّ كلَّ الأدلة التي استدلُّوا بها على استمرار العَدواة بين عائشة وعَلِي هم رُواتُها، ومعلوم أنَّ رواية المبْتَدِع لا تُقْبَل إذا رَوى ما يُوافق بِدْعَته، وما نسبوه إلى الطبري، فضعيفٌ، ورُوِي بصيغة التمريض.

* ويَرُدُّ هذا الزعم أيضًا ما ثبَتَ عن أمير المؤمنين عَلِي ﷺ من أنَّه أقرَّ عائشة على قولها إثْرَ معركة الجَمَل: "والله ما كان بيني وبين عَلِي في القديم، إلاَّ ما يكون بين المرأة وأحمائها" فقال علي ﷺ: "صدقت والله وبَرَّتْ، ما كان بيني وبينها إلاَّ ذلك".

1- إنَّ عائشة -رضي الله عنها- كانتْ علاقتُها بعَلِي علاقة طيّبة فيها البرُّ والوفاء؛ إذ هي التي رَوت حديث الكِساء في فضْل عَلِي وفاطمة، والحسن والحسين، والحديث أخرجَه مسلم.

2- وأخبرتْ عن مَحبَّة رسول الله ﷺ للحسن بن علي ﷺ والحديث أخرجَه مسلم.

3- وكانتْ كثيرًا ما تُحيلُ السائل على عَلِي ليجيبَه، فقد أحالتْ "شُريح بن هانئ" -لَمَّا سألَها عن المسح على الخُفَّين- على عَلِي، وقالتْ له: "عليك بابن أبي طالب فسَلْه؛ فإنَّه كان يُسافر مع رسول الله ﷺ"؛ رواه مسلم.

4- ولقد طلبتْ من الناس بعد مَقْتل عثمان أنْ يلزموا عليًّا ويبايعوه، وبعضُ الشيعة يعترف بذلك [615].

---

614 () (تاريخ الطبري) (5/ 211).

615 () انظر (فتح الباري) (13/ 29 - 48) ، وكتاب (الجمل) لمؤلِّفه الشيعي المفيد، ص (73). وانظر أيضًا (الصاعقة في نسْف أباطيل وافترات الشيعة على أُمِّ المؤمنين عائشة) ص (236 - 240). وانظر (دفع الشبه والافتراءات) للطموخي, وراجعْ بتمعنٍ ما تلوناه في قصةِ الجملِ لتستطيعَ الردَّ على أي شبهةٍ من خلال ما عرفتَ.

الشبهة العاشرة: (عائشة رضي الله عنها "سميت بالحميراء" بسبب دم الحيض).

تقدم معنى الحميراء في أول ترجمةِ أم المؤمنينَ؛ قال الشيخ مرشد الحيالي: هي على سبيل الذم لا المدح كما زعم ياسر الحبيب، وقوله هذا لم تأتي به معاجم اللغة كلها على الإطلاق، وإنما هي من أوهامه، يقول أهل اللغة الحميراء هي البيضاء كما قال ابن الأثير وابن منظور، وقال ابن حجر في الفتح: "العرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يشبه البرص، ولهذا السبب كان ﷺ يقول لعائشة رضي الله عنها يا حميراء... "، علمًا أن كل حديث فيه لفظ الحميراء فهو موضوع كما قال ابن القيم رحمه الله في (المنار المنيف) إلا ما رواية النسائي من طريق أبي سلمه؛ حيث قال رسول الله ﷺ لعائشة الصديقة: «يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم –لعب الحبشة وهم يلعبون-»؛ فقلت: نعم. وهو على سبيل الملاطفة كما قال أبو البقاء، لا كما قال هذا الحبيب الخاسر.[616]

الشبهة الحادية عشرة: (عائشة رضي الله عنها الطاهرة كانت تُرضع الكبير!).

قد نسي الجاهل ياسر أن عائشة لم تلد ولم تنجب، وبالتالي لم تُرضع، وإنما أفتت بجواز إرضاع الكبير كما في الحديث عنها أنها قالت: "دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي رجل. قال: (يا عائشة، من هذا؟) قلتُ: أخي من الرضاعة. قال: (يا عائشة، انظرن مَن إخوانكن؛ فإنما الرضاعة من المجاعة.[617])

وعن عائشة قالت: جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أرى في وجه أبى حذيفة من دخول سالم وهو حليفه؛ فقال النبي) ﷺ:أرضعيه). قالت:

---

616 () (الرد على أباطيل ياسر الخبيث في حق أم المؤمنين رضي الله عنها).

617 () أخرجه البخاري (.2647)



وكيف أُرضعه وهو رجلٌ كبير؟! فتبسم رسول الله ﷺ وقال: (قد علمتُ أنه رجلٌ كبير.[618])

* وصفة الرضاعة كما جاء مفسرا هو المسمى بالسعوط، بأن يُصبَّ اللبن في إناء، ثم يُشرب وقد تأولت السيدة عائشة بأنه رخصة سالم عامة للجميع، ثم رجعت لما تبين لها وجه الصواب، وأفتت بعدها بأنه يحرم الرضاع بعد الفصال، حتى ماتت.

المطلبُ الثاني: (الأحاديث الموضوعة والأخبار الزائفة على أم المؤمنين عائشة).

إنَّ بعض الشيعة الروافض لما سئموا من النيلِ من عائشةَ تصريحًا، لبسوا عليها أحاديثَ وأقاويلَ منها أو عليها لينالوا منها، وفي هذا إثمٌ بواحٌ، وجرم كبير، فمن تلكمُ الأحاديث:

قوله ﷺ (أخذك (وفي رواية ألبسك) شيطانك يا عائشة؟) هذا حديث لا يصح لأنَّ فيه فرج بن فضالةَ وهو ضعيف، وجاءَ الحديث عن سعيد بن محمد التميمي ولم يسمعْ من عائشةَ، والصحيحُ الثابت "أقد جائك شيطانك"؟ ففي "صحيح مسلم": عن عائشة، قالت: إن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا. قال: فغِرْتُ عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: (مالك يا عائشة! أَغِرْتِ؟) فقلت: وما لِيَ لا يَغارُ مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله) :ﷺأقد جاءك شيطانُك؟) فقالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال نعم. قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: (نعم. ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم).

قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية: وسياق الحديث يأبى الطعن بعائشة فإنها قالت: «أمعي شيطان يا رسول الله؟ فقال نعم. قالت: ومع كل إنسان؟ قال نعم. قالت ومعك يا رسول الله؟ فقال نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم». هذا سياق مسلم بلفظه (2618/4 رقم2815)... فمناسبة الحديث الغَيْرة عليه –وليس تعمد إيذائه كما يكذب التيجاني بسبب تعلقه بشيطانه– وفيهِ بيان أنَّ مع كلِّ أحدٍ شيطانٌ.[619]

)قالتْ عائشةُ عن عثمان: اقتلوا نعثلا فانه كَفَرَ) حديثٌ موضوعٌ، فيه نصر بن مزاحم قال فيه العقيلي: كان يذهب إلى التشيع وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير. وقال الجوزجاني:

---

618 () أخرجه مسلم (3673).

619) () أحاديث يحتج بها الشيعة) لدمشقية (14/1).

كان نصر زائفًا عن الحق مائلاً. قال الذهبي: هو رافضيٌّ جلدٌ. وعلى ذلك فهذه الرواية لا يعول عليها ولا يلتفت إليها إضافة إلى مخالفتها للروايات الصحيحة الناقضة لها .[620]

(كان نبي الله يقبّل عائشة وهيَ حائضٌ) **يحتجّ به أهل الباطلِ دونَ الزيادة التي ثبتتْ في الصحيحِ** "وكان يأمرها فتتزر فيباشرها وهي حائض " واحتج المرتضى العسكري برواية في المسند «أن رسول الله كان يباشرها وهو صائم ثم يجعل بينه وبينها ثوبا يعني الفرج»[621]؛ فعل المرتضى ذلك ليزيل الإشكال حول المباشرة. **مع أنَّ علمائهم احتجوا بهذا الحديثِ وأقروه، لكن أهلُ الزيغِ مطموسّة أعينهم** .[622]

(قالتْ عائشةُ لنبيِّ الله: أنت الذي تزعم أنك نبي **)**حديثٌ ضعيفٌ. قال الحافظ الهيثمي «فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه» [623]. وهو عين ما قاله الحافظ العراقي في تخريج إحياء علوم الدين (43/2). فالحديث معلول بالعنعنة. والمدلس تقبل روايته إذا كانت بلفظ (حدثني) ولا تقبل إذا قال (عن عن). **وهو مما حشاه الغزالي في كتابه "الأحياء" ضمن الوضعِ الواهي** .[624]

(إدخالُ النبيِّ البيتَ الحسنَ والحسين...) **هذا حديثٌ صحيحٌ ولكن وردَ فيه فهم سقيم؛ أما نص الحديث** فـعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بن عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.[625])

قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية: يوهم الشيعة الناس بأن هذا الحديث هو سبب نزول هذه الآية؛ وهو خطأ إن لم نقل كذب! فإن النبي ذكر هذه الآية لبيان أن هؤلاء الأربعة داخلون في الآية. وكيف يكون الأبناء سبب الآية وإنما سياقها يبين سببها وأنها خطاب الله لأزواج النبي؟ ثم إنَّ الحديث ليس فيه (هؤلاء أهل بيتي) أو بما يشعر الاقتصار عليهم فقط. فقد قالها رسول

620() أحاديث يحتج بها الشيعة) لدمشقية (40/1).

621 ()(أحاديث أم المؤمنين عائشة64/2).

622() أحاديث يحتج بها الشيعة) لدمشقية (88/1).

623 ()(مجمع الزوائد) (322/4).

624()أحاديث يحتج بها الشيعة) لدمشقية (159/1).

625() سبق تخريجه.

الله لعائشة «السلام عليكم أهل البيت» وعلمنا أن نقول «اللهم صل على محمد وآل محمد» وفي لفظ «اللهم صل على محمد وآله وذريته.(626) »

)يا عائشة دعي أخي عليًا فإنه أول الناس إسلامًا (حديثٌ مظلمٌ؛ ونصُّهُ أنه يذكر أن عليا جعل بين عائشة ورسول الله شيئًا، فقالت عائشة: أما وجدتَ لك مكانًا أوسع من هذا؟ قال نبي الله عليه الصلاة و السلام: (يا عائشة دعي أخي فإنه أول الناس إسلاما وآخر الناس بي عهدا عند الموت وأولى الناس بي يوم القيامة). قال الذهبي «إسناده مظلم وفيه عبد السلام بن صالح أبو الصلت وهو متهم» .(627)

قال الشيخ إحسان إلهي ظهير: وتجرأ هذا اللعين –سليم بن قيس– إن كان هو القائل، أو من نسب إليه هذا واخترعه باسمه، وافترى على أهل بيت النبي ﷺ، زوجته أم المؤمنين –بما فيهم علي وعائلته لأنهم من المؤمنين، وأزواجه أمهاتهم– على الصديقة الطيبة الطاهرة بشهادة القرآن، فقال:

دخل علي عليه السلام على رسول الله ﷺ وعائشة قاعدة خلفه...فقعد بين رسول الله ﷺ وبين عائشة فغضبت وقالت: ما وجدت لإستك موضعًا غير حجري، فغضب رسول الله ﷺ وقال: يا حميراء لا تؤذيني في أخي عليّ فإنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وصاحب الغر المحجلين يجعله الله على صراط فيقاسم النار ويدخل أولياءه الجنة ويدخل أعداءه النار"] .(628)

قوله ﷺ (تقاتلينَ عليًا و أنت ظالمةً له) هذا لا يُعرف في شيءٍ من كتب العلم المعتمدَة، وليس له إسنادٌ معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذبٌ قطعًا؛ فإنَّ عائشة لم تُقاتِلْ ولم تخرجْ لقتالٍ، وإنما خرجتْ لقصدِ الإصلاح بين المسلمين، وظنَّتْ أنَّ في خروجِها مصلحة للمسلمين، ثم تبيَّنَ لها فيما بعد أنَّ تركَ الخروج كان أوْلَى، فكانتْ إذا ذَكَرتْ خروجَها، تَبكي حتى تَبُلَّ خِمارَها .(629)

626() (أحاديث يحتج بها الشيعة) (242/1), وراجع ما قررناه في (المطلب الثاني) من هذا الكتاب تجد فيه بغية ما يشكل.

627 ()(ميزان الاعتدال) (6 /556).

628() ["كتاب سليم بن قيس" ص179], وانظر "الشيعة وآل البيت" (193/1).

629 () (دفعُ الشبهِ والافتراءات) للطموخي.



(افتراء على الباقر: جلد عائشةَ الحد!) قال الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-:
ولم يقتنع القوم بهذه الأكاذيب، ولم يشف غليلهم حتى بلغوا إلى أقصاه، فافتروا على محمد الباقر أنه قال: أما لو قام قائمنا ردت الحميراء (أي أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها) حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد – ﷺ – فاطمة عليها السلام منها، قيل: ولم يجلدها؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم، قيل: فكيف أخره الله للقائم (ع) ؟ قال: إن الله بعث محمدًا – ﷺ – رحمة، وبعث القائم عليه السلام نقمة" . (630)

(رسول الله ينام بين عليٍّ وعائشة!) قال الشيخ إحسان إلهي ظهير –رحمه الله-: وأهانوا عليًا، وسيده رسول الله، وزوجته ﷺ جميعًا في رواية باطلة خرافية، قبيحة وسخيفة، حيث ذكروا: "كان لرسول الله ﷺ لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة، فكان رسول الله ﷺ ينام بين عليّ وعائشة، ليس عليهم لحاف غيره، فإذا قام رسول الله ﷺ من الليل حطّ بيده اللحاف من وسطه بينه وبين عائشة" 631

هل هناك إهانة أكبر من هذه الإهانة؟

نعم! هناك أكبر وأكثر، منها ما رواها القوم أن عليًا أتى رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر، فيقول: فجلست بينه وبين عائشة، فقالت له عائشة: ما وجدت إلا فخذي وفخذ رسول الله ﷺ فقال: مه يا عائشة!" . (632)

(فائدةٌ) أخرجَ أبو نعيمٍ الأصبهاني عن عائشةَ مرفوعًا: (فضل عائشة على النساء كفضل [تهامة على ما سواها من الأرض و فضل] الثريد على سائر الطعام). قال الشيخ المحدث الألباني –رحمه الله-: (الحديث صحيح) (633) - وما بين المعقوفتين ضعيف- . (634)

---

630 () انظر "الشيعة وآل البيت" (245/1).

631 ["كتاب سليم بن قيس" ص221].

632 () [البرهان في تفسير القرآن] [225/4], وانظر "الشيعة وآل البيت" (268/1).

633 () انظر (صحيح الجامع) حديث رقم (4218).

634 () انظر (ضعيف الجامع) حديث رقم (3977).



(فهرس المصادر و المرجع)
- الترتيب الأبجدي-

حرف الألف	
الإبانة لما في الصحابة من المنزلة والمكانة	حمد الحميدي
أبو بكر الصديق	محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
أبو بكر الصديق –شخصيته وعصره-	الشيخ الدكتور محمد بن علي الصلابي
ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة	محمد بن العربي بن التباني المغربي
إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة	ياسين الخليفة الطيب المحجوب
الآحاد والمثاني	أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني
آداب الزفاف	ناصر الدين محمد الألباني
الآداب الشرعية	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ محمد بن مُفْلِحٍ المقدسي
الأساليب البديعة في فضلِ الصحابةِ وإقناع الشيعة	العلامة يوسف بن سعيد النبهاني
الإصابة في تمييز الصحابة	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
أصول الكافي	أبو جعفر محمد بن إسحاق الكليني
الأعلام	خير الدين محمد بن محمود الزركلي
اقتضاء العلم العمل	أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
الإقناع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل	أبو النجا موسى بن أحمد الحجاوي
الإكليل في استنباط التنزيل	أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى	أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا
الأمالي في آثار الصحابة	أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني
الإمامة والرد على الرافضة	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني
أمهات المؤمنين	عبد القادر بن محمد عطا صوفي
أمهات المؤمنين في بيتِ النبوة	مصطفى الطحان
أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير	أبو بكر جابر الجزائري
(حرف الباء)	
الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي
بحار الأنوار	محمد باقر بن محمد تقي المجلسي



	البداية والنهاية	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي	
	بدائع الفوائد	محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الدمشقي	
	(حرف التاء)		
	تاج العروس من جواهر القاموس	محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي	
	تارخ الرسل والملوك	أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري	
	تاريخ الثقات	أبو الحسن أحمد بن عبد الله العِجلي الكوفي	
	تَارِيخ خَلِيفَة بن خيَّاطٍ	أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري	
	تاريخ دمشق	علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي	
	تثبيت دلائل النبوة	عبد الجبار بن أحمد الهمذاني	
	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي	أبو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري	
	تدريب الراوي بشرح تقريب النوواي	أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	
	تراجم سيدات بيت النبوة	عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ.	
	تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	
	تعريف الصحابة وطرق معرفتهم وطبقاتهم	أحمد الأزهري	
	تفسير العياشي		
	تفسير القرآن الحكيم	محمد رشيد رضا	
	تفسير القرآن العظيم	المفسرأبو الفداء محمد بن كثير الدمشقي	
	تفسير القمي		
	تقريب التهذيب	أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	
	تهذيب الأسماء	أبو زكريا يحيي بن شرف بن مري النووي	
	تهذيب التهذيب	أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	
	تهذيب الكمال	أبو الحجاج يوسف بن الزكي المـزي	
	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي	
	التيسير بشرح الجامع الصغير	زين الدين عبد الرؤوف المناوي	
	(حرف الثاء)		
	ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية على أهل البيت	عبد الباسط الـــغريـّـب	
	جامع الأصول في أحاديث الرسول	المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري	
	(حرف الجيم)		
	جامع البيان في تفسير آي القرآن	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	
	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي	



	الجرح والتعديل	أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي
جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام		محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
	جوامع السيرةِ	أبو محمد أحمد بن علي ابن حزمٍ الأندلسي
	(حرف الحاء)	
"حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين- وقضية التحكيم"		علي بن محمد الصلابي
	حاشية السندي على البخاري	محمد بن عبد الهادي السندي الحنفي
	حتى لا ننخدع	عبد الله الموصلي
الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة.		محمد عارف الحسيني الدمشقي
	حق اليقين	الشيعي محمد باقر المجلسي
حقبة من التاريخ (ما بين مولد النبي إلى وفاة الحسين)		عثمان بن محمد الخميس
	حقيقة الخلاف بين علي بن أبي طالب (عام الجمل) وعائشة والزبير وطلحة	محمد بن إبراهيم بن صالح أبا الخيل
	حكم الروافض من الشيعة	أبو الوليد الغزي الأنصاري
	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني
الحياة الزوجية في بيت النبوة -حادثة الإفك وما فيها من أحكام وعبر-		خالد الشايع
	حياة القلوب	الشيعي محمد بن باقر المجلسي
	(حرف الخاء)	
	خلق أفعال العباد	أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
	(حرف الدال)	
	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
	(حرف الراء)	
	رجال صحيح مسلم	أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني
	رجال صحيح البخاري	أبو نصر أحمد بن محمد البخاري الكلاباذي
رد السهام الطائشة للذب عن أمنا السيدة عائشة		ماجد إسلام البنكاني العراقي
الرد على أباطيل ياسر الخبيث في حق أم المؤمنين		مرشـــد الحيالي
	رسالة في الرد على الرافضة	محمد بن عبد الوهاب التميمي
	روائع البيان من آيات الأحكام	محمد بن علي الصابوني
	روح المعاني	أبو الفضل نعمان بن محمود الألوسي
	الروض الأنيف في فضل الصديق	أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(حرف الزاي)	
زاد المعاد في هدي خير العباد	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية
زواج السيدة عائشة -ومشروعية الزواج المبكر والرد على منكريه-	خليل إبراهيم ملا خاطر
زاد المسير في علم التفسير	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
(حرف السين)	
الاستيعاب في معرفة الأصحاب	أبو عمر يوسف ابْن عبد الْبر النمري
سلسلة الأحاديث الصحيحة	أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني
سلسلة الأحاديث الضعيفة	أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني
سنن ابن ماجة	أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني
سنن أبي داود	أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني
سنن الترمذي	أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي
السنن الكبرى	أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي
سنن النسائي	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي
السيدة عائشة وتوثيق السنة	جيهان فوزى
سير أعلام النبلاء	أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين	سليمان الندوي
(حرف الشين)	
شبهات الرافضة حول الصحابة وردها	علي بن نايف الشحود
شبهات حول الصحابة – أم المؤمنين عائشة	شيخ الإسلام بن تيمية، بجمع/ محمد مال الله
شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين	جمعية مبرأة الآل والأصحاب
شرح أصول اعتقاد أهل السنة	أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي
شرح السنة	أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي
شرح رياض الصالحين	محمد بن صالح بن محمد عثيمين التميمي
شرح صحيح البخاري	أبو الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي
شرح معاني الآثار	أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي
الشريعة	أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ
الشيعة –شاهدين على أنفسهم بالكفر-	ضياء الكاشف
الشيعة وآل البيت	إحسان ألهي ظهير
الشيعة.. عقائد وموائد	عبدِ الرحمن الزكزكي
(حرف الصاد)	

الصارم المسلول على شاتم الرسول	شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني	
الصاعقة في نسف أباطيل الشيعة على أم المؤمنين	صالح بن محمد العطا	
الصحابة ومكانتهم عند المسلمين	محمود الدليمي	
صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان	أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي	
صحيح البخاري	أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري	
صحيح الجامع	أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني	
صحيح مسلم	أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري	
الصراط المستقيم	البيضاني	
صفة الصفوة	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي	
(حرف الضاد)		
ضعيف الجامع الصغير	أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني	
(حرف الطاء)		
الطبقات الكبرى	أبو عبد الله محمد بن سعد المصري	
طهارة بيت النبوة	خالد الشايع	
طرح التثريب بشرح التقريب	أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين وولده أبو زرعة العراقي	

(حرف العين)

"علي وعائشة"وصف للخصومة السياسية بينهما وأثرها وخطرها في تاريخ الإسلام	عمر أبو النصر
صدق النبأ في بيان حقيقة عبد الله بن سبأ	أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
عائشة أم المؤمنين	الدكتورة زاهية قدورة
عائشة رضي الله عنها معلمة الرجال والأجيال	محمد علي قطب
عائشة والسياسة	سعيد الأفغاني
عقائد الشيعة	عبد الرحمن الشثري
العقدية الطحاوية	أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي
العقيدة الواسطية	شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
العلاقة الحميمة بين الصحابة وآل البيت	سليمان الخراشي
عمدة القاري في شرح البخاري	أبو محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي
عون المعبود على أبي داود	أبو الطيب محمد أشرف العظيم آبادي



عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة	أبو بكر عبد الرحمن البكري السيوطي
(حرف الفاء)	
الفتح الأنعم في براءة عائشة ومريم	علي أحمد عبد العال الطهطاوي
فتح الباري في شرح البخاري	أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
فتح الواحد العلي في الدفاع عن صحابة النبي	المحدث عبد الله بن آل سعدِ
الفتنة ووقعة الجمل	المؤرخ سيف بن عمر
فتوح ابن الأعثم	أحمد بن الأعثم الكوفي
الفردوس بمأثور الخطاب	أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي
الفصول المهمة	
فضائل الصحابة	أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني
فضائل أهل البيت والصحابة	عبد المحسن العباد البدر
فقه السيرة	محمـــد الغـــزالي
فيض القدير بشرح الجامع الصغير	زين الدين عبد الرؤوف المناوي
(حرف القاف)	
القاموس المحيط	محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
القرآن الكريم	كتاب الله جل جلاله
(حرف الكاف)	
الكامل في التاريخ	أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري
كشف المشكل من الصحيحين	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
كف الأوباش الطاعنين في أم المؤمنين	أبو مالك الرياشي
كشاف القناع عن متن الإقناع	منصور بن يونيس بن إدريس البهوتي
كشف الغمة	الأربلي
(حرف اللام)	
مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير	الدكتور سعود بن عبد الله النفيسان
لسان العرب	محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي
(حرف الميم)	
مائةِ فائدة في حديث الإفكِ	الدكتور مهران عثمان
المجالسة وجواهر العلم	أبو بكر أحمد الدينوري المالكي
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي



مجموع الفتاوى	شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني
محاسن التأويل	محمد جمال الدين القاسمي
مختصر تفسير ابن كثير	المفسر العلامة أحمد شاكر
مُخْتَصر مِنْهَاج السُّنَّةِ	الشيخ عبد الله الغنيمان
المدخل إلى علم العلل	الشريف حاتم العوني؛ تهذيب: أبو همام السعدي
مرقاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح	الملا علي القاري
مروج الذهب ومعادن الجوهر	أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي
مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير	الدكتور سعود الفنيسان
مرويات غزوة بني المصطلق	إبراهيم بن إبراهيم قريبي
المستدرك على الصحيحين	أبو عبد الله محمد بن عبد اللهالحاكم النيسابوري
مسند أبي يعلى	أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي
مسند إسحاق بن راهويه	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي
مسند الإمام أحمد	أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني
مسند الشاميين	أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني
مشروعية التلقب بالشريف	الشريف حاتم بن عارف العوني
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير	أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي
مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة
المصنف في الأحاديث والآثار	عبد الرزاق الصنعاني
الْمطالب الْعَالِيَة	أبو الفضل أحمد بن علي بن حَجرٍ العسقلاني
المعجم الكبير	أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني
معجم أحاديث أم المؤمنين	مرتضى العسكري الحسيني الفيروز أبادي
المعجم الأوسط	أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني
معرفة الصحابة	أبو نعيم أحمد بن علي الأصبهاني
مفاتيح الغيب	فخر الدين محمد بن عمر الرازي



مفتاح دار السعادة	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية
المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم	أبو حَفْصٍ عُمَرَ بن إبراهيمَ القرطبي
مقالات الإسلاميين	أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري
الملل والنحل	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
منهاج السنة	شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني
المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج	أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي
منهج كتابة التاريخ الإسلامي	محمد بن صامل
موسوعة أم المؤمنين عائشة	الدكتور عبد المنعم الحفني
موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة	الشيخ الدكتور سعودِ الدخيل
الموطأ	أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي
ميزان الاعتدال	أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبـــي
(حرف النون)	
نزهة النظر بشرح نخبة الفكر	أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
النهاية في غريب الحديث والأثر	أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري
نهج البلاغة	منسوب إلى علي بن أبي طالب
نواقض الإسلام	محمد بن عبد الوهاب التميمي
(حرف الواو)	
وسائل الشيعة	محمد بن حسن الحر العاملي
الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة	الدكتور صالح الرقب



(فهرس المحتويات)




شبكة
الألوكة
www.alukah.net